nesemat.com

نسيان

دراسات حول مشروع **الخدمة**

كيف تسهم مدارس الخدمة
في تحقيق السلام العالمي؟
زكي ساريتوبراك

الخدمة مشروع حضاري
ينتمي إلينا وننتمي إليه
إدريس الكنبوري

هل مشروع الخدمة سياسي؟
محمد شتين

دار الأبعاد للنشر والتوزيع

5

5
الإصدارة الخامسة
فبراير ٢٠١٨

محتويات

نحو أنموذجنا الحضاري / نسمات ١

كيف تسهم مدارس الخدمة
في تحقيق السلام العالمي؟ / زكي ساريتوبراك ٢

أسس تشكيل الوعي الجمعي في ضوء «النور الخالد» / محمد جكيب ١١

هل مشروع الخدمة سياسي؟ / محمد شتين ٣٥

«جهود التجديد» قراءة في المنهج وأفكار لافتة / أبو زيد عبد الرحيم.. ٥١

الخدمة مشروع حضاري ينتمي إلينا وننتمي إليه / إدريس الكنبوري ٦٦

سمات حركة الخدمة وآلياتها في الإصلاح / علاء شكر ٨٣

سنة المداولة في بناء الروح والحضارة / سعيد الغزاوي ١٠٢

مفهوم المسؤولية في فكر فتح الله كولن / سيمون روبينسون ١١٤

إطلالة على جديد الكتب والرسائل العلمية / نسمات ١٢٤

www.nesemat.com
facebook.com/nesematstudies
nesemat@yahoo.com
twitter.com/nesemat_com

نحو أنموذجنا الحضاري

مرَّ عام منذ الانطلاقة الأولى لمشروع "نسمات" شهد فيه تداعي نخبة من جلة الكتاب والمفكرين والباحثين المعنيين بالمنهاج الفكري للخدمة من مختلف أنحاء العالم، للإسهام في الأعداد السابقة بما يقارب الخمسين نشرًا، ما بين دراسات ومقالات أكاديمية رصينة لكتاب غربيين وعرب موثقة بالهوامش والمراجع، وحوارات مع نخبة من مثقفي العالم العربي والإسلامي، ورسائل علمية حديثة نوقشت في رحاب الجامعات العربية، وقراءات متميزة لمؤلفات صدرت حديثًا للأستاذ كولن أو لغيره ممن كتبوا عن الخدمة، ورحلات وثائقية راصدة للنموذج وموثقة له سواء في منطلقَه داخل تركيا أو امتداداته خارجها قبل الأزمة الراهنة، ثم شهادات لشخصيات وازنة على امتداد الرقعة الجغرافية للعالم.

وشهد التنوع الموضوعي الذي برز في تلك الإصدارات مدى ثراء أنموذج الخدمة، فهي -على حد تعبير أحد المفكرين الذين حاورتهم نسمات في هذه الإصدارة- مليئة بالدروس والإيجابيات ذات الأبعاد المختلفة، علميًّا ومعرفيًّا وتربويًّا وأسريًّا وتعليميًّا؛ بما يمثل شبكة متكاملة من الإنجاز الحضاري، ومن ثم أوجب هذا المفكر على الباحثين والمعنيين بالشأن الحضاري الانكباب على هذه التجربة بمختلف اللغات وتعريف الآخر بها، لأنها تنتمي إلينا وننتمي إليها، ولأن أبناءها استطاعوا بمنجزهم الحضاري فيها أن يقدموا نموذجًا جديدًا يمكن للغرب أن يُنصت إليه وأن يستفيد منه حتى يفهم أن الإسلام قادر على إبداع تجارب وأنماط في التطوير والخبرات والتنمية الإنسانية والحضارة. ولعل ذلك هو عين ما يقوم به مشروع نسمات عبر محاوره المختلفة التي أُعلن عنها فور الانطلاقة.

لقد كانت تلك هي البداية، ولا زال في جعبة الخدمة الكثير الذي لم تفصح عنه بعد، ورغم صعوبة الانطلاقة الأولى لهذا المشروع "نسمات" البكر الوليد، وظرف المحنة الراهن الذي يلقي بظلاله على النموذج بأكمله، فإن في استمرار هذه الانطلاقة وتلبية هؤلاء النخبة من الباحثين والأكاديميين رُقى وتعاويذ طاردت وطردت عفاريت اليأس والقنوط التي تسرح في مثل هذه الأجواء العاصفة الهوجاء وتطيح بكل منجز فكري وحضاري بكل غشم وجور وطغيان.

وليست إصدارة نسمات وحدها التي تحمل مشعل النور هذا الذي يشق ظلام المرحلة الحالك، بل يقف إلى جوارها موقع رصين دائم التحديث بزبد الأفكار ونخب الأسرار التي تفك أكواد النموذج، وتكشف عن كلمات أسراره كلمة تلو أخرى، وقد نسل منه كتاب نسمات الأول "مواقف في زمن المحنة" الذي جمع كل حوارات الأستاذ كولن الإعلامية ومقالاته ورسائله، بعد محاولة الانقلاب الفاشل في يونيو ٢٠١٦.

وعلى عتبات العام الثاني من خلال الإصدارة الخامسة نسأل الله تعالى أن يوفقنا لمواصلة السير قُدُمًا بكل عزم وإيمان نحو غايته المثلى التي يرضاها لنا، والله ولي التوفيق. ■

كيف تسهم مدارس الخدمة
في تحقيق السلام العالمي؟

زكي ساريتوبراك

أ.د. زكي ساريتوبراك، أستاذ كرسي النورسي في الدراسات الإسلامية بجامعة جون كارول في كليفلاند، أوهايو بالولاية المتحدة منذ عام ٢٠٠٣. وهو أيضا المؤسس والرئيس السابق لمنتدى الرومي للحوار بين الأديان في واشنطن العاصمة. له أكثر من ثلاثين مقالاً أكاديميًا ودراسات موسوعية حول مواضيع في الإسلام. وهو أيضا متخصص في الكتابة عن كل من الأستاذين النورسي وكولن. وهو محرر ومترجم أدبيات الرومي ومبادئ المولوية الصوفية باللغة الإنجليزية.

يُحتِّم التفاعل المتزايد بين بني البشر وتوافر قنوات اتصال أسرع أن تكون عقول الناس وأرواحهم أكثر نضجًا ورشدًا لتحقيق التعايش السلمي المنشود. ومن هنا كان التعليم من أهم الأسس التي لا يتحقق مبدأ السلام العالمي إلا من خلالها. ونظرًا لأن فلسفة التعليم لدى "الخدمة" أحد أكثر الفلسفات التعليمية تأثيرًا في عصرنا فقد أبرز الكاتب في هذا المقال إسهامات "الخدمة" التعليمية ودورها الفعال في تحقيق مبدأ السلام العالمي، حيث كرَّس الأستاذ كولن جهود حركته لتعليم الناس، وبذل جهودًا مضنية لإخماد نار الصراع في أنحاء مختلفة من العالم، من خلال المؤسسات التعليمية التي أنشأتها حركته لتعليم الناس من مختلف الديانات والأعراف والعرقيات، إذ يجلسون جنبًا إلى جنب لتلقي العلم دون أدنى تمايز، وبالتالي لن نكون مبالغين إذا أطلقنا على مدارس الخدمة وصف "جنة السلام"؛ فمعلمو هذه المدارس الذين أسماهم كولن "النفوس المضحية" هم بناة السلام، ومن أهم صفاتهم نكران الذات والعيش من أجل الآخرين، وهما قوتان هائلتان لبناء السلام العالمي.

لقد تحوَّل عالمنا إلى قرية صغيرة، حيث أصبح الناس أكثر اتصالاً من أي وقت مضى؛ وفي حين يواصل التقدم التكنولوجي مسيرته بسرعة مذهلة، فقد تجلى وعي البشر بمكانتهم في هذا الكون مما ساعد في زيادة المشاركة الإنسانية في سعادة وأحزان بعضهم البعض.

إن هذا الوعي يعد فريدًا من نوعه في عصرنا ويحمل في طياته المخاطر والمنافع على حد سواء، ولا يمكن لأي أمة أو انتماء عرقي في العالم أن يدَّعي العزلة الكاملة حتى لو كانت أكثر المجتمعات بدائية؛ ونتيجة للتفاعل المتزايد وتوافر قنوات اتصال أسرع، يحتاج البشر بصورة أكبر من أي وقت مضى إلى نضج العقل والروح من أجل التعايش السلمي.

وعلى النقيض من الوتيرة المتسارعة للتطور التكنولوجي، يبدو أن بناء العلاقات الإنسانية قد أصبح أبطأ من أي وقت مضى؛ وحيثما كان من شأن زيادة الاتصالات أن تعزز العلاقات الحقيقية بين أفراد الأسرة البشرية، إلا أن عالم اليوم يواجه بدلاً من ذلك ظروفًا يعاني فيها ثلثا سكان العالم من العنف والحرب بين الأفراد.

السلام والتعليم

هذا وبالنظر إلى العنف المتفشي في عالم اليوم وانتشار الأسلحة القادرة على إبادة العنصر البشري وانقراضه عدة مرات، فمن الضروري أن يتبع المسلمون وغير المسلمين المبادئ التي وردت في الآية القرآنية حول العلاقات الإنسانية حيث يقول المولى تبارك وتعالى: ﴿وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾(النساء:١٢٨).

دع العالم كله يسمع أن قلوبنا مفتوحة لأولئك الذين يحبوننا وأولئك الذين يهاجموننا؛ وهي مفتوحة للجميع لأننا نعتقد أن كل إنسان خلقه الله في أحسن تقويم.

nesemat.com نسيمات nesemat.com

ولا يمكن تحقيق المبادئ المثالية للإسلام التي منها مبدأ السلام إلا من خلال التعليم، وبذا يمكن أن يكون عالمنا مهدًا للتحابّ والإخاء.

مبدأ التضامن المجتمعي

هناك مبدآن أساسيان تقوم عليهما الحضارة الإسلامية وهما التعاون المتبادل وعلاقة المحبة المتبادلة بين الخلق؛ والمبدأ الأول هو المبدأ الذي يسميه علماء بناء السلام بالعمل التعاوني والتضامن. ووفقًا لهذا المبدأ، يعتمد الكوكب على التعاون المتبادل بين جميع المخلوقات بمساعدة بعضهم البعض: فالمطر يساعد العشب على النمو؛ والعشب يساعد الحيوانات على النمو؛ والحيوانات تساعد البشر على النمو. ويضرب هذا مثالاً للكائنات البشرية، وهو يعني أن: "كل البشر لديهم أصل مشترك، فقد خلقهم الله جميعًا متساويين؛ ولذلك، يجب عليهم أن يساعدوا بعضهم البعض ولا يتجاهلوا احتياجات بعضهم البعض"[1].

ويجد هذا المبدأ جذوره في الآية القرآنية: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾(المائدة:٢) ويتطلب المبدأ الثاني النظر إلى أن جميع أفراد الخلق إخوة وأخوات؛ ويتطلب أيضًا

نتيجة للتفاعل المتزايد وتوافر قنوات اتصال أسرع، يحتاج البشر بصورة أكبر من أي وقت مضى إلى نضج العقل والروح من أجل التعايش السلمي.

nesemat.com نسيمات nesemat.com

من كافة البشر أن يرفضوا أي شيء يضر بهذه العلاقة الجوهرية. وبالتالي، فإن كافة أشكال التعصب في الإسلام غير مقبولة "بما في ذلك العنصرية المتطرفة"؛ ولذلك، فإن التضامن المجتمعي هو أحد الأهداف التي رسخها الإسلام كمبدأ؛ وهناك أمثلة على ذلك في سيرة النبي ﷺ، فبعد هجرته إلى المدينة المنورة، وضع النبي ﷺ ميثاقًا يُعرف باسم ميثاق المدينة ينص على المساواة بين أفراد المجتمع. وفي هذا الميثاق، اعتبر أهل الكتاب "على وجه التحديد هنا، اليهود" جزءًا من الأمة الإسلامية. واليوم، فإن حركة الخدمة من خلال إتاحتها لفرص التعليم والتثقيف للمسلمين وغير المسلمين على حد سواء تسهم في إرساء مثل هذه الأخوة في جميع أنحاء العالم.

هذا ويمكن للناس من خلال التعليم أن يفهموا أهمية التنوع والتعايش المشترك؛ فالاعتراف بالكرامة الإنسانية، وفهم الأصول المشتركة للبشر، واعتبار الاختلافات أمرًا إيجابيًّا، والاعتراف بالأديان الأخرى، والوعي بأن الحكم يعود إلى الله وحده "وهو ما يكون يوم القيامة"، وأخيرًا القيام بما هو طيب، كلها أمور مرتبطة مباشرة بإنشاء نظام تعليمي سليم يستجيب ويلبّي جميع احتياجات البشر.

إن النظرة الإسلامية للمجتمع الإنساني تقوم على مبادئ الانسجام والمعرفة والعدالة والسلام: فالحروب وأعمال العنف، رغم أنها جزء من تاريخ كل دين عالمي كبير، لا مكان لها في جوهر الإسلام.

وعلى الرغم من هذا الهدف المثالي، فإن القرآن الكريم يقر بحقيقة الطبيعة البشرية والنزاعات المحتملة التي قد تنشأ بين الشعوب؛ ومع ذلك، فإنه يشجع المؤمنين باستمرار إلى الميل نحو الانسجام والأخوة والمحبة. وكما يقول كولن: "لا يدَ لي أوجهها لمن ضربني، ولا لسان لي ضد من سبّني، لا ألطّخ بالانتقام قلبي"[٢].

وبما أن الله تعالى لم يضع أي قيود على القدرة المدمرة لغضب الإنسان، فإن تثقيف الناس وإرساء السلام يعد من أصعب المهام بالنسبة للبشر؛ فهو يتطلب الصمود والعزم والصبر، والتي تعتبر قيمًا ثمينة وعظيمة في الإسلام وعناصر أساسية لاستراتيجيات بناء السلام. "إن السيطرة على الانفعالات والانصياع إلى طريقة التفكير العقلاني تعتبر من أساسيات إرساء دعائم السلام"[٣]. إنها عملية طويلة قد تستغرق أجيالاً من أجل بناء سلام عالمي؛ ويشجع القرآن الكريم بُناة السلام في هذا النضال من خلال تذكيرهم بالثواب والأجر الأخروي الذي سيحصلون عليه، وحتى لو لم ينجحوا بشكل تام، فسينالون مكافآتهم على أعمالهم. وبالتالي يجب ألا يفقدوا الأمل خلال مسيرة نضالهم من أجل السلام؛ فحتى الملائكة في الجنة سوف تحيي صنّاع السلام في بهجة وسرور: ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾، وسوف يقولون: ﴿بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾(الرعد:٢٤).

وقد علّم النبي ﷺ نفسُه أصحابه، وكان لديه

مدرسة شهيرة تُعرف باسم الصُفّة، وكان أولئك الذين يحضرون هذه المدرسة معروفين باسم أهل الصُفّة، أو أصحاب الصُفّة[٤]. وهناك عبارة شهيرة تقول: "إذا كنت تعتقد أن ثمن التعليم باهظ، ففكر في ثمن الجهل".

nesemat.com نسيمات nesemat.com

إن سعي كولن الشغوف بالتعليم بدأ في سن مبكرة في الوقت الذي كانت فيه الفوضى والتشوش يهيمنان على المجتمع التركي.

فتح الله كولن وتطبيق هذه المبادئ

سوف تركز هذه المقالة على جهود فتح الله كولن باعتباره أحد الشخصيات الأكثر تأثيرًا في عصرنا. وفيما يتعلق بسيرة كولن الذاتية، فالمقام لا يتسع لها هنا. ويكفي القول إن سعي كولن الشغوف بالتعليم بدأ في سن مبكرة في الوقت الذي كانت فيه الفوضى والتشوش يهيمنان على المجتمع التركي. وفي السبعينيات، كان طلاب الجامعات والمعلمون وحتى بعض الأساتذة متأثرين تأثرًا شديدًا بالماركسية، وكانت الجماعات الماركسية والقومية في صراع مسلح مع بعضهم البعض، وقد قُتل أكثر من ١٠ آلاف شخص في تركيا خلال عقدين من الزمن بسبب هذه الاشتباكات، وحتى الأُسَر لم تكن في مأمن من هذا العنف، حيث كان يمكن أن تجد أفرادًا من العائلة نفسها يتقاتلون في أطراف معارضة.

لقد بذل كولن كافة الجهود لإخماد نار الصراع وسط هذه الفوضى وكرَّس نفسه لتعليم الناس، وعلَّم شعبه في المدارس المفتوحة؛ ويعتبر ذلك شيئًا غير مألوف من عالم مسلم مثل كولن، فقد كان مختلفًا عن أقرانه من علماء عصره، فقد حث الناس على بناء المدارس، وعندما وجد الناسَ حريصين على بناء المساجد كان يقول لهم: "ابنوا المساجد من خلال بناء المدارس، فإن أنتم أفلحتم في بناء المدارس، فسيعمل خريجوها على بناء المساجد".

وفي عبارة حديثة، وصف كولن جوهر حركته بما يلي: "من أجل إظهار الوجه المشرق للإسلام الذي تلطخه أعمال الإرهاب من قبل الانتحاريين، ومن أجل عيش الإسلام بشكله الصحيح كما كان الحال في وقت النبي الكريم ﷺ، ومن أجل إعداد بيئة تنمو فيها فكرة القبول الإلهي في قلوب الناس؛ وباختصار، لكي نعيش ونعبر عن الإسلام في شكله ومضمونه الحقيقي. واليوم، تنزلق البشرية نحو اتجاه سلبي بتطويرها لهذه الأسلحة المُروّعة؛ حيث إنه إذا دخل البشر في صراع، فإن هذا العالم سيكون مكانًا غير صالح للعيش فيه. ولذلك، نحن بحاجة إلى إنشاء جزر سلام من أجل منع هذه الصراعات المستقبلية المحتملة إلى حد كبير؛ وعلينا أن نبذل جهودنا في هذا الاتجاه حتى نتمكن من إرساء دعائم السلام والتصالح والمشاركة. ومن هنا، يمكن أن يُطلق على حركته أنها حركة التفاهم والحوار" (ذكر كولن ذلك ردًا على سؤال في ١٤ مارس/آذار ٢٠١٠). هذا ويعتقد كولن أنه يمكن تحقيق ذلك من خلال المؤسسات التعليمية.

"واليوم تقع المهمة على عاتقنا، فعلينا أن نوفِّر مساحة في قلوبنا لآلاف المقاعد كي يأتي الناس ويجلسوا عليها. يجب أن يكون لدينا متسعٌ للجميع

وفقًا لـ"كولن" فإنه بمجرد أن يُسلَّح المرء بالحب والرحمة، لن يكون هناك فرق بين "أنت" و"نحن" و"الآخرين"، ويعتقد كولن أن الحب ضروري من أجل بناء السلام.

nesemat.com نسيمات nesemat.com

في قلوبنا. ... دع العالم كله يسمع أن قلوبنا مفتوحة لأولئك الذين يحبوننا وأولئك الذين يهاجموننا؛ وهي مفتوحة للجميع لأننا نعتقد أن كل إنسان خلقه الله في أحسن تقويم. واليوم هناك حاجة قصوى لهذا الفهم."، وأشار كولن إلى النبي ﷺ الذي سمح للمسيحيين بأداء صلواتهم الخاصة في المسجد. (كولن ردًا على سؤال في ٩ أغسطس/آب ٢٠٠٩). ومن ثم، وفقًا لـكولن، فإن كل إنسان يستحق التعليم الجيد وينبغي أن يحصل عليه.

لقد كانت جهود كولن تعليمية بشكل أساسي، ويمكن القول إنه لم يُوقف النزاع المسلح بشكل مباشر، لكن جهوده من خلال التعليم قد سلَّحت الشباب بالقيم والمبادئ التي تمنعه من الانخراط في الصراعات.

تأثير مساعي كولن في العالم

ليس من قبيل المبالغة أن نؤكد أن مساعي كولن التعليمية والتثقيفية لها تأثير عالمي في خير ورفاهية المجتمعات المختلفة وسوف تستمر في إحداث هذا التأثير؛ وليس هناك شك في أن أعظم جهود كولن وإسهاماته ترتبط بهذين المجالين. هذا وقد أوضح بديع الزمان سعيد النورسي في بداية القرن العشرين أن: "هناك ثلاثة أعداء رئيسيين للمسلمين: الجهل والفقر والانقسام الداخلي."[٥]. وإذا نظرنا نظرة فاحصة لعالمنا الحديث، يمكننا أن نفهم بسهولة أهمية التعليم، وخاصة للمسلمين الذين يشكلون ٢٢٪ من سكان العالم؛ فالنمو السكاني بين المسلمين أسرع من أي سكان آخرين في العالم، في حين أن معدلات التعليم لا تزال منخفضة بشكل ملحوظ[٦]. ويعتبر كولن أن نقص التعليم يعد بمثابة داء يتطلب علاجًا، وقال إنه يريد علاج هذا الداء.

واليوم في تركيا وآسيا الوسطى ومناطق أخرى كثيرة من العالم، تواصل المؤسسات التعليمية التي أنشأها مُحبو كولن الإسهام بشكل كبير في تعليم وتثقيف الناس من مختلف الديانات والعرقيات. وفي الواقع، فإن جيله الذهبي أسهم بالفعل من خلال المساعي التعليمية في إرساء السلام في كثير من مناطق الصراع ولا سيما في البلقان وشمال العراق والفلبين.

هذا وقد تحدث الأب توماس ميشيل، في مقال له عن كولن[٧]، عن مدرسة أنشأها مُحبو كولن في جزيرة ميندانا والفلبينية التي زارها؛ فقد زار ميشيل منطقة من الجزيرة حيث كان الاختطاف وحرب العصابات والنزاع المسلح مستمرًا بين الانفصاليين بجبهة مورو والدولة الفلبينية. ويقول ميشيل: "تقدم المدرسة -التي تُسمى المدرسة الفلبينية التركية للتسامح- للأطفال الفلبينيين المسلمين والمسيحيين تعليمًا ممتازًا وطريقة أكثر إيجابية للعيش والتواصل مع بعضهم البعض."[٨] وقد وجد ميشيل في هذه المدرسة طلابًا من جميع الخلفيات ووصفها بأنها "جنة السلام" في هذه المنطقة من الصراع[٩].

وهناك مثال آخر يأتي من تجربتي الخاصة، عندما قمت بزيارة مدينة سكوبيه في مقدونيا في صيف عام ٢٠٠٤، حيث أُتيحت لي الفرصة لزيارة مدرسة أنشأها بعض رجال الأعمال الأتراك الداعمين لحركة كولن؛ وقد قيل لي إنه عندما كانت الحرب الأهلية تدور رحاها في تلك المنطقة، كان الأفراد من مختلف الأعراق يرسلون أطفالهم إلى هذه المدرسة. لقد كان آباؤهم يتقاتلون، غير أن الأطفال كانوا يعيشون بسلام تحت سقف المدرسة نفسها.

واستنادًا إلى هذه الجهود، فإن كولن يحدوه الأمل في المستقبل، حيث يقول:

"ومن يدري؟ فربما في المستقبل القريب يقوم بعض الأشخاص من ذوي الإيثار، والذين يضحون بأنفسهم حتى يعيش الآخرون، بتوحيد القلوب والعقول من خلال جهودهم؛ حيث سيصبح الضمير والعقل بُعدَين مختلفين ومتأصلين في حياتهم يُكمل كل منهما الآخر. سوف تتخلى الفيزياء والميتافيزيقيا عن الصراع بينهما من أجل إعطاء الفرصة لجمال كل شيء للتعبير عن نفسه بلغته الخاصة ويعود كل إلى مجاله الخاص. سوف يكتشف هؤلاء الأشخاص الناكرون للذات الترابط بين الأمر الإلهي وقوانين الطبيعة. سوف يندم الناس على صراعاتهم السابقة مع بعضهم البعض التي لا معنى لها. سيتم إرساء جو من الصفاء يشعرون به في المنازل والمدارس. لن تُهان أي كرامة. ستكون القلوب عامرة بالاحترام إلى درجة أنه لن يتعدى أحد على ممتلكات أو كرامات الآخرين. سوف يتصرف القويُّ بعدالة حتى يتسنى للضعفاء والفقراء فرصة العيش بإنسانية. لن يتم القبض على شخص لمجرد اشتباه؛ ولن يتعرض منزل أي فرد أو نشاطه التجاري للهجوم. لن تُسفك دماء الأبرياء؛ ولن يصرخ أي شخص مضطهد؛ وسيحب جميع البشر بعضهم البعض كواجب تجاه الله. وفي هذه اللحظة بالفعل سيصبح العالم، الذي هو جسر عبور إلى الجنة، مكانًا مثل الجنة نتمتع به دائمًا"[١٠].

اقترح كولن على مُحبيه أن يستثمروا في البشر في المقام الأول؛ فأي استثمار في البشر يستغرق سنوات، لذلك يجب على الناس التحلي بالصبر في توقعهم للنتائج.

nesemat.com نسيمات nesemat.com

العيش من أجل الآخرين

الاعتراف بالكرامة الإنسانية، وفهم الأصول المشتركة للبشر، واعتبار الاختلافات أمرًا إيجابيًّا، والاعتراف بالأديان الأخرى، والوعي بأن الحكم يعود إلى الله وحده "وهو ما يكون يوم القيامة"، وأخيرًا القيام بما هو طيب، كلها أمور مرتبطة مباشرة بإنشاء نظام تعليمي سليم يستجيب ويلبّي جميع احتياجات البشر.

إن نكران الذات له قوة هائلة في بناء السلام المستدام؛ ويساعد نكران الذات أولئك الذين يكرسون أنفسهم من أجل السلام على فهم أفضل لحالة الضحايا ومعاناتهم. فمن خلال العيش من أجل الآخرين، يعتقد كولن أن الفرد المثالي يجب أن يُفضل دائمًا مزايا الآخرين على مزاياه؛ وهذا هو السبب الرئيسي وراء مغادرة آلاف المربين لمنازلهم والذهاب إلى جميع

الخدمة من خلال إتاحتها لفرص التعليم والتثقيف للمسلمين وغير المسلمين على حد سواء تسهم في إرساء مبادئ الأخوة والتضامن في جميع أنحاء العالم.

nesemat.com نسيمات nesemat.com

أنحاء العالم لتعليم وتثقيف الأجيال الناشئة، وهذا هو في الواقع ما كان يميز المؤمنين في فجر الإسلام، أي صحابة النبي الكريم ﷺ كما تكلم عنهم القرآن الكريم، حيث تقول الآية: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ﴾(الحشر:٩). وهذا هو السبب في أن كولن يؤكد باستمرار حاجة الأفراد المؤمنين والناكرين للذات إلى تكريس أنفسهم لإحلال وإرساء السلام، وينبغي على المؤسسات التعليمية تقديم الخدمة من أجل رفع هؤلاء الأفراد من عالم الخيال إلى عالم الإدراك. ويمكن القول: إن كافة جهود كولن التعليمية كانت تعمل من أجل تحقيق هذا الهدف.

ومرة أخرى يتجلى أمله الكبير في العبارة التالية: "ذات مرة، على الرغم من العقبات العابرة للقارات، تم تحقيق حب واحترام وحوار دائم من خلال تدريس القرآن. وفي هذه الأيام لدي إيمان تام أنه من خلال جهود هذا الشعب المبارك سيتم تحقيق جو جديد، وتفاهمات جديدة وحوار جديد. وحتى الآن، من خلال المهاجرين الذين يحملون هذه الفكرة إلى جميع أنحاء العالم بدأت أنهار الحب في التدفق؛ وها نحن نسمع صداها الآن يتردد في كل ركن من أركان الكوكب. بدأنا نشعر بنسيم الهدوء والسعادة. وها هم يقيمون في كل ركن من أركان العالم جزر سلام من أجل الاستقرار والوئام"[١١].

ووفقًا لكولن، فإن جيله الذهبي المثالي سوف يفكر دائمًا في خطوات إيجابية للسعي من أجل التعليم، ولن يتشتت جيله الذهبي بسبب الأخطاء التاريخية؛ فعلى الرغم من بعض التجارب التاريخية السلبية مثل الحروب الصليبية والاستعمار فقد أكد على ضرورة نسيانها قائلا: "نحن عازمون على عدم تذكر تلك الأحداث وعدم إعطاء فرصة لإحياء روح العداوة، ونحن نشجع بقوة أن تنحصر الأخطاء التاريخية في حدود كتب التاريخ حتى لا نُعيد إحياء مشاعر العداوة بين الناس."[١٢].

وأضاف كولن واصفًا جيله المثالي قائلاً: "الجميع بقدراتهم هم رسل للإحياء يحملون في أيديهم زهور الصداقة، وعلى شفاهم أغاني الأخوة، ولسانهم الذي يأخذ جوهره من بلاغة القرآن هو أقوى من أي سيف، وكلماتهم موجهة نحو الحياة الآخرة، وهذه الكلمات تحطم الظلام دون الإضرار بأي شخص"[١٣]. وفي عالم كولن المثالي، "لا يوجد تسلط ولا جشع ولا مشاحنة ولا تخوين ولا أكاذيب ولا قمع ولا خداع.. بل على العكس من ذلك، تسود الشهامة والعطف وجهود الإحياء، وحب الحياة واللطف والحوار، واحترام الحقيقة والثقة والإقرار بالطيبة والكرم، وروح البر والعدالة واتباع الطريق المستقيم"[١٤].

ويُصرّ كولن على أن الناس يجب أن "تُشعل الشموع" في مجتمعاتها من أجل تنوير المجتمع:

فمن واجب الجيل المثالي تنوير الناس بدلاً من أن يسود الظلام.

وقد اقترح كولن أنه يجب على مُحبيه أن يستثمروا في الإنسان في المقام الأول؛ فأي استثمار في الإنسان يستغرق سنوات، لذلك يجب على الناس التحلي بالصبر في توقعهم للنتائج. وتشير تجربته الخاصة إلى بعض الصعوبات التي يواجهها المربون.

ويثق كولن في نهجه ومدى توافقه مع تعاليم الإسلام الأساسية، ولم يفقد كولن الأمل قطُّ، وكان يعتقد دائمًا أن الجهود المبذولة للتعليم سوف تؤتي ثمارها في نهاية المطاف. وعندما أُغلقت جميع الأبواب أمامه، أعلنت وسائل الإعلام والنخبة العلمانية أنه شخص غير مرغوب فيه لدرجة أن حياته كانت مُهددة[١٥]. وعلى الرغم من المصاعب التي واجهها كولن خلال عملية الاتهامات والاضطهاد الروحي والنفي، لم يسع أبدًا للانتقام، فقد قال: "سوف نحترم شخصيتنا." "لن نضر بمن اضطهدنا، ولن نسعى للانتقام العين بالعين؛ ولن نسبهم أبدًا ولن نكسر القلوب. وبطريقة يُونس أمره -الشاعر التركي الشهير في القرن الرابع عشر- سوف ندعو الجميع إلى الحب... ولأنني مؤمن أعد بأنني لن أتجاهل أي شخص ولن أضطهد أولئك الذي يخالفونني."[١٦]. وفقًا لكولن، فإنه بمجرد أن يُسلَّح المرء بالحب والرحمة، لن يكون هناك فرق بين "أنت" و"نحن" و"الآخرين". ويعتقد كولن أن الحب ضروري من أجل بناء السلام. وعلاوة على ذلك، فاليوم "نحن بحاجة إلى الحب والرحمة أكثر من حاجتنا إلى الماء والهواء."[١٧]. ويصف كولن أولئك

nesemat.com نسيمات nesemat.com

الاعتراف بالكرامة الإنسانية، وفهم الأصول المشتركة للبشر، واعتبار الاختلافات أمرًا إيجابيًّا، والاعتراف بالأديان الأخرى... كلها أمور مرتبطة مباشرة بإنشاء نظام تعليمي سليم يستجيب ويلبّي جميع احتياجات البشر.

الذين يحبون الآخرين ويعيشون من أجل الآخرين بأنهم أبطال. ويقول: "يسعد أولئك الذين يجعلون الحب دليلهم في رحلتهم، وكم يتعس أولئك الذين لا يدركون الحب الراسخ في نفوسهم والذين يقضون حياتهم بأكملها عُمي وصم."[١٨].

إن مفهوم الرحمة في تعاليم كولن هو أحد أهم المبادئ في فهم كولن للتعليم، ففي العُرف الذي نشأ فيه كولن، كان فهمه أنه لا يهم مدى صغر المرء، فكل مخلوق يثني على الله بلغته الخاصة، وبالتالي يستحق احترامه المناسب ورحمته، يقول كولن:

"الرحمة هي بداية الوجود، وبدونها تعم الفوضى في كل شيء. فقد خُلق كل شيء بالرحمة واستمر الوجود في انسجام بسبب الرحمة... وكل شيء يتحدث عن الرحمة ويعد بالرحمة. ونتيجة لذلك، يمكن اعتبار الكون سيمفونية من الرحمة، تنادي فيه جميع أنواع الأصوات بالرحمة؛ لذلك من المستحيل عدم إدراكها، ومن المستحيل عدم الشعور بالرحمة الواسعة التي تحيط بكل شيء، وكم هي مؤسفة تلك النفوس التي لا تدركها... فالبشر يتحملون مسؤولية إظهار الرحمة لجميع الكائنات الحية كمطلب ضروري حتى يكونوا بشرًا. وكلما زاد

يعتقد كولن أن الفرد المثالي يجب أن يعيش من أجل الآخرين؛ وهذا هو ما حدا بآلاف المربين أن يتركوا منازلهم ويتوجهوا إلى جميع أنحاء العالم لتعليم الأجيال الناشئة.

nesemat.com نسمات nesemat.com

إظهار المرء للرحمة عَلا شأنه. وكلما كثر لجوء المرء إلى الخطأ والاضطهاد والقسوة زاد كره وإذلال المرء، وأصبح عارًا على الإنسانية[١٩]. وقد عبر كولن عن التعاليم القرآنية للرحمة في هذه العبارة التي كررها أكبر أحمد[٢٠]، بوصفها عنصرًا هامًا في بناء السلام:

"إن البحث الدؤوب من أجل إيجاد حلول عالمية للمشاكل العالمية المشتركة التي تواجه المجتمع البشري، والسعي إلى نظام عادل ورحيم وسلمي، سوف يكون التحدي الذي تواجهه الحضارة الإنسانية في القرن الحادي والعشرين. ومواجهة التحدي هو تحقيق لرؤية الله في احتضان البشرية جمعاء، والقيام بذلك هو المعرفة برحمة الله[٢١].

وبعبارة أخرى، يتطلب الجهل الهائل جهودًا كبيرةً لابد أن تتجاوز قدرة بعض الأفراد المتفانين والمخلصين. ■

الهوامش

(1) Abu-Nimer, Mohammed. Nonviolence and Peace Building in Islam: Theory and Practice. Gainesville, Florida: University Press of Florida, 2003. p 73.

(٢) هذه المقولة من تمثلات الأستاذ فتح الله كولن للشاعر التركي يونس أَمْرَه. (المحرر)

(3) Abu-Nimer, Mohammed. Nonviolence and Peace Building in Islam: Theory and Practice. Gainesville, Florida: University Press of Florida, 2003. p 65.

(4) For this see Zeki Saritoprak, Suffe Ashabi, (Istanbul, 1985).

(5) Bediuzzaman Said Nursi, Divan-i Harb-i Orfi, in Risale-i Nur, (Istanbul: Nesil, 1996) p.1921.

(6) Akbar Ahmed, "Islam and the West: Clash or Dialogue of Civilizations?" in Islam and Global Dialogue: Religious Pluralism and the Pursuit of Peace. By Roger Boase. England: Ashgate Publishing, 2005. p 103-118.

(٧) نشر هذا المقال في إصدارة نسمات الثالثة عدد يونيو ٢٠١٧ بعنوان: "الجمع بين الحسنيين.. الأستاذ كولن مربيًا ومُفكرًا مُسلمًا" ومتاح على موقع نسمات: www.nesemat.com

(8) Thomas Michel. "Fethullah Gülen as Educator." in Turkish Islam and the Secular State: The Gülen Movement. Ed. M Hakan Yavuz and John L. Esposito. (Syracuse: Syracuse University Press, 2003). pp 69-84.

(9) Ibid.

(10) M. Fethullah Gülen, Örnekleri Kendinden Bir Hareket (A Movement Whose Samples are from Within Itself) (Cag ve Nesil Serisi, N.8), (Izmir: Nil Yayinlari, 2006), p110.

(11) Ibid., p111 My emphasis.

(12) Fethullah Gülen, Isigin Gorundugu Ufuk (Cag Ve Nesil Serisi-7) (Izmir: Nil Yayinlari, 2006), pp158.

(13) Fethullah Gülen, Ornekleri Kendinden bir Hareket, p112.

(14) Fethullah Gülen, Yeseren Dusunceler (Cag ve Nesil 6) (Izmir: Nil Yayinlari, 2006), p 88-92.

(15) For the details of Gülen's feelings, see ibid pp75-82.

(16) Fethullah Gülen, Isigin Gorundugu Ufuk (Cag ve Nesil Serisi-7) (Izmir: Nil Yayinlari, 2006), p217.

(17) Fethulla Gülen, Ornekleri Kendinden bir Hareket, p. 184.

(18) Fethulla Gülen, Yitirilmis Cennete Dogru (Cag ve Nesil Serisi-3) (Izmir: Nil Yayinlari, 997), p. 98.

(19) M. Fethullah Gülen, Towards the Lost Paradise, (London: Trustar, 1996), 40-2; see also M. Fethullah Gülen, Fatiha Uzerine Mulahazalar(Considerations on the Chapter Fatiha), (Izmir: Nil Yayinlari, 1997), 90-95.

(٢٠) أكبر أحمد: مفكر إسلامي، أستاذ كرسي ابن خلدون للدراسات الإسلامية والعلاقات الدولية بالجامعة الأميركية في واشنطن. (المحرر)

(21) Ahmad Akbar. Islam Under Siege: Living Dangerously in a Post-Honor World. Cambridge, UK: Polity Press, 2003. pp 171-172.

أسس تشكيل الوعي الجمعي في ضوء "النور الخالد"

محمد جكيب

أ.د. محمد جكيب أستاذ بجامعة شعيب الدكالي بالمغرب، حصل على دكتوراه الدولة في الآداب سنة ٢٠٠٢. عضو رابطة الأدب الإسلامي العالمية منذ سنة ١٩٩٤. عضو مؤسس لمنتدى الحوار الأدبي. مؤلف كتاب "أشواق النهضة والانبعاث قراءة في مشروع الأستاذ فتح الله كولن الإصلاحي".
شارك في العديد من المؤتمرات والندوات المحلية والدولية داخل المغرب وخارجه.

هذه الدراسة يحاول فيها الكاتب مقاربة مفهوم مفتاحي في فكر الأستاذ كولن وهو "الوعي الجمعي" حيث يتساءل الكاتب كيف يُبنى هذا "الوعي الجمعي"؟ وما الشروط الفكرية والمنهجية لعملية البناء هذه؟

وللأستاذ فتح الله كولن في هذا الباب رؤية متكاملة حول بناء الإنسان، وقد نذر حياته كلها لإيجاد نموذج بشري منخرط بكل كيانه في دائرة الوعي الجمعي. ويُعتبر كتاب الأستاذ فتح الله كولن "النور الخالد محمد ﷺ مفخرة الإنسانية" من بين أهم ما كتبه في طريق بناء مشروعه الإصلاحي، وفي طريق إعادة الأمة إلى شهودها الحضاري. ومن ثَمَّ يعرض الكاتب هذا السفر الحضاري باعتباره يعبر عن الرؤية الإصلاحية المتكاملة التي يتبناها الأستاذ كولن ويستمد أسسها ومبادئها من هدي الرسول ﷺ حيث يتناول محتوياته بدءًا من عنوانه ومقدماته كلها ثم يختم بعرض تقسيمات الكتاب الخمسة، بالإضافة إلى ملحق تناول فيه الأستاذ مكانة الخدمة وكل القضايا المتعلقة بها. ويخلص إلى أن المتنعم في طبيعة تقسيم الكتاب سيلمس أن التقسيم ينسجم مع المرامي العامة للرؤية الإصلاحية التي يريد الأستاذ الوصول إليها.

أما قبل

من أهم ما يميز المفكر ويدل على عمق رؤيته وصلابتها، هو بنية المفاهيم التي يوظّفها في مقاربة كل ما يتناوله من قضايا، وما يدرسه ويحلله من أفكار، إذ كلما كانت هذه المفاهيم واضحة في جهازها الوصفي، وفي لغتها التفسيرية، كان ذلك دليلاً على وضوح الرؤية، وعلى تجذّرها في شخصية المفكر الذي تصدر عنه، بل هي شخصية المفكر نفسه عندما تلامسها وتقترب منها تتعرف كثيرًا على المفكر.

وهذا حال المفكر التركي فتح الله كولن، الذي استطاع أن يبني منظومة فكرية متكاملة ومنسجمة، على مدى رحلة فكرية وحركية طويلة، امتدت ما يزيد على أربعين سنة، الأمر الذي يجعل من منظومته الفكرية، منظومة قادرة على مخاطبة كل الأذهان من مختلف الفئات والمستويات الفكرية والثقافية والاجتماعية، بل يجعل منها منظومة يسهل استيعاب مراميها الآنية والمستقبلية، وتقبل التفعيل والتنزيل.

لقد ظل الفكر الإصلاحي في العالم العربي على الأقل، بمختلف مشاربه الفكرية والأيديولوجية على مدى مائة سنة ويزيد، عاجزًا عن إيجاد الخيوط الواصلة بين الفكر في مثاليته وبين واقعية الواقع، أي عاجزًا عن إيجاد تلك الوصفة التي تقبل التنزيل الواقعي.

وظل الفكر الإصلاحي مفتقرًا إلى مخططات عملية وواقعية تراعي خصوصيات الحاضر وتستهدف المستقبل، مع ما يستلزمه ذلك من الصبر الطويل وعدم استعجال النتائج، بل يمكن القول إن مشاريع الإصلاح في العالم العربي كانت مشاريع تُقدِّم نفسها على أنها هي البلسم الذي يشفي كل الأمراض، وتخيَّلت النتائج نظريًّا وحبرًا على ورق، بل بَنَت الحضارةَ وسيطرت على العالم وهي لم تبرح بعد مهدها الورقي، ويمكن القول بأنها ظلّت مجرد مغامرة أدبية يَصنع أبطالها المستحيل، وعلَّة ذلك هو عدم استحضار الشروط الواقعية التي يتحكَّم فيها السياسي والتاريخي والتحوُّلات الاجتماعية والثقافية وصراع المصالح، وغيرها.

ويضاف إلى هذه الملاحظة أن أغلب مشاريع الإصلاح لم يجد واضعوها أنفسهم ملزمين بالإشراف والعمل على تنزيل ما نظَّروه من أفكار ونظريات ورُؤى، فكانت محاولاتهم نوعًا من الترف الفكري الذي يأتيه المصلِح باعتباره صاحبَ فكْرٍ عالِم تتحدَّد وظيفته في مجرد التنظير والتفكير، وعلى الآخرين تلقّي هذا الفكر والتعلّق به والعمل على تنزيله، وقد صنع هذا الإحساس موانع بين المفكِّر وعموم أفراد المجتمع ممن لا ينتمون إلى الفئة الاجتماعية التي ينتمي إليها المفكر نفسه، وكما لم يكن هناك أي تواصل فكري بين المثقف أو المصلِح وجماعات العوام إلا في حالات نادرة، كذلك لم يحرص بعض مفكري الإصلاح على الانفتاح على بعضهم بعضًا من أجل رؤى متكاملة ومتجانسة؛ إذ ظل كل واحد

منهم في بُرجه العاجي يرفض التنازل عن أنانيته وعن مركزيته الفكرية.

وَعَى الإنسان العربي على الخصوص وإنسان العالم الإسلامي على وجه العموم منذ مدة طويلة أسئلة النهضة وتعمق كثيرًا في إثارتها وفي مناقشة إشكالاتها، واستطاع في إطار ذلك كله أن يضع يده على أسبابٍ كثيرة اعتبرها عاملاً مباشرًا في تأخّر العالم الإسلامي، فتعدَّدت الرُّؤى والأفكار التي فسَّرت أسباب الأزمة وإشكالاتها، وكان هذا الأمر عاملاً من عوامل احتدام الجدل بين مختلف مشارب المثقفين والمفكرين، وانتقل هذا الجدل إلى أشكالٍ من الصراع المذهبي والفكري والأيديولوجي، وإذا كان هناك شيء نجح فيه هذا الصراع فهو وضع حواجز بين عالم الفكر وعالم الفعل، وتقسيم المجتمع الواحد في ظل هذا الواقع إلى فئتين:

١- فئة النخبة أو الأقليَّة المثقَّفة والعالمة.

٢- فئة واسعة من العامة الغارقة في همومها اليومية، والعاجزة عن استيعاب حقيقة وجودها ودورها في تفعيل المجتمع.

وقد كان من نتائج هذا الواقع البائس المر أنْ ظل جزء من العالم الإسلامي وخاصة العالم العربي على مدى مائة سنة، يلوك جدل خطابٍ يتوهم أنه سيحقق الإصلاح والنهضة، ولكنَّ الشيء القليل من تلك الأحلام هو الذي تحقق.

الإسلام السياسي وجدل النهضة

كان التيار الإسلامي أحد أهم التيارات التي نشَّطت جدَل النهضة ونقاشها، بل يمكن القول بأنه كان طرفًا بارزًا في هذا الجدل، إلى درجة أن صار هو مركز هذا الجدل، ولكن بإلقاء نظرة على أهم نتائج هذا الزخم الطويل سنجد أن أهم ما ترك من أثر هو تقليصه للمنظومة الإسلامية إلى مجرد خطاب سياسوي، وخطاب محكوم بالأيديولوجي، بل إن خطاب النهضة والإصلاح قد اختُزل في دائرة واحدة هي الدائرة السياسية، وكأن كل المشاكل والإشكالات التي عانى منها العالم العربي على مدى عقودٍ طويلة وأجيال، كانت مجرد مشاكل سياسية وقضايا مرتبطة بالحكم والسلطة، ولذلك ساد الاعتقاد لدى عدد واسع من مثقفي التيارات الفكرية المنطلقة من خلفيات إسلامية وعدد من الجماعات الإسلامية أن قضية الحكم والدخول إلى عالَم السياسة هو سبيل كل إصلاح، وغطَّت هذه الاقتناعات على مساعي تيارات أخرى ألغت السياسي والحكم من قاموس رؤيتها، معتبرة وضع أسس الانطلاق الحضاري الحقيقي من تربية وتعليم وتوحيد للرؤية وصقلها هو السبيل المثالي المؤدي إلى كل نهضة وإصلاح.

غطَّت مثل هذه الأفكار والمواقف أعين المثقف عن

لم يجد واضعو أغلب مشاريع الإصلاح أنفسهم ملزمين بالإشراف والعمل على تنزيل ما نظروه من أفكار ورؤى، فكانت محاولاتهم نوعًا من الترف الفكري.

nesemat.com نسيمات nesemat.com

رؤية ما يجري حوله، ففي الوقت الذي كان فيه العالَم المعاصر يجري ويركض في ظل هذا المثقف حبيسَ خطابٍ مثاليٍّ وحبيس خطاب يمدح المنظومة التي ينطلق منها وكأنه يعيش مغامرة خيالية، متوهمًا نفسه بطلاً أسطوريًّا من الماضي، أو شاعرًا يمدح ذاته ويهجو معارضيه ومخالفيه، لم يخل الخطاب الإصلاحي من نبرات داعية إلى الاهتمام بقيم الإسلام وروحانيته، ومن دعوات إلى الاهتمام بالجوانب التربوية والسلوكية، والعناية بروحانية المجتمع على أساس كونها المدخل إلى تغيير حقيقي، لكن مع كل ذلك ظل هذا الخطاب محصورًا في حيز الخطاب لا يكاد يغادره، ولذلك لم تستطع مختلف التيارات الإصلاحية إعادة إنتاج نفسها في صورة أو في أشكال مراعية لخصوصية العصر وتحولاته السريعة، واقتصرت في أحسن الأحوال على بكاء حزين على ما آلت إليه الحال، وإلى مجرد تطلع إلى الوصفة السحرية التي تُخلِّص الأمة من ورطتها الوجودية.

تركيا والمثقف العربي

حتى وقت قريب كان مثقفو العالم الإسلامي لا يكادون يعرفون الشيء الكثير عن مجهودات بعضهم البعض، وهذه الحال تنطبق على العالم العربي مع تركيا، فحتى حدود الثمانينيات من القرن الماضي لم يكن الواقع التركي معروفًا بكل تفاصيله لدى المثقف العربي، إذ كان المجتمع التركي بالنسبة للمثقف العربي هو ما تنقله وسائل الإعلام عن الحالة السياسية التي كان العسكر يؤدون فيها الدور البارز، وأمَّا ما كان يجري داخل المجتمع من تحولات ثقافية فقد كانت شبه مجهولة بالنسبة للمثقف العربي. وبغض النظر عن الأسباب التي خلقت القطيعة بين العالم العربي وتركيا، فقد ظلّت تركيا بالنسبة للمثقف العربي عالَمًا مجهولاً لا يَعرف عنه المثقف العربي سوى معلومات قليلة يغلب عليها اتجاهٌ فكري واحد هو الاتجاه العلماني، وانحصرت معرفة المثقف العربي بالتيار الإسلامي بمختلف توجّهاته على نشاط تيار نجم الدين أربكان السياسي فحسب، إذ كانت نجاحات ومعارك وإخفاقات هذا التيار محطَّ اهتمام المثقف العربي وخاصة المثقف الإسلامي، الذي كان يرى بأن النموذج الأربكاني ينبغي الاحتذاء به، والانفتاح على منهجه نظرًا لأنه استطاع إثبات وجوده في واقع علماني، قد يُعتبر إلى اليوم من أقوى الأنظمة كراهية للدين وخاصة للإسلام. وليس جُزافًا أن نقول: إن هذا التيار قد أسهم إلى حد بعيد في صعود تيارات الإسلام السياسي، وطَبع العمل الإسلامي بصفة عامة بطابع أيديولوجي يتوخَّى الوصول إلى الحكم.

ولا ينبغي فهم هذا الأمر على أن التيارات الإسلامية في العالم العربي لم توجد إلا في ضوء ما تحقق على يد التيار الأربكاني في تركيا، بل إن المقصود أن التيارات الإسلامية في العالم العربي باعتبارها حركات اجتماعية منبثقة في الغالب من خيارات مجتمعية، أوجدت نمطًا تفكيريًّا محدّدًا يتلخَّص في الرجوع إلى الأصول، ورَبْط الإنسان المسلم بهويته الثقافية

والدينية حسب ما تصرح به أدبيات هذه التيارات نفسها، وبالتالي فهي تستمد مشروعية وجودها من خلال ذلك، لكننا لا ننكر أن نجاحات أربكان السياسية قد ألْهبت حماس هذه التيارات، وزادتها يقينًا في كون العمل السياسي هو السبيل الأقرب إلى تحقيق مرامي الإصلاح والتغيير.

ومن الراجح أن الظروف الخاصة التي مرَّ بها العالم العربي من خلال تسلُّط أنظمة هجينة، كانت تمنع على هذه الحركات حق التواجد السياسي، ولذلك شكَّل تكوين أجنحة السياسة لبعض هذه الحركات نوعًا من التحوُّل في المسار، بل اعتُبر عند بعضهم نوعًا من التطور في الرؤية، بل إن الحركات الأم أصبحت تُشكِّل اليوم قاعدة خلفية تهتم بتشكيل الكتل المساندة، وكأن هذه الحركات التي وُجدت من أجل تلبية حاجة مجتمعية ملحة قد اختُزِل دورها في مجرد بناء القواعد المساندة، التي تضمن فوز الجناح السياسي في اللعبة الديمقراطية.

التيارات الدينية في تركيا

ليس غرض هذا البحث التعرُّض لهذه القضية، ولكن القصد هو التعرُّف على نموذجٍ حركيٍّ وفكريٍّ أكَّد وجودَه في الواقع التركي، وانتشرت أصداؤه في العالم باعتباره حركة اجتماعية تتميز بأسلوب تحركها الواقعي. وقد كان على العالم العربي أن ينتظر أكثر من ثلاثة عقود ليكتشف هذه التجارب الحركية والفكرية.

ومن هنا فإنه إلى جانب التيار الأربكاني الذي

nesemat.com نسيمات nesemat.com

كان التيار الإسلامي أحد أهم التيارات التي نشَّطت جدل النهضة ونقاشها، بل يمكن القول بأنه كان طرفًا بارزًا في هذا الجدل، إلى درجة أن صار هو مركز هذا الجدل.

انتشر صيته في العالم العربي بحكم ممارسته للعمل السياسي منذ وقت مبكر، توجد تيارات أخرى إسلامية لها تأثير كبير جدًّا في المجتمع التركي، وهي تيارات انخرطت في المجتمع وكان لها تأثيرها الجلي في المجال السياسي، ليس عن طريق المشاركة الفعلية والمباشرة، ولكن بحكم ارتباطها بالمجتمع واتصالها بمختلف فئاته، ولذلك فإن الأحزاب السياسية المتنافسة كثيرًا ما طلبت ودَّها، والتجأت إلى هذه الحركات لطلب مساندتها والتصويت لها في الانتخابات، ومن هذه الجماعات يمكن أن نذكر حركات النور أو حركة النوريين نسبة لأستاذهم بديع الزمان سعيد النورسي بمختلف تياراتهم، وخاصة التيارات التي تلتزم بروح فكر الأستاذ بديع الزمان سعيد النورسي، الذي حرَّم على نفسه ممارسة السياسة والخوض فيها، باستثناء تيار واحد وهو تيار "آسيا الصغرى" الذي يبيح العمل السياسي، مؤولاً موقف الأستاذ بديع الزمان سعيد النورسي من السياسية وابتعاده عنها حتى وفاته بكونه كان اختيارًا مرحليًّا، وأن الأستاذ لم يُحرِّم العمل السياسي مطلقًا.

وإلى جانب حركة النور، عرف المجتمع التركي في أَوْج الحكم العسكري والعلماني صعود نجم

الشيخ سليمان أفندي، الذي نذر حياته كلها لخدمة المجتمع التركي، بإرسائه أُسُسَ منهجٍ يقوم على تعليم اللغة العربية والعلوم الشرعية وإقامة مدارس خاصة لذلك، وكان كل ذلك يتم بروح صوفية واضحة وجلية، أو على الأقل، كان هذا هو المظهر الذي عمل الشيخ سليمان أفندي على ربط الجماعة به، وقد شكَّل دخول بعض الشخصيات البارزة في الجماعة إلى عالم السياسية، من خلال المشاركة في انتخابات برلمانية سابقة نوعًا من التحوُّل في توجُّه الحركة.

كولن وحركة الخدمة

وأما الحركة الأكثر حضورًا في العمل الميداني فهي حركة "الخدمة"، التي ترتبط فكريًّا بشخصية المفكر العالمي والداعية محمد فتح الله كولن، وهي حركة ذات تراث حركي غير مدوَّن، ولا يُعرف على وجه التحديد طبيعة هيكلها التنظيمي، ولا حجم إطارها البشري، ولا حتى مستوى حضورها الاقتصادي والمالي؛ وهذا يرجع إلى أن حركة الخدمة لم ترتبط بإطارٍ نظري مسبق عمل المقتنعون به على تنزيله، ولكنها نتيجة حركة نشيطة التفَّت حول فكرة معنوية سعى الأب الروحي للحركة الأستاذ فتح الله كولن إلى إقناع الناس بها على مدى أربعين سنة، ولم تتجاوز هذه الفكرة حدود تقديم عمل نافع يعود بالنفع على الوطن، وذلك بتوظيف الطاقة البشرية التي تُعتبر هي الثروة الفعلية في كل نهوض حضاري ومدني. وعلى الرغم من عدم وجود معطيات دقيقة ومعطيات إحصائية عن حجم موارد الحركة البشرية وحتى مواردها المادية، إلا أنها تبقى مع ذلك حركة قوية الحضور.

وإذا كان البعض يأخذ عليها مبالغتها في السرية وفي إخفاء منهج اشتغالها، فهذا يرجع إلى عدم وضعها لمنهج محدد ومرسوم تسير عليه، بالإضافة إلى أن منهج الحركة ما زال في مرحلة التكوُّن، إذ مازال الأستاذ فتح الله يضيف في هذا المنهج وفق متطلبات الواقع، والتحوُّلات التي يعرفها المجتمع التركي والمجتمع العالمي.

ومما يسجل بخصوص هذه الحركة هو تحولها إلى حركة عالمية خلال العقدين الأخيرين من خلال توسيع دائرة الاهتمام تجاه الإنسانية كلها، وذلك بالتركيز على التربية والتعليم، إذ اللافت لنظر كل باحث هو تلك الرؤية الشمولية التي تميز فكر الأستاذ فتح الله كولن وفكر الخدمة، فالحركة لم تحصر رؤيتها الإصلاحية في حيز ضيق هو تركيا بل تجاوزت ذلك إلى مناطق مختلفة من العالم، الأمر الذي يتيح للباحث إمكانية الحكم على رؤية الحركة بأنها رؤية عالمية وليست محلية، وهذا تؤكّده أدبيات الأستاذ فتح الله وتؤكّده الأدبيات التي يكتبها بعض تلاميذ الأستاذ ممن يشتغلون بالصحافة وعلم الاجتماع وعلوم أخرى.

تعتمد الحركة خلفية فكرية هي عبارة عن تراث خطابي مؤثر بدأه الأستاذ فتح الله منذ ما يزيد عن أربعين سنة في مساجد تركيا الجامعة، بالإضافة إلى كم من الكتب والمقالات، وعلى تجربة عملية

اكتسبها الأستاذ فتح الله كولن واعظًا ومعلمًا ومربيًا، وهي التجربة نفسها التي تلقَّاها الرعيل الأول الذي التفَّ حوله، وعمل على نشرها من خلال إشرافهم على بيوت الطلبة وعلى المنامات، يضاف إلى ذلك عمل تكويني في العلوم الشرعية وعلوم الآلة وعلوم أخرى، وفق منهج أصيل وبأسلوب عصري يمزج بين الأصالة والمعاصرة، يُختار له نخبة الطلبة المتخرجين من أعلى المعاهد والكليات.

والظاهر أن منهج الحركة يتسم بالمرونة، إذ ليس هناك منهج صارم ينبغي الالتزام به وعدم الخروج عنه، ولكن توجد هناك رؤى وتصورات عامة يمكن تكييفها حسب الأحوال والمواقف والأماكن، والمرونة مطلوبة بالنظر إلى طبيعة الفعاليات المتعامل معها، والخصوصيات الثقافية والفكرية والتاريخية والاجتماعية والجغرافية، التي تفرض نفسها.

إن النواة الصلبة بالنسبة لحركة الخدمة هي شخصية الأستاذ فتح الله كولن التربوية والعلمية والحركية، فالإطار البشري الذي تكوَّن وتثقَّف ثقافة العصر، ودرس في مدارس وكليات المجتمع الذي ينتمي إليه، حصَّل إلى جانب هذه الثقافة وبالتوازي معها ثقافة أخرى هي فكر الأستاذ وتوجيهه، بل لقد حصَّن هذا الإطار البشري ثقافته الأولى بثقافة فكر الأستاذ. وإذا أردنا تلخيص أهم ما سعى الأستاذ فتح الله كولن إلى بنائه على مدى عمره الحركي، فلن يتجاوز تكوين إطار بشري صالح لوطنه وأمته، ويتفاني في خدمتهما وفي خدمة الإنسانية بروح تنكر

يسعى الأستاذ كولن لبناء وحدة سلوكية تُوَحِّد مختلف فئات المجتمع المسلم، بل والمجتمع الإنساني في إطار رؤية موَحَّدة وعامة تلتقي عندها كل الاختيارات وتتناغم ولا تتنافر، في ظل وحدة المصير.

nesemat.com نسيمات nesemat.com

ذاتها من أجل مصلحة الآخرين.

ويمكن للباحثين الاعتماد في تحليل حركة الخدمة ودراستها على رصيد من الندوات العلمية، التي اتخذت من فكر الأستاذ فتح الله ومن حركة "الخدمة" التي أسسها موضوعًا لها، زيادة على العديد من مؤلفات الباحثين المتخصصين في مجالاتهم وخاصة في العلوم الاجتماعية والإنسانية حول فكر الأستاذ فتح الله وشخصيته.

أما هذه الدراسة فستحاول مقاربة مفهوم من أهم المفاهيم في فكر الأستاذ فتح الله كولن وهو مفهوم "الوعي الجمعي" الذي وُظِّف عند عدد من المفكرين والباحثين، وخاصة في مجال علم النفس وعلم الاجتماع والأنتربولوجيا. ولا يعني هذا أن الأستاذ فتح الله يعيد توظيف المفهوم نفسه، ولكنه يستعير المفهوم ليعبِّر به عن جملة هموم وقضايا تؤرقه في الآونة الأخيرة كما تؤرق عددًا كبيرًا من المتابعين والمفكرين والمهتمين في العالم العربي.

مفهوم الوعي الجمعي

يستمد مفهوم الوعي الجمعي أسباب نزوله من الواقع الذي عرفه العالم العربي في المرحلة

الأخيرة. فالمفهوم وإطاره النظري يستمد شرعية إعادة طرحه في رؤية الأستاذ من كونه مفهومًا يرغب النظر من خلاله لهذه الأحداث نظرة مختلفة ومن زاوية مختلفة، ربما هي زاوية الحكمة والعقل والتوازن والاتزان.

لا شك أن أسباب النزول الأولى قد كانت في مرحلة سابقة عما عرفه العالم العربي، لكن هذا المفهوم بحكم ما يميزه من انفتاح وإمكانية التفاعل مع كل الأحداث، وكيفما كان توجُّهها وطبيعتها، وكيفما كان زمنها ومكانها، فقد أُعيد بعثه ليكون نافذةً يَنظر من خلالها الأستاذ فتح الله إلى ما عرفه العالم العربي من حراك، والمفهوم في حد ذاته إنما هو جزء من رؤية الأستاذ إلى كل ما يعرفه المجتمع الإنساني من تحولات، فالأستاذ لا يفتأ يُذكِّر بضرورة التفاعل المتعقل والمتوازن والحكيم مع كل الأحداث والتحولات، فالمفهوم يُستحضر في ظل مفهوم آخر وهو مفهوم سيكولوجية الجماهير، بحكم ما يعكسه هذا من اندفاع وغياب لروح التعقل والاتزان والتوازن.

رؤية إنسانية موحدة

ولكن أيًّا كان سبب النزول، وأيًّا كانت العوامل الكامنة خلف إنزال هذا المفهوم، فإن ما يمكن تسجيله بهذا الخصوص هو أن الأستاذ يرمي إلى بناء وحدة سلوكية تُوَحِّد مختلف فئات المجتمع المسلم، وحتى المجتمع الإنساني في إطار رؤية موحدة وعامة تلتقي عندها كل الاختيارات وتتناغم ولا تتنافر، في ظل وحدة المصير. بعبارة أخرى إن سياق هذا المقال ومفهومه يتفرع إلى سياقين عام وخاص. فأما العام فيتمثل في كون المفهوم مفهومًا عامًا يعني الإنسان بصفة عامة والإنسان المسلم على الخصوص في كل زمان وفي كل مكان. وأما السياق الخاص فيتصل بما أشرنا إليه سابقًا وهو الواقع بكل تفاعلاته الذي عاشه العالم الإسلامي مؤخرًا.

تُلح المقالة[1] على أن أهم المراحل التاريخية في حياة أمة من الأمم هي مراحل التحوُّل وفترات التغيير الاجتماعي لأن هذه الفترات هي أشد المراحل تأزُّمًا في تاريخ الأمم، يقول: "إن أشد الفترات تأزُّمًا في حياة الأمم هي الفترات التي تعيش فيها حالة تغيُّر اجتماعي، وتُعيد فيها تشكيل بنائها الذاتي من جديد. وإن حالها في هذه الظروف تُشبه حال الأحياء التي تدخل مرحلة "التحوُّل البيولوجي"، حيث إنها طوال عملية التجدد تتقلب وسط أوجاع مخاضٍ مرهقة، وتقاسي كروبًا مضنية، وتكابد آلامًا متتالية لكي تطرح عنها عناصر بالية مضرّة، وتُطوِّر بدلاً منها عناصر جديدة نافعة... كذلك في فترات التحوُّل الاجتماعي وبسبب الأحداث التي تثير حالة التوتر لدى الجماهير لا مناصَ من الوقوع في براثن الأزمات سواء على مستوى الفرد أم الجماعة"، لكن حالة التحوُّل والتغيير هذه ومسلسل البناء ينبغي أن يتم فيه الاحتكام إلى الثوابت، وأن تحترم فيه المنطلقات الذاتية التي لا وجود للأمم بدونها.

ولذلك يلح الأستاذ على من يعيشون هذا التحوُّل

باستحضار التعقل والمنطق، وعدم الانحراف عن المقاصد النبيلة، وعدم الانجراف خلف العواطف المندفعة والتصرفات الطائشة التي قد تسيء إلى روح "الملتقى القدري" الذي تعيشه الجموع في المرحلة، لأن الملتقيات القدرية كما يسميها الأستاذ فتح الله كولن قد تحمل في طياتها «إمكانية الرقي والتألق الباهرين، ولكن قد تنتهي بها -بسبب اندفاع الجماهير وجشع المتمركزين في القمم- إلى انهيار فجائي لكل ما تم بناؤه حتى تلك اللحظة، والعودة إلى نقطة البداية من جديد وتلك لعمري مأساة قلما خلت منها حقبة من زمان"[٢].

الوعي الجمعي وسيكولوجية الجماهير

يمكن تصور ما يشغل الأستاذ فتح الله كولن -وهو الرجل القوي الملاحظة عميقها- أن يُنحَرَفَ بهذا التحوُّل إلى جهة تعاكس الأوضاع التي تناسب الملتقى القدري، والسير الطبيعي لعملية التحوُّل وذلك باستغلال أصحاب المصالح الخاصة، والعقليات المنحرفة المندفعة لدرجة التهور لنفسية الجماهير المندفعة أو ما يعرف بسيكولوجية الجماهير، فتكون النتيجة عكس المصالح العامة. بحنكة الخبير والعارف بطبيعة النفسيات والعقليات ينبه الأستاذ فتح الله إلى خطورة الانسياق وراء سيكولوجية الجماهير، لأن الإنسان في مثل هذه الظروف والأحوال التي تحتاج إلى التعقل قد ينسلخ من الحالة الفردية انسلاخًا تامًا ويلبس لباس "سيكولوجية الجماهير ويتحول إلى كيان جماهيري،

يضع الأستاذ فتح الله مفهوم "الوعي الجمعي" في مقابل سيكولوجية الجماهير في إطار يبدو فيه الوعي الجمعي هو المقياس الذي يضمن الحركة المُمْحِصة والبصيرة.

nesemat.com نسيمات nesemat.com

حتى يصير جزءًا لا يتجزأ من الحشود التي تندفع كالسيل الهادر نحو اتجاه واحد ينبغي الوصول إليه ولا ترضى عنه بديلاً. وفي سبيله تلك تجرف كل ما حولها من عناصر، وتدفع كل ما يعترض سبيلها بغية الوصول إلى هدفها المنشود. إن الأفراد الذين تعرضوا لتحول ذهني كهذا، لا يستطيعون أن يعملوا بعقلية الفرد المتثبت المُمحِّص البصير، بل يندفعون مأخوذين بـ"سيكولوجية الجماهير" وعقليتها منقادين لتوجهاتها، منصاعين لأوامرها"[٣].

يضع الأستاذ فتح الله مفهوم "الوعي الجمعي" في مقابل سيكولوجية الجماهير في إطار يبدو فيه الوعي الجمعي هو المقياس الذي يضمن الحركة الممحصة والبصيرة. فما حد "الوعي الجمعي" عند الأستاذ فتح الله كولن؟

إنه نمط من الوعي وأسلوب فكري، يرتكز على التمحيص ويقوم على رجاحة العقل؛ ونمط من يقف في الطرف المعاكس لسيكولوجية الجماهير؛ ونمط في التفكير يقوم على التعقل والتمحيص والتثبت والتروي؛ ونمط يرتكز على مراعاة الحاضر وملاحظته كما المستقبل، في التدبير والتقدير؛ ونمط يعتمد على معاينة الجزء مع الكل جنبًا إلى جنب في الآن

نفسه. يقول كولن: "إن نمط الوعي الجمعي ينبني على التعقل والتمحيص والتثبت والتروي، وملاحظة الحاضر والمستقبل معًا في التقدير والتدبير، ومعاينة الجزء مع الكل جنبًا إلى جنب في آنٍ واحد. ومن ثم كنا وما زلنا نحض على ذلك النمط من الوعي وننصح به باسمرار"[٤].

ومن هذا المنطلق فإن الوعي الجمعي هو البوتقة التي تحمل سبب وجود الأمة، وأسرار بنائها. فالوعي الجمعي هو الخزَّان الذي اختزنت فيه عناصر وجود الأمة وبقائها ومقومات استمرارها في المستقبل، وتختزل فيه كل العناصر التي تجعل من الأمة أمة بين الأمم. بل إن هذا الوعي الجمعي هو الذي حمى وسيحمي هذا الاستمرار رغم الصعوبات الجمَّة والمكاره التي عرفتها الأمة خلال فترات من تاريخها القريب. يقول: «إن الوعي الجمعي يحمل في أعماقه أسبابَ وجودنا وأسرار بقائنا أمة، إذ يستقي مادة حياته من منبع ثقافتنا الدينية وهويتنا الذاتية، وبفضله تتناغم مكارم الأخلاق مع الحياة الاجتماعية، إن الانفعالات التي تصدر عن الأفراد ذوي "الوعي الجمعي" تنسجم فيها العاطفة الجياشة مع السلوك الواعي المنتظم، والحيوية المتدفقة مع الإقدام المتبصر المتزن. وإذا ما تم تثمين هذه الأفعال في فترات التحوُّل فإنك لن تجد ميزانًا يستطيع أن يوفيها قدرها، لأنها قد بلغت قيمة ما بعدها قيمة بالدور العظيم الذي قامت به، وشتان بين وزنها في مثل هذه الظروف الحرجة ووزنها في الأوقات العادية"[٥].

فالوعي الجمعي يحتوي كل هذه الأهمية لأنه يستمد شرعيته وقوة بقائه ومادة حياته من الهوية الدينية والهوية الثقافية والهوية الذاتية للأمة، لأن هذه المكونات هي ما يضمن -حسب الأستاذ فتح الله- علاقة منسجمة مع الحياة الاجتماعية والواقع الاجتماعي، فكل شيء ينبغي أن يُعرض على مجهر الدين والهوية الثقافية للأمة، فالدين ومكونات الهوية الثقافية هو ما يصنع الأمة، ويصنع هويتها، ولذلك فإن الوعي الجمعي هو الضامن الذي يقي الجموع من أن تتصور الحلول في منظومات تقع خارج هويتها الدينية والثقافية، وكأن الأستاذ يحذِّر الجموع وقد ولجت في حالة من التحول الذهني والفكري أن تنتبه إلى مقوماتها الذاتية، وألا تقع فريسة للغير الذي قد لا يهمه من حالة التحول التي تعيش على إيقاعها الأمة سوى ما يجنيه من مصالح.

يختم الأستاذ فتح الله هذه المقالة بخارطة طريق عام تجعل التحوُّل الذي عرفه العالم العربي والعالم الإسلامي تحوُّلاً ينفع المستقبل ويجعل منه بابًا مؤديًا إلى الآمال التي تعيش في قلب كل فرد من أفراد الأمة.

وفي هذا الإطار يوجه بدوره إلى المثقفين داعيًا إياهم إلى ضرورة التواصل فيما بينهم، وضرورة ترك التباين في وجهات النظر لأجل مصلحة الوعي الجمعي، بل إن الوعي الجمعي نفسه إذا كان حاضرًا ومتمكنًا من النفوس سيؤدي حتمًا إلى هذا

السلوك. والسؤال الذي يفرض نفسه في هذا المقام هو كيف يُبنَى هذا "الوعي الجمعي"؟، وما الشروط الفكرية والمنهجية لعملية البناء هذه؟ وكيف نُجهِّز أرضية بنائه؟

ليس البناء قضية بسيطة وسهلة، بل هو عملية مركّبة تحتاج إلى جملة شروطٍ من بينها شرط الوعي الكلي بأهمية البناء وفق منهج واضح وأهداف ومرام محددة وإلى أرضية قابلة للإنبات. فككل فلّاح مقبل على مهمة الزرع عليه النظر أولاً في المواد التي تخدم أرضه، إذ ليس كل المخصبات والأسمدة مهيأة لذلك؛ فهناك مخصبات تبدو برَّاقة وجميلة وذات أسماء رنانة، لكنّ المصنع الذي صنعها يعارض الفطرة.

إن الفلاح الناجح هو الفلاح الذي يقوم بتحليل أسمدته وتحديد طبيعة المخصبات، ثم بعدُ تأتي عمليةُ تهيئة الأرض لمدِّها بهذه المخصبات.

إن المراد بالأرض هو الإنسان الفعال، والسماد الذي يُمكِّن هذه الأرض الخصبة من الإنبات هو القرآن والسنة النبوية.

النور الخالد وبناء الإنسان

للأستاذ فتح الله في هذا الباب رؤية متكاملة حول بناء الإنسان، وقد نذر حياته كلها لإيجاد نموذج بشري منخرط بكل كيانه في دائرة الوعي الجمعي، ويُعتبر كتاب الأستاذ فتح الله "النور الخالد محمد ﷺ مفخرة الإنسانية" من بين أهم ما كتبه في طريق بناء مشروعه الإصلاحي، وفي طريق إعادة الأمة إلى شهودها الحضاري، وهو إذ يجتهد ويكد من أجل

يُحَذِّر كولن الجموع الساعية للتحوُّل الذهني والفكري، أن تنتبه لمقوماتها الذاتية وألا تقع فريسة لمن لا يهمه من حالة التحول التي تعيشها الأمة سوى ما يجنيه من مصالح.

nesemat.com نسمات nesemat.com

كل ذلك ينطلق من اقتناع راسخ بأن قيم الإسلام والمسلمين ستؤدي مهمة سامية في المستقبل من أجل إنقاذ إنسانية الإنسان.

وفي هذا المقام يبرز نموذج الرسول ﷺ الذي يعتبره الأستاذ فتح الله باقتناع كلي أنه أستاذ العالم نظرًا لأن الله تبارك وتعالى اختاره لكي يؤدّي وظيفة محددة وهي تمثيل الخطاب الإلهي المنزل عليه في القرآن الكريم.

إن القرآن الكريم الذي هو بيان الله الختامي المنزل إلى العالمين قد اختير له الرسول ﷺ لكي يُبلّغه للناس، ولكي يكون النموذج الإنساني المثالي الذي تتمثل فيه كل مظاهر العبودية لله. فاهتمام الأستاذ بالسيرة النبوية يستمد مشروعيته من كون شخصية الرسول ﷺ هي النموذج المثالي للإنسان في كل عصر ومكان وفي جميع الأحوال والمواقف.

عتبات تضيء عالم النص

العتبات هي المدخل الذي يُولَج منه إلى كل نص، واجتياز العتبة والقفز عليها قد يُفَوِّت على الداخل معرفة ما تُقدِّمه هذه العتبات من معطيات ومعلومات مفتاحية تُضيء عالم النص، كما أن القفز عليها قد ينحرف بالفهم والتأويل في اتجاه

لا يَرغب الكاتب فيه، دون إهمالِ ما يحمله هذا القفز من اقتحام غير شرعي لعالم النص، الأمر الذي قد يدفع النص إلى ممارسة نوع من المقاومة، كما يُقاوَم الغزاة، فيمتنع على الفهم والاستيعاب. وتنقسم عتبات النور الخالد إلى قسمين، قسم تحضر فيه شخصية المؤلف حضورًا مباشرًا، وقسم يحضر فيه الكتاب باعتباره محور العتبة. فأما القسم الأول فهو العنوان ومقدمة المؤلف نفسه وهو الأستاذ فتح الله، وأما القسم الثاني فتحضر فيه شخصية مقدم النسخة العربية للكتاب، وتحضر فيه مقدمة المترجم، وكلا الشخصيتين تُلِحَّان على أهمية الكتاب من جهة اهتمامهما بسيرة أهم شخصية في تاريخ الإنسانية كلها، كما تُشيدان بشخصية المؤلف، ويعتبر الدكتور "محمد عمارة" في تقدمته لهذا الكتاب أن القضية تتعلَّق بتأليف مُبدع في مجال السيرة النبوية لأنها تعكس رؤيةَ عالمٍ جليل لسيرة الرسول ﷺ، وتعكس في الوقت نفسه حبَّه لشخص الرسول ﷺ وتقديره له، يقول بعد أن تحدث عن أهمية سيرة سيد الخلق: "بهذه الأفكار والخواطر أستقبل دائمًا وأبدًا كل إبداع جديد في سيرة المصطفى ﷺ، وبها أُقدم بين يدي هذه الطبعة الجديدة لهذا العمل الفريد في سيرة المصطفى ﷺ، النور الخالد.. ومفخرة الإنسانية، ذلك الذي أبدعه العالم الجليل محمد فتح الله كولن. لقد أبدعه بقلب المحب وعقل المحقق، فجاء على هذا النحو الجليل والجميل، الذي يقود القلوب والعقول إلى عشق سيد الخلق، والاقتداء بصاحب الخُلق العظيم"[٦]. علينا أن نُسطِّر على إشارة ذات أهمية كبيرة من عالِمٍ وخبيرٍ في مجال الفكر الإسلامي وهو الدكتور محمد عمارة، الذي يؤكّد بأن الكتاب إبداع في مجال السيرة النبوية، وهي شهادة تعكس إلى حدٍّ بعيدٍ أن ما قدمه فتح الله في الكتاب ليس تناولاً مكرَّرًا، بل هو تناولٌ مختلفٌ للموضوع من زاوية جديدة؛ هي زاوية جعل السيرة قضايا ومواضيعَ تقارب الواقع الإنساني في العصر الحديث. وإذا كان لهذا التقديم من دلالة فهي إسباغ المشروعية الفكرية والعلمية والمعرفية على الكتاب وصاحبه، فنحن بهذه الشهادة لسنا إزاءَ عملٍ استهلاكي ولا عمل تجاري، بل هو عملٌ إصلاحي تتوفر فيه جميع الشروط المعرفية.

وإلى جانب هذه المقدمة نجد تقديم المترجم المرحوم أورخان محمد علي الذي ركز في تقديمه للترجمة على ما يعيشه العالم الإسلامي من مخاضٍ وعودة الحياة لشجرة الإيمان، واخضرار أوراقها، وعودة الغريب إلى دياره بعد طول غياب ولوعة وفراق، ولذلك يُعتبر كتاب "النور الخالد" في نظر المترجم كتابًا يتناول فقه السيرة وحكمتها ومعانيها وأسرارها، باعتبارها نبراسًا تغذي الصحوة وتنير الطريق وتحذر من مخاطرها ومفاوزها، بل يعتبر الكتاب كتابَ كل مسلم يعيش الصحوة.

ومما تفصح عنه مقدمة المترجم كون الكتاب في أصله خطبًا وعظية ومحاضرات خصَّصها الأستاذ

فتح الله لشرح فقه السيرة النبوية الشريفة، ودلائل النبوة، وإبراز معالم شخصية الرسول ﷺ بنية تنبيه الناس إلى عظمة رسولهم الكريم، بعد فتن الهجوم على شخصية الرسول ﷺ وعلى سنته ﷺ، وبالنظر إلى أهمية ما كان الأستاذ يحرص على التركيز عليه في سيرة الرسول ﷺ وهو ربط معالم سيرته بما كان الواقع يموج به من أحداث وتحامل وفتن وأزمات.

ومما تكشف عنه هذه الإشارات في مقدمة المترجم هو تحديد الفترة الزمنية التي قُدِّمت فيها خطب الأستاذ ومحاضراته، وهي فترة ممتدة من ١٩٨٩ إلى ١٩٩٠، وهي فترة مليئة بالأحداث التي قد تَطرح على الباحث في فكر الأستاذ فتح الله أن يحلل مكونات "النور الخالد" وقضاياه في ضوء الأحداث الاجتماعية والسياسة المحلية والدولية التي تطفو على السطح فتحتاج إلى رؤية حكيم مجرب مستوعب لروح الوعي الجمعي كالأستاذ.

عنوان الكتاب

وقبل الحديث عن مقدمة الأستاذ فتح الله وأهميتها، لابد لنا من وقفة تأملية مع أول عتبة تواجه المتلقي وهي عتبة العنوان، ولا يخفى الدور الاستراتيجي الذي يقوم به العنوان في تحديد هوية النص وتقديمه لجمهور المتلقين، فالعنوان يتكون من مجموعة من العناصر تُشكِّل مجتمِعة البطاقة التعريفية بالكتاب، فعبارة النور الخالد، هو اسم المجهود الفكري والمعرفي والإبداعي الذي يقدّمه شخص اسمه فتح الله كولن.

يتَّسم منهج حركة الخدمة بالمرونة، فليس هناك منهج صارم ينبغي الالتزام به وعدم الخروج عنه، ولكن توجد رؤى وتصورات عامة يمكن تكييفها حسب الأحوال والمواقف والأماكن.

nesemat.com نسيمات nesemat.com

يتكون عنوان الكتاب من عنوان مركزي هو "النور الخالد" وهو جملة اسمية تتكون من مبتدأ ونعت، ومبتدأ ثان هو الاسم العلم "محمد" فالجملة تتكون من مبتدأين، والذي جَوَّز اعتبار محمد مبتدأ ثانيًا هو كونه معرفة إذ لا يستقيم الابتداء بالنكرة، وقد نُعت المبتدأ الثاني بكونه مفخرة الإنسانية.

والظاهر هنا أن عنوان الكتاب قد اُختير بعناية كبيرة وهي عادة الأستاذ فتح الله كولن، فالعنوان لم تحدد طبيعته ومضمونه شروط تجارية، بقدر ما تحكمت فيه الغايات والمرامي التي يريد المؤلف التنبيه عليها في الكتاب، وهي مرام فكرية إصلاحية بالدرجة الأولى.

وإذا كان الخبر محذوفًا فهذا لتأكيد أن خبر هذه الجملة الاسمية المركبة يوجد في الكتاب، ودلاليًا يُلح العنوان على أن النور الخالد في الحقيقة هو محمد ﷺ، بمعنى أن النور الذي تلقاه سيبقى مستمرًّا وخالدًا إلى أن تقوم الساعة، وإذا ما أنعمنا النظر في العنوان من زاوية ما يقوله الأستاذ في المقدمة، فإن هذه الدلالة ستتأكد أكثر. فالأستاذ فتح الله كولن يعلن منذ العنوان عن نظرته لصاحب السيرة النبوية المشرفة محمد ﷺ وهو كونه نورًا خالدًا، ومفخرة للإنسانية.

مقدمة المؤلف

إذا كان العنوان يكشف هوية النص وطبيعته، ويعكس كذلك موقف المؤلف ورؤيته، فإن المقدمة تُحدد المعالم الأساسية لقراءة الكتاب، وتعكس في الوقت نفسه مرامي الكاتب وأغراضه ورؤيته، لذلك لا ينبغي القفز عليها بل هي أجدر محطات الكتاب بالاهتمام والتحليل؛ لأنها كما العنوان آخر ما يوضع في الكتاب، فالعنوان على سبيل المثال على الرغم من أنه آخر ما يُفكر فيه لكنه مع ذلك يحتل الصدارة، الأمر الذي يجعله عنصرًا خطيرًا، ويُعلَّق على قمة النص كالثريا، والأمر نفسه يقال بالنسبة للمقدمة فالمقدمة لا توضع عادة قبل النص لأن المؤلف أو الكاتب أو الشاعر لا يمكنه تقديم شيء لم يوجد بعد ولم يولد، ولذلك كانت المقدمة بمثابة خلاصة مركزة لأهم قضايا الكتاب وموضوعاته وأفكاره، فهي تشرح بصورة مركزة رؤية المؤلف وأفكاره وقضاياه، وكأن حال المؤلف يقول هذا أهم ما يوجد في الكتاب فَعَلى المتَلقِّي القارئ الدخول إلى عالم النص لكي يكتشف تفاصيل ما جرى التلميح إليه في المقدمة. وبالنسبة لمقدمة كتاب "النور الخالد" فهي تعكس ما أشير إليه سالفًا فقد وُضعت بعد الانتهاء من جمع الكتاب، وقد أشير سالفًا إلى أن الكتاب كان في الأصل سلسلة دروس ومحاضرات ألقيت في المسجد وجمعت بعد ذلك واعْتُني بتوثيق المصادر وتخريج الأحاديث، ثم عُرض الكتاب على الأستاذ ليُنقِّحه وليكتب مقدمته.

يحدد الأستاذ منذ أولى كلمات المقدمة سبب الكتاب وعلته، أو هو بالأحرى يحدد ما يُشَكِّلُه موضوع الكتاب من أهمية بالنسبة له يقول: "إن تسليط الأضواء على شخصية الرسول محمد ﷺ السامية، وشرحها وبيانها، ثم تقديمها كمنقذ للبشرية، وكإكسير للمشاكل المستعصية على الحل، وللأمراض غير القابلة للشفاء، وإظهار هذه الشخصية السامقة وسيرتها بما هي أهل له كان رغبة ملحة لديَّ -كما هي عند كثيرين- وهاجسًا من هواجس فكري ومشاعري، وموضوعًا مهمًّا من المواضيع التي لا سبيل للوقوف أمام سحرها وجاذبيتها أو الفكاك منه"[٧].

فتقديم سيرة الرسول ﷺ مثَّلَ عنده رغبةً ملحَّة وهاجسًا من هواجس فكره ومشاعره، عاش على أمل تحقيقها فترة من حياته، لكن هذا الهاجس الملح بقدر ما كان تلبية لأمل خاص وشخصي بقدر ما هو من أجل الآخرين، فالنور الخالد كتاب يحلل فيه الأستاذ العديد من جوانب سيرة الرسول ﷺ في ضوء رؤية إصلاحية عامة تروم الإنسان النافع لأمته ووطنه والإنسانية كلها، ولذلك يجب وضع الكتاب في هذا السياق والتعامل معه على أساس كونه حلقة مهمة في النظام الفكري الذي بنيت مرتكزاته خلال سنين طويلة.

إن كتاب النور الخالد وصفة طبية لعلاج جميع الأمراض النفسية والأخلاقية والحضارية التي تعاني منها الإنسانية، فشخصية السيرة المركزية وهو محمد ﷺ سَيُقدَّم في الكتاب على أساس كونه منقذًا

للبشرية من أزماتها، وستُقدَّم سيرته على أساس أنها دواء بل إكسير لكل مشاكل الإنسانية المستعصية، فشخصية الرسول ﷺ شخصية سامقة وهي أهل لكل ذلك كما يذكر الأستاذ. يذكر الدكتور مأمون فريز جرار في قراءة كتاب النور الخالد، أن الروح التي كُتِب بها النور الخالد هي روح رجل محب وعاشق لشخص الرسول ﷺ، وروح رجل تعلَّق قلبه بسيرته وأحب نقلها للناس كافة، يقول: "هذاالعقل الواعي والقلب المخلص المحب الموالي وجدناه في الداعية فتح الله كولن الذي كتب "النور الخالد" بأسلوب فيه الجديد والفريد فيتناول السيرة النبوية تناول المحب لرسول الله ﷺ، العارف به، المدرك لمنزلته في حياة البشرية قديمًا وحديثًا، المتأدب في حضرته، الساعي إلى تعريف الناس جميعًا به ليكون بلسمًا لأمراض البشرية المعاصرة"[٨].

ويذكر الأستاذ في هذه المقدمة جملة من الأسباب توجب دراسة السيرة النبوية والتعامل معها بروح جديدة واتخاذها منهجًا للحياة المعاصرة، ومن أهم هذه الأسباب أنه رغم كل محاولات الهدم والنَّخر التي تسلَّطت على هذا العصر فقد ظلت قيم الإسلام ونداء الأذان الذي يشهد بأن محمدًا رسول الله ﷺ، كما ظلت الروح المحمدية قادرة على فتح آفاق السمو نحو الأعالي، يقول: "ونستطيع أن نشير إلى دليل عظمته فنقول بأنه على الرغم من كل هذا العمل المتواصل لأعداء الله في الداخل والخارج في الإفساد والإضلال، فإننا نرى حتى في هذه الأيام كيف

nesemat.com نسيمات nesemat.com

النور الخالد كتاب يحلل فيه الأستاذ العديد من جوانب سيرة الرسول ﷺ في ضوء رؤية إصلاحية عامة تروم الإنسان النافع لأمته ووطنه والإنسانية كلها.

أن العديد من الشباب في عمر الزهور رغم عدم إحاطتهم التامة بالحقيقة الأحمدية التي ليس من اليسير معرفة مفاهيمها الدقيقة والصعبة يتراكضون نحوه، ويحومون حوله مثلما تحوم الفراشات حول النور. وهذا أمر فريد لا نجد له مثيلاً في العالم؛ فالزمن لم يستطع أن يمحو من قلوبنا ومن صدورنا أي حقيقة من الحقائق العائدة له ﷺ ولا أن يبليها..."[٩].

سلطان القلوب

إن هذا التقدير لعظمة شخص الرسول ﷺ وامتداد انتشار نوره في الآفاق البعيدة في كل مكان، يجعل الزمن مجرد عنصر يزيد سيرة الرسول ﷺ نضارة وحيوية وطراوة في القلوب.

وعلى هذه الأسس وغيرها يؤكد الأستاذ فتح الله أنه لو عملت الأمة على الاهتمام بشخصية الرسول ﷺ كما يهتم الآخرون بشخصياتهم، لما تربّع على عرش القلوب غيره، وهو يعتبر هذه القضية مسؤولية الجميع لا يُعفى منها أي مجال من مجالات المجتمع الحيوية، إذ تقع المسؤولية في الدرجة الأولى على المؤسسات العلمية والمؤسسات الأخرى، يقول: "وأنا أرى لو أننا اهتممنا واعتنينا بتقديمه والاهتمام به

مثلما فعل الآخرون في تقديم شخصياتهم، ولو أن المؤسسات العلمية والمؤسسات الأخرى المتعلقة بشؤون الحياة نذرت نفسها للاهتمام به وشرحه وتوضيحه وبيان جوانب شخصيته، لما تربع على عرش القلوب غيره، ولما تخلل في الضلوع والصدور سواه"[١٠]. فالمسؤولية تقع على الجميع وخاصة المؤسسات العلمية كما يشير الأستاذ، لكن هذا التحديد هو مجرد تحديد في اللفظ ولكن الدلالة المعنوية واسعة جدًّا إذ تكاد تعم كل المجالات التي لها صلة بالعلمية وخاصة حقل التعليم بمؤسساته ونظرياته.

وإذا كان أعداء الرسول ﷺ قد استغلوا كافة المجالات والميادين من أجل تسميم العقول وملئها بشعارات براقة وبالكفر والضلال، فإن الواجب يفرض مطاردة هؤلاء من أجل تنظيف الأدران التي تسببوا فيها، وذلك بجعل شخصية الرسول ﷺ وسيرته محط اهتمام وعناية الجامعات والكليات والمدارس والطبقة المثقفة. والأهم في كل هذه الملاحظات هو تلك الروح المسكونة بالأمل واليقين في المستقبل، فالمقدمة وهي تذكر هذه الصورة الحزينة عما تلاقيه شخصية الرسول ﷺ، تلتفت إلى مختلف مظاهر الأمل والاهتمام بشخصية الرسول ﷺ وعناية مجتمعات أخرى غير المجتمعات الإسلامية بشخصيته، يقول: "إننا نشاهد في جميع أنحاء العالم ولاسيما في أمريكا وانكلترا وفرنسا وألمانيا انبعاثًا جديدًا لمنهجه ﷺ، وحركة دائبة من قبل المسلمين لشرح وبيان مبادئه، ونسج نسيجه المزخرف ذي النقوش البديعة والألوان الجميلة المتناسقة، فكأنهم يعيشون روح عهد النبوة من جديد. ونرى الأمر نفسه في العالم الإسلامي، فقبل قرن أو قرنين كان هناك أناس يشعرون بارتباطهم مع المسلمين عن طيب قلب دون تدقيق أو تمحيص، أما الآن فهناك مثقفون يعرفون لماذا يؤمنون بالإسلام، ولماذا يقتدون بالرسول محمد ﷺ؛ لأنهم بدأوا تحليل المسائل الإسلامية تحليلاً علميًّا دقيقًا، فحتى الآن استغل أعداؤه الجامعات والكليات والمدارس والطبقة المثقفة، وخدعوها بشعارات برّاقة، واستخدموا المؤسسات الوطنية لحساب الكفر والضلال، ولكن كل هذه الأمور آذنت بالانتهاء، وبدأت تتفتت وتذوب وتضمحل مثل جبال الثلج الطافية على المياه، وبدأت الإنسانية تتجه نحو رسول الله ﷺ وتقبل عليه"[١١].

ولكل هذا يتساءل الأستاذ عما إذا استطاعت الأمة فهم الرسول ﷺ فهمًا عميقًا وإدراكه حق الإدراك، وهو لا يستثني نفسه من هذا كما لا يستثني أهل التبليغ والدعوة، فالجميع في نظره يتحمّلون مسؤولية فهم السيرة وإدراك عمقها.

ولذلك فهو يؤمن إيمانًا قاطعًا بأنه لو عَرفت البشرية حقيقة الرسول ﷺ، لتغيّر حالها ولأصبح متربّعًا على القلوب لا يوجد فيها أحدٌ غيره؛ لأن الإنسان يحب بمقياس فهمه وإدراكه ويكره بمقدار جهله، لكن كل هذه المحاولات قد انهارت رغم كل ما بُذل من أجل إقصائه عن القلوب وإهمال ذكره

لدى الأجيال وتنشئتهم على بُغضه وكرهه ﷺ، ومع ذلك ما تزال مرتبته لم تتزعزع ولم تهتزّ.

وتفسير ذلك عند الأستاذ هو أن الرسول ﷺ هو علة الكون والكائنات وسبب وجوده، ولذلك فهو يَعتبِر أنه من العبث كتابة كتاب وإنزاله من غير أن يُدرك مراده تعالى، ولبيان ذلك بَعث الله محمدًا ﷺ لكي يكون شارحًا لمعنى الوجود والكون والكائنات، ومبيِّنًا للإنسان علةَ وجوده ومن أين أتى وإلى أين هو كادح وإلى أي شيء هو مرشح، يقول: "فهو علة الكون والكائنات... فمن العبث كتابة كتاب لا يمكن فهم معناه، والله ﷻ منـزَّه عن العبث، لذا فهناك حاجة إلى مرشد جهوري الصوت مثل سيدنا محمد ﷺ سيد الزمان والمكان لكي يشرح معنى الوجود، ومعنى الكون والكائنات. كذلك هناك حاجة إلى شارح وإلى مبلغ مثله لكي يشرح لهذا الإنسان الذي سُخرت له هذه السماء الواسعة والأرض والشمس والقمر والنجوم وكل الوجود.. يشرح له من أين أتى وإلى أين هو كادح وإلى أي شيء هو مرشَّح؟ أجل، لكي يعلن ويوضح هذا، ويوصل ما وراء أستار الوجود إلى الأرواح. فلو لم يكن موجودًا لما كان للكون ولا للإنسان أي معنى، لأن الرسول محمدًا ﷺ هو الإنسان الذي أسبغ المعاني على الأشياء."[١٢].

وما يؤكد هذه المرتبة العالية لرسول الله ﷺ هو أن جميع الأنبياء قد بشَّروا به وأخذ الله منهم جميعًا ميثاقًا ليؤمنُنَّ به ولينصرُنَّه، بل لقد ظل نشاطهم مركّزًا على التبشير به، ولذلك صلّوا خلفه ﷺ عندما

نسيمات nesemat.com

لا ينبغي فصل كتاب النور الخالد عن روح رؤية الأستاذ فتح الله الفكرية إذ إن كل كتاب من كتبه هو حلقة ضرورية في دائرة الأهداف التي يريد للإنسانية الوصول إليها.

عُرج به إلى السماء، فهذه المرتبة تفرض -كما يؤكد ذلك الأستاذ ضمنًا- أن تُتَّخذ سيرته نبراسًا يُهتدى به، ومنهجه في الحياة وفي السير إلى الله ﷻ قنديلاً يُنير ظُلمة المسير، لأن الأنبياء جميعًا قد اعترفوا من خلال التبشير به والصلاة خلفه بأنه حامل البيان الختامي الذي وجهه الله تبارك وتعالى للناس كافة.

الرسول قدوة كل عصر

وانطلاقًا من هذه الرؤية المفسِّرة لكل ما تمثِّله سيرة الرسول ﷺ، يأتي كتاب "النور الخالد" لِتُفصَّل فيه مختلف مظاهر حياة الرسول ﷺ التي يتوجَّب اتخاذها قدوة، يقول: "إنه كان يُمثِّل الصفات الإنسانية في ذروتها ليكون قدوة وأسوة حسنة لنا. فمثلاً كان رئيس عائلة مثالي، وفي ذلك البيت حيث كان إكسير النبوة يتقطَّر فيه قطرة قطرة، لو توزَّع كل ولد من أولاده الناشئين فيه للعصور، لنشأ منهم مجتهدون ومجددون ينير كل منهم عصره. ولا أدري كم من الناس نجح في معرفته من هذه الزاوية"[١٣]. ولا تقف قدوته في هذا الجانب بل تتعدى إلى ما هو أوسع، وهو تدبير الدولة والقيام بشؤون القيادة الراشدة الناجحة، بالرغم من أنه لم يَدْرس ذلك ولم يتعلَّمه من أحد.

وأما أهم ما يمكن أن يكون فيه الرسول ﷺ قدوة مطلقة في هذا العصر فهو العلم، لأن هذا العصر عصرٌ تتحكَّم وستتحكَّم فيه الحقيقة العلمية، كما يؤكد ذلك الأستاذ بديع الزمان سعيد النورسي في الرسائل، إذ يرى بأن الإنسانية ستنساب في آخر أيامها على الأرض إلى العلوم، وستستمد كل قواها من العلوم والفنون فيتسلم العلم زمام الحكم والقوة.[١٤] [١٥]. ولما كان الأستاذ فتح الله كولن أهم الرجال الذين استوعبوا فكر الأستاذ بديع الزمان سعيد النورسي وعملوا على تفعيله وتنزيله على الواقع، فهو يعتبر أن شخصية الرسول ﷺ هي الموجِّه لدور العلم الحديث في هذا العصر وفي كل العصور حاضرها ومستقبلها، يقول: "ثم إنه الشخص الذي تنتهي عنده العلوم، فكأنه جالس أمام شاشة يشاهد جميع الحوادث حتى يوم القيامة، ثم يخبر عنها. ومع أن عصورًا عديدة مرَّت منذ ارتحاله إلى دار البقاء، ففي المحطَّة الأخيرة التي وصلت إليها البحوث والتقنية المعاصرة بكل إمكانياتها الهائلة، نرى الراية التي ثبَّتها رسول الله ﷺ قبل أربعة عشر قرنًا تُرفرف في السماء، ونرى الذين هداهم الله ﷻ ينطقون بالشهادتين، ويكوّنون حلقة من الحلقات المضيئة لقافلة الإسلام.

أجل، فكما هو ظاهر فالقرآن الكريم يفتح المنافذ أمام العلم كلما انسدَّت السبل أمامه، وإن نقطة النهاية للعلم هي نقطة البداية عند رسول الله ﷺ، ولكن من علّمه كل هذا؟ لقد أخذ درسه من الله "العليم" "الخبير". فوراء هذه المعارف هناك المعلم الأزلي، ومن ثم فإن المعارف التي استقاها لم تتعرض للقِدم والبِلى، بل اكتسبت شبابًا وحيويّة ونضارة كلما تعاقبت عليها العصور، وستتجدد على الدوام ما دامت السموات والأرض"[١٦].

وتأتي أهمية الإلحاح على قضية العلم من طبيعة الرؤية الإصلاحية التي يؤمن بها الأستاذ فتح الله، فهو مقتنع الاقتناع المطلق من أن النهضة السليمة والانبعاث بعد الموت لا بد له من سلطان العلم يأخذ بأسبابه، شريطة أن يرتكز هذا العلم على أسس الرؤية القرآنية، التي تربط كل مظاهر الوجود والكون بالله من جهة الدلالة عليه ﷻ، وأرسخ ما تلغيه هو نظرية الطبيعة.

إن عتبة المقدمة في هذا الكتاب ذات أهمية كبيرة جدًّا لأنها ترسم معالم بناء المفهوم الذي نحاول النظر من خلاله إلى الكتاب وهو مفهوم الوعي الجمعي، فهذا الكتاب محطة مهمة في طريق بناء رؤية جماعية من خلال توحيد القبلة جهة القرآن الكريم ومظهره العملي وهو السيرة النبوية الشريفة.

النور الخالد والمنظومة الفكرية لكولن

بإلقاء نظرة فاحصة على عتبة الفهرس سنلمس كل أبعاد هذا الوعي الجمعي المبحوث عنه، فقد قُسِّم الكتاب وفق منهج واضح يعكس المرامي التي يودُّ الأستاذ فتح الله كولن الوصول إليها، وهي بناء نموذج إنساني جديد معتز بانتمائه الديني والعقدي وبِهُويَّته الثقافية، على شعور كلي بحقيقة

العصر وما يتطلبه من وعي يتطلع إلى تغييره تغييرًا ينسجم وسنن الكون والوجود.

والجدير بالذكر في هذا الشأن هو أن كتاب النور الخالد، يتميز بخاصية قد لا نجد لها مثيلاً في كُتب السيرة الأخرى، وهي إمكانية قراءة الكتاب قراءة متسلسلة تراعي النمو الطبيعي للأحداث، مع التركيز على ما له صلة مباشرة بالمرامي التي يراد الوصول إليها، كما يمكن قراءة الكتاب قراءة انتقائية من خلال البحث عن بعض القضايا الخاصة المتصلة بالسيرة النبوية، من خلال البحث عن جواب المنهج النبوي حول بعض القضايا التي تُعرَض بين الحين والآخر، ولكن هذه الإمكانية لا تُغني عن التحليل واستنطاق الأحداث.

وأَتصوَّر أن البحث في هذا الكتاب واستنطاق قضاياه أوسع من أن تحيط به دراسة سريعة كالتي بين أيدينا، ولذلك فالتفاعل مع الكتاب يحتاج إلى محطات كثيرة، وهو ما نعتزم القيام به فعلاً في دراسة لاحقة هي امتداد لهذه إن شاء الله.

إن كتاب النور الخالد لا ينبغي فصله عن روح رؤية الأستاذ فتح الله الفكرية إذ إن كل كتاب من كتبه هو حلقة ضرورية في دائرة الأهداف التي يريد للإنسانية الوصول إليها.

فمفاهيم الإنسان الجديد وإنسان الفكر والحركية وجيل الأمل وإنسان الوعي الجمعي ومهندسو الروح والأجيال المثالية، وغيرها من المفاهيم الأخرى، هي محور كتب الأستاذ، وبعبارة

مما يسجل لحركة الخدمة رؤيتها الشمولية، وتحولها إلى حركة عالمية خلال العقدين الأخيرين من خلال توسيع دائرة الاهتمام تجاه الإنسانية كلها، وذلك بالتركيز على التربية والتعليم.

nesemat.com نسيمات nesemat.com

أخرى هناك خيط ناظم بين مختلف كتب الأستاذ ومختلف عناصر منظومته الفكرية وهي منظومة الإنسان الجديد لعالم جديد.

ومن هنا فإن قراءة النور الخالد ينبغي وضعها في هذا السياق كما ينبغي وضع الكتاب في حد ذاته في إطار شمولية الرؤية الفكرية الإصلاحية الحضارية التي ينطلق منها هوجا أفندي، والتي يعيش بها على أمل إنقاذ الإنسانية كلها.

الانبعاث من جديد وحركة البعث من جديد والانطلاق نحو المستقبل والإيمان في الذات وفي إمكانيتها، وشيوع البصيرة والعلم والحكمة في المجتمع، كلها عناصر تحتاج إلى طاقة فاعلة وطاقة بانية، وتحتاج إلى رؤية واضحة ومنهج جلي يقتنع الناس به حتى يصير جزءًا منهم، بل لنقل حتى يكون الناس والمنهج كشيء واحد. لقد كانت عائشة رضي الله عنها عندما تسأل عن خلق الرسول ﷺ تُجيب قائلة: كان خلقه القرآن الكريم، وكان قرآنًا يمشي، فهذا النموذج المثالي الذي كانه الرسول ﷺ، والذي تربى الصحابة الكرام والرعيل الأول في ظله، هو ما اقتنع الأستاذ فتح الله بإمكانية تحقُّقه في أجيال هذا العصر الذين يُطلِق عليهم الأستاذ "رجال

الروح والمعنى والبصيرة"[١٧]، فهؤلاء الرجال لا ينبغي الشك في حتمية ظهورهم في هذا العصر، ولا ينبغي الشك في حتمية إنشائهم وبنائهم، ولا ينبغي الشك في قدرتهم على التأثير في مصير العالم والسير به إلى الخلاص، لأن هذه الحتمية تستقي مشروعيتها من وعد الله بأن يورث الأرض لعباده الصالحين، وفي التقدير الأقل فإن هذا هو اقتناع الأستاذ فتح الله الذي لم يوفِّر جهده منذ ما يزيد على خمسين سنة من أجل الوصول إلى تحققه، وبكلام آخر، إن كتاب النور الخالد هو كتاب يرسم طريق الرسول ﷺ وطريق جيل الصحابة الذين جعلوا دنياهم بعدًا من أبعاد الجنة، وكأني بالأستاذ الآمل في بناء الشخصية الروحية والحركية لجيل الأمل تدفعه آماله إلى جيل يتخذ الرسول ﷺ وصحابته الكرام قدوة ومثلاً أعلى ينبغي الاقتداء بسيرتهم ومنهجهم.

إن كل كلمة يكتبها الأستاذ أو ينطق بها هي وجهٌ من أوجه التعبير عن هذا الأمل ووجهٌ من وجوه تحقيقه، فأجيال الأمل تحتاج إلى دستور مفصَّل يراعي خصوصية العصر ويأخذ متطلباته بعين الاعتبار، ولا شك في كون مصدر هذا الدستور هو القرآن الكريم وخطاب الله إلى البشر، لكن هذا الخطاب قد يُستعصى إدراك أبعاده عن فئات واسعة من فئات المجتمع، ولذلك فهو في حاجة إلى روح تدرَّجَت في المقامات وسافرت السفر الطويل من أجل إدراك كُنه الخطاب وعمقه في علاقته بالعصر، وفي حاجة في الوقت نفسه إلى عقلٍ مجرِّب وهمَّة معرفية عالية تستطيع إدراك حقيقة العصر وحاجاته ومتطلباته، وإلى شخصية ذات بُعد نظر وقدرة على معرفة ما يجعل المستقبل آمنًا، ولذلك فإن كتاب النور الخالد هو بعض مقتضيات هذا الدستور الذي يرسم طريق جيل الأمل، الذين ينشغلون "بحساب الغد مع اليوم قيامًا وقعودًا، ويستعملون الإمكانات والحركات الحاضرة أحجارًا لإنشاء الجسور الموصِّلة إلى الغد، ويجدون في حناجرهم غصص نقل الأيام الحاضرة إلى الأيام القابلة... يبتلعون حسابات هذا النقل غصَّة بَعد غصَّة، لأن حل عقدة المعضلة مرتبط بتجاوز الزمن الحاضر والقابل، والقدرة على تحليله وتقويمه، بالصفاء والنقاء نفسه"[١٨]. فهذا الجيل والأجيال الأخرى الآتية هي الموعودة بوعد الله لها بوراثة الأرض، التي لا تكون إلا للصالحين، الذين تتحدد صفاتهم عند الأستاذ في الآتي:

يمثلون الروح المحمدية والأخلاق القرآنية.

يقومون ويقعدون بالوفاق والاتحاد.

واعون بمقتضيات العصر.

يتزودون بالعلم والفن.

يوازنون بين الدنيا والعقبى.

يقول الأستاذ مفصلاً الحديث في هذه "وخلاصة القول، إن الله تعالى قد وعد تلك الوراثة عقبان الروح والمعنى ممن يحلقون في مدار واحد مع سادتنا الصحابة الكرام، نجوم سماء النبوة إنها سنة إلهية و"شريعة فطرية" لا تتبدل ولا تتغير"[١٩].

على هذا الأساس يمضي الأستاذ فتح في تفصيل

مشروعه الإصلاحي، وعلى هذا الأساس كذلك ينبغي قراءة كتاب النور الخالد، لأن الكتاب ليس مجرد سرد تاريخي لأحداث وقعت، بل هو توظيف للحدث وللسيرة في ضوء مراميها التربوية والإصلاحية والشهودية.

لقد نظر الأستاذ فتح الله في حال الواقع فوجده يعيش أحلك أزماته كما يقول، ويمكن تلخيص أزمات الإنسان في هذا العصر في الآتي:

أزمة الأخلاق والقيم.

انحراف الفكر والمعرفية.

انحراف الصناعة.

انحراف العادات والتقاليد.

انحراف الأوضاع السياسية والاجتماعية.

فهذه الأزمات ليست خاصة بالعالم الإسلامي فحسب بل أزمات تهم العالم كله، ومرد ذلك هو أن الأستاذ فتح الله يعتقد أنه ملزم بأن يرشد هذا العالم إلى البلسم الذي يداوي أمراضه، بل ويجتهد من أجل ذلك، ولعل أسمى مهمة قام بها على مدى خمسين سنة هي أن يبني الجيل الذي سيتحمل مسؤولية هذه المهمة السامية والكبيرة. والأستاذ حين يثير هذه الأفكار لا يثيرها من باب الاحتمال بل يثيرها من الثقة في وعد الله ﷻ، وهذا هو أهم ما يميز الأستاذ فتح الله عن باقي مفكري الإصلاح في العالم الإسلامي، وبعبارة أخرى، إن مشروع فتح الله الإصلاحي ليس مشروعًا محليًّا بل هو مشروع يضع الإنسانية كلها في صلب الاهتمام.

nesemat.com نسمات nesemat.com

قُسّم الكتاب وفق منهج واضح يعكس المرامي التي يودُّ الأستاذ فتح الله كولن الوصول إليها، وهي بناء نموذج إنساني جديد معتز بانتمائه الديني والعقدي وبِهُوِيَّته الثقافية.

كولن واستحضار روح التاريخ

ومن القضايا التي تُطرح بالارتباط بما يمثله مضمون النور الخالد هو الارتباط بالماضي، إذ يطرح السؤال ما علاقة الأستاذ بالماضي، وما علاقته بالتاريخ بصفة عامة وبتاريخ الأمة الإسلامية على وجه التحديد؟ فالأستاذ دائم الاستحضار لروح التاريخ الذي له ارتباط مباشر أو غير مباشر بالدين، فنظرة الأستاذ هي أن تاريخ الأمة المجيد وكل ما عرفته من رجال هم نتيجة مباشرة للعلاقة السليمة بالدين، لكنه في الوقت نفسه يحرص على أن يذكر بأن الأجيال المعاصرة ملزمة بأن تبني حاضرها، من الأخذ بأسباب النهضة وهي روح الدين والانطلاق بروح تسبق الحاضر نحو المستقبل، مع وراثة علوم العصر وفنونه.

ضرورة تصحيح مسار العلم

إن الخيط الناظم بين كل رؤى الأستاذ هو الخيط التصحيحي، فالأستاذ خبَر أزمات المجتمع وتمكن من وضع يده على مجمل الانحرافات التي تسير بالعالم نحو هلاكه، وعلى هذا الأساس يحرص الأستاذ على ضرورة تصحيح مسار العلم الذي

انحرف عن الطريق السوي اللازم له، فإذا كان الأستاذ بديع الزمان سعيد النورسي قد أكد بأن العلم ستصبح له السلطة، وقد وضع لذلك "رسالة الطبيعة" التي ناقش فيها المرتكزات العقلية التي تقيم عليها نظرية الطبيعة رؤيتها وبين فساد تلك المرتكزات، فإن الأستاذ كولن يعمل على أن تتحكم أجيال الأمل في ناصية العلم وتسير به في المسار الصحيح الذي ينجي إنسانية الإنسان ويربطه بخالق الوجود. يقول في بيان هذه الحقائق: "...إن وراثة الأرض مرهونة بالصلاح الذي يتبلور في تمثل الدين على هدي الكتاب والسنة في السعي لاتخاذ الإسلام روحا للحياة، ثم بلورة علوم العصر وفنونه ولا يغيبن عن خلَدنا البتة، أن المجتمعات والأمم مصيرها إلى الخذلان غدًا مهما كانت ظاهرةً اليوم، ما لم تأخذ بـ"الشريعة الفطرية" التي نشهدها في الكون، مظهرًا لتجليات صفتي "القدرة" و"الإرادة" ولم ترعَ مجموعة القوانين الإلهية الصادرة عن صفة "الكلام".. أو كانت عرضة لتغير داخلي في حياتها المعنوية. وكما أن التاريخ (مقبرة الأمم البائدة) يجهر بهذه الحقيقة مدوّيًا، فإن الآيـة الكريمة: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾(الأنفال:٥٣) تذكّرنا بأساس قويم في الظهور والانهيار، أو العز والذل، وتشير بوضوح إلى قصور هائل لدى المسلمين في هذا العصر.

ويتلخص هذا القصور في المسخ الذي أصاب المسلمين في حياتهم الروحية والقلبية من حيث بنيتهم الداخلية، وفي التخلف الشاسع عن العصر من حيث بنيتهم الخارجية. وسواء كان هذا المسخ والتخلف ناجمًا عن الموانع الخارجية المتتالية قرنًا بعد قرن، أم كان عن جهلنا ونقصنا وضعفنا، إلا أن الواقع يشهد بأن أمة الإسلام باتت تنـزف الدم في الآونة الأخيرة، وأصبحت غير مبالية بمصادر قوتها التي نهضت بها قرونًا طويلة وجعلتها وارثة الأرض حقًّا"[٢٠]. وبناء على ما تقدم فإن النور الخالد كتاب يعرض نماذج بشرية من أجل بناء نماذج بشرية وفي المقدمة النموذج الكامل محمد رسول الله ﷺ، بالإضافة إلى النماذج الأخرى التي تربَّت في مدرسة القرآن الكريم وتلقت معانيه مطبقة ممن اختاره الله ﷻ ليكون ممثلاً لمنهجه.

حول تقسيمات الكتاب

قُسِّمت سيرة الرسول ﷺ في النور الخالد وفق هيكلة تراعي المرامي والأهداف المتوخاة من الكتاب؛ افتتح الكتاب بتمهيد تناول فيه الظروف الروحية التي أحاطت ببعثة الرسول ﷺ، إذ حَرص الخطاب الذي عُرضت به القضايا على بيان الأسباب التي تُبرِّر كون الرسول ﷺ رحمة للعالمين، والأستاذ عندما يعرض الظروف التاريخية التي خيَّمت على العالم إبان بعثة الرسول ﷺ، يعرض كل ذلك لكي يبرز بأن هناك بعض التشابه في تلك الحال والحال التي يعيشها العالم المعاصر، وكأن لسان حال الأستاذ فتح الله يقول إن ما يفرض تناول سيرة الرسول ﷺ واقتداءنا بها، هو التشابه الكبير بين ظروف بعثته ﷺ والظروف

الحالية، وهي الظروف السيئة التي تمكن الرسول ﷺ من إصلاحها في فترة زمنية قياسية.

ولذلك يؤكد الأستاذ أن الابتعاد عن منهجه ﷺ هو الذي أدخل العالم في حالة الفساد والانهيار وسقوطه بين مخالب قوى الشر، فالأستاذ يعتبر أن نظرتنا للرسول ﷺ يجب أن تكون وفق بُعدٍ مختلف عن البعد الذي تُحاكَم به الأشياء والأحداث في الواقع، يقول: "إن الذين استطاعوا الخلاص من سجن الجسم، ووصلوا إلى مرتبة حياة القلب والروح، يستطيعون عيش الماضي والمستقبل معًا وفي الوقت نفسه. إذن، فلِمَ لا يوجد سلطان الرسل في الآخرة وفي الدنيا وأمام الملائكة وأمام الأنبياء في الوقت نفسه وفي اللحظة نفسها؟ أجل، إنه يوجد وسيوجد، وسأجعل من كل ما ذكرتُه أساسًا وقاعدة لِما سأذكره، لأن تعيين زاوية النظر إلى الأنبياء وإلى نبينا مهم جدًا. فإن كان فهم الأولياء والأصفياء والأبرار والمقربين وحدسهم -دع عنك الأنبياء العظام- يحتاج إلى صفاء روحي وإلى نقاءٍ قلبي خاص، فكيف يمكن فهم الأنبياء في هذا العالم المادي الغليظ الذي تكثر فيه الحجب والأستار؟ إذن، فلكي نفهمهم فإن علينا التوجُّه إليهم بكل استعداداتنا القلبية، ولطائفنا الروحية، وبكل دقة واهتمام وتركيز. فإن كان المطلوب فهم شخصية رسول الله ﷺ، فإن هذه الدقة والاهتمام والتركيز يجب أن يزداد أضعافًا مضاعفة، هذا علمًا بأن درجة معرفة كلٍّ منّا وفهمه يتبع درجة قوة نظرته القلبية، ولكن لا أحد يستطيع أن يفهمه ككل أو يحيط به

الوعي الجمعي هو الخزّان الذي اختزنت فيه عناصر وجود الأمة وبقائها ومقومات استمرارها في المستقبل، وتختزل فيه كل العناصر التي تجعل من الأمة أمة بين الأمم.

nesemat.com نسيمات nesemat.com

إحاطة تامة، فهو كما قال البوصيري:

وكيف يُدرِك في الدّنيا حقيقتَه

قوم نيام تسلّوا عنه بالحلم"[٢١].

فالأستاذ يحرص على أن تكون المعرفة بالقلب أو بِبُعدٍ آخر هو البعد الروحي.

قُسِّم الكتاب إلى خمسة أقسام، بالإضافة إلى ملحق تناول فيه الأستاذ مكانة السنة وكل القضايا المتعلقة بها. إن المتنعم في طبيعة تقسيم الكتاب، سيلمس أن التقسيم في حد ذاته ينسجم إلى حد كلي مع المرامي العامة للرؤية الإصلاحية التي يريد الأستاذ الوصول إليها. فقد خُصِّص القسم الأول من الكتاب للحديث عن الأنبياء والرسل، وبُوِّب القسم إلى ثلاثة أبواب تناولت الغاية من إرسال الرسل وخصائصهم مع تخصيص مكانة صفات الأنبياء والرسل من صفات وخصائص الرسول ﷺ، وقد فصَّل المؤلف الحديث في الباب الثالث عن خصائص الرسول ﷺ، من خلال خمسة فصول هي الصدق والأمانة والتبليغ والفطنة والعصمة، وما ينبغي لفت الانتباه إليه هو المرامي التي يهدف الأستاذ إليها، من خلال الوقوف على جملة الخصائص التي تُميز الرسل عن باقي البشر وتُميز محمدًا ﷺ وهي الصدق

ومكانه في الكتاب، والأستاذ هنا يريد الإلحاح على أن كل ما جاء به الرسول ﷺ صدق، ولذلك فإن الرسالة الضمنية من خلال إيراد كل ما يدل على صدق الرسل بصفة عامة وصدق محمد ﷺ بصفة خاصة، هو ترسيخ حقيقة أن كل ما جاء به محمد ﷺ وبلَّغه عن ربه هو صدق، وهي الحقيقة التي تفرض بالضرورة الاقتداء به وإتباع كل ما ثبت عنه ﷺ. وإتباع هذا الفصل بفصل آخر عن الأمانة يؤكد ما ذهبنا إليه سابقًا. وأما تخصيص فصل آخر عن مهمة التبليغ التي كُلِّف بها الرسول ﷺ عن ربه، فيدل على أن تبليغ الرسالة سيظل مستمرًا في الزمان والمكان، ولعل هذا هو ما يفسر إلحاح الأستاذ على التبليغ باعتباره الأساس الذي تنبني عليه فلسفة الإرشاد في الفكر والحياة. وأما الفصل الرابع فقد خصَّصه الأستاذ للحديث عن فطنته ﷺ، موردًا الكثير من الأحداث التي تؤكد الإلحاح على الجوانب التي يتوجب الالتزام والاقتداء بها. وأما الفصل الخامس فيقوم بمهمة دعم الفصول السالفة من أجل الإلحاح على كون الرسل بصفة عامة ومحمد ﷺ على وجه الخصوص معصومون من الخطأ، وذلك لبيان أن كل ما يرتبط بتصرفات الرسل وأقوالهم هي عبارة عن دروس تربوية وليست أمرا عبثيًا. ■

الهوامش

(١) فتح الله كولن، الوعي الجمعي، مجلة حراء، العدد ٢٥، يوليو أغسطس، ص:٢.

(٢) المصدر نفسه، ص٢.

(٣) المصدر نفسه، ص٣/٢.

(٤) المصدر نفسه، ص٤.

(٥) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(٦) محمد عمارة، مقدمة كتاب النور الخالد، محمد مفخرة الإنسانية، محمد فتح الله كولن، دار النيل للطباعة والنشر، القاهرة-مصر، ط/٥، ٢٠٠٩ـ ١٤٣٠ هـ ص١٠.

(٧) فتح الله كولن، النور الخالد، مقدمة المؤلف، مرجع سابق، ص٧.

(٨) النور الخالد ومنهج في قراءة السيرة النبوية، عرض مقدَّم لندوة "رؤى معاصرة للإصلاح، ودورها في نهضة الأمة وتعزيز السلام العالمي.

(٩) المصدر نفسه، ص٨/٧.

(١٠) النور الخالد، ص٨.

(١١) المصدر نفسه، ص٩/٨.

(١٢) المصدر نفسه، ص١٢/١١.

(١٣) المصدر نفسه، ص١٤.

(١٤) النورسي، كليات رسائل النور، الكلمات، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، ط٣-٢٠٠٠ القاهرة، شركة سوزلر للنش، ص٢٩٢.

(١٥) انظر توسُّعًا في هذه القضية، البحث الذي قدمه صاحب هذه الدراسة لأعمال المؤتمر العالمي التاسع لرسائل النور، العلم والإيمان والأخلاق، لأجل مستقبل أفضل للإنسانية، عنوان البحث: "الإتقان في تخليص إنسانية الإنسان" نظرات في الواصلات المنهجية بين العلم والإيمان والأخلاق في فكر بديع الزمان سعيد النورسي، ص٦٧٥/٦٩٤.

(١٦) فتح الله كولن، النور الخالد، مرجع سابق، ص ١٥/١٤.

(١٧) فتح الله كولن، "الأجيال المثالية"، كتاب: ونحن نقيم صرح الروح، ترجمة: عوني عمر لطفي أوغلو، دار النيل للطباعة والنشر، القاهرة-مصر، ط١٤٢٦/٢ هـ ـ ٢٠٠٦، ص١٠٩.

(١٨) المرجع السابق، ص١٠٩.

(١٩) "وارثو الأرض" المرجع نفسه، ص١١٠.

(٢٠) فتح الله كولن، مقال: "دنيا في رحم الولادة"، حراء ع ٢٧/ نوفمبر ـ ديسمبر، سنة ٢٠١١.

(٢١) النور الخالد محمد مفخرة الإنسانية ، ج٥٨/١.

هل مشروع الخدمة سياسي؟

محمد شتين

أ.د. محمد شتين، دكتوراه من جامعة "دربي" بإنجلترا في مجال الحركات السياسية-الاجتماعية، متخصص في العلوم الاجتماعية والإنسانية وتعليم اللغات الأجنبية. درَّس في عدد من الجامعات الأمريكية، كما عمل -متطوعًا- رئيسًا لمعهد حوار الأديان بالولايات المتحدة. كان له عمود أسبوعيّ على يومية زمان الدولية. من مؤلفاته: حركة كولن: خدمة مدنية بلا حدود (٢٠١٠)، وحركة الخدمة: أسئلة وأجوبة حول حركة كولن (٢٠١٢)، وكلاهما نشرا بدار النشر بلودوم بريس ، نيويورك.

من بين أكثر الأسئلة تداولاً حول مشروع الخدمة يأتي سؤال علاقة الخدمة بالسياسة وفي هذه الدراسة يناقش الكاتب هذه العلاقة وموقع مشروع الخدمة منها في مختلف الأحوال والأزمات التي مر بها التاريخ التركي. وتخلص الدراسة إلى أن الخدمة مبادرة مدنية، وليست منظمة تحظى برعاية الحكومة أو الدولة، كما أنها لم تَبرز نتيجة لسياسة حكومية أو أيديولوجية الدولة. وليست حركة خلافية أو معارضة، أو صدامية أو سياسية، أو تنافسية على السلطة، حيث يتمركز نشاطها حول مشروعات الخدمات الثقافية والتعليمية. وتمثل تحركًا اجتماعيًّا قائمًا على الإيثار وبلا نزعة سياسية؛ ومن خلال أنشطتها في مجال التعليم ينصب جزء من اهتمامها على تنمية وعي الفرد بالقانون والمشروعية وحقوق الإنسان. وبالتالي فهي تعمل من أجل تعزيز الديمقراطية التشاركية التعددية والمساواة في الحقوق.

كما أنها لم تتسامح مطلقًا مع العنف أو الإرهاب أو الإكراه، حيث تصر على الشفافية وشرعية الوسـائل والغايات في تحركها والخدمات التي تقدمها.

الحركات الناشئة في المجتمعات المعقدة (الشبابية، والنسائية، والمدنية، والبيئية، والسلمية، والإثنية، والثقافية) جرى تفسيرها بطريقتين:

١- من خلال ارتباطها بأزمة اقتصادية ما.

٢- أو نتيجةً لعيوبٍ تشوب نظام التشريع السياسي، أي الاستبعاد من المؤسسات والانضمام إلى عملية اتخاذ القرار.

كما تتم دراسة الحركات وفهمها بحسب حشدها وتوجهها ضد استبدادِ نظام ما، أو النضال من أجل تحقيق المساواة في الحقوق، أو السعي لدخول دوائر النظام والاعتراف السياسي بها، أو إحياء نعرات عرقية أو دينية من خلال عبارات الهوية أو سلوك يعتبره النظام الاجتماعي السائد غريبًا أو شاذًّا.

ومن يبررون أهلية النظام الاجتماعي يفسرون الحركات من منظور أيديولوجي -أي إنها نضال يستهدف تقويضَ أو إضعاف دعائم النظام نفسه- وقد يدفع ذلك إلى نشوء أزمةٍ في نسيج الحياة الاجتماعية اليومية، أو انحلال في القيم والمعايير، أو فقدان في الهوية، أو السلوكيات العنيفة الارتدادية، إلا أنه ليس بالضرورة أن يتولد عن جميع أشكال التهميش أو ردود الأفعال تجاه الأزمات أو جهود التكيف مع اختلال التوازن عملٌ جماعي أو حركة جماعية، فليست كل المطالب الجماعية تأخذ الشكل السياسي.

العمل الجماعي والصفة السياسية

إن التفسير السائد للعمل الجماعي والحركات السياسية يرتبط بشكل كبير بالفهم الخاص لتحرُّكِ وأيديولوجيا اليسار الأوروبي الجديد في فرنسا وألمانيا وإيطاليا بعد جيلِ عام ١٩٦٨ وفي سبعينيات القرن العشرين.[١] فنتيجةً لانغلاق المؤسسات السياسية، وتطرفِ الحركات، وسيادةِ التنظيم الماركسي الطائفي في اليسار الجديد، والاتجاهِ المؤسف نحو الفكر الإرهابي، قام مفكرو اليسار -ومنظرو الحركات الاجتماعية كذلك- بالتبشير بالأيديولوجيات الثورية. وقد عملوا على تضخيم الفوضى الاجتماعية والسلوك التمزيقي بإضفاء الصفة الثورية عليه. وفي أغلب الأحيان بنوا فهمهم على تحليل اختزالي يميل إلى حجب بعض خصائص التحرك الجماعي.

لقد تجاهل هؤلاء وجودَ عناصر غير سياسية في الحركات الناشئة. وبالنسبة لهم، ما لم يكن سياسيًّا بشكل مباشر في طبيعته كان فلكلورًا وهروبًا خاصًّا، بحيث يمكن للتمثيل السياسي وحده منع المطالب الجماعية من التشرذم على ذلك النحو.[٢]

هذا التعسف في "إضفاء الصفة السياسية" على المطالب الجماعية يمثل تفسيرًا اختزاليًا، من حيث إنه قلل من أهمية خصوصية الحركات الناشئة، كما أنه حوَّل جميع المطالب الجماعية في نطاقها إلى أشكال جامدة من التنظيم السياسي من النمط اللينيني.

الأشكال الحديثة للعمل الجماعي

هناك ظاهرة ملفتة للأنظار في الأشكال الحديثة للتحرك الجماعي، وهي أنها "تتجاهل بشكل كبير

النظامَ السياسي، كما أنها تُبدي بشكل عام عدمَ اهتمام بفكرة الاستيلاء على السلطة".[٣] كما أن الحركات الاجتماعية الجديدة أقل انخراطًا في الصراع الاجتماعي والسياسي عما كان في السابق؛ لأن "التفاوض الجماعي، والتنافس الحزبي، وحكومة الحزب التمثيلي، كانت هي الآليات الحصرية تقريبًا لحلّ الصراع الاجتماعي والسياسي. وكان كل هذا مقبولاً بـ"ثقافة مدنية"، أكدت على قيم الحراك الاجتماعي والحياة الخاصة والاستهلاك والعقلية الذرائعية والسلطة والنظام، وهو ما قلل من أهمية المشاركة السياسية".[٤] أما الحركات الاجتماعية الجديدة فتتسم بأنها تنظيم منفتح ومرن، ومشاركة شاملة غير أيديولوجية، واهتمام أكبر بالتحولات الاجتماعية وليس الاقتصادية.[٥]

الخدمة حركة اجتماعية

ومن الخصائص المميزة لحركة كولن، إقرار مؤيديها بالنظام السياسي، وامتثالهم له، وإظهارهم لعدم الانشغال بالوصول إلى السلطة أو السيطرة على أجهزة الدولة. وتأخذ الحركة أشكال العمل والتنظيم التي توصف بأنها مسؤولة وطيِّعة بالنسبة للمشاركة السياسية التي يمارسها النظام السياسي التركي دون أن تتماهى معه. ومن ثم، فإن الخدمة لا تتصرف مثل حركات المعارضة التي تضم أقلية، أو التي ترفض النظام في تركيا، أو التي تقاوم "عقلانية" القرارات والأهداف التي يضعها النظام التركي.

لقد أكَّدت الحجج التي تمَّ إيرادها على العديد من الاستفسارات والأسئلة المتباينة، أن حركة كولن حركة ثقافية أو اجتماعية، وليست حركة سياسية. ومن ثمَّ سيكون التركيز في هذه الدراسة منصبًّا حول الحركة باعتبارها تحرُّكًا جماعيًّا، وعلى تحرُّكها باعتباره مغايرًا لذلك الخاص بالحزب السياسي، إضافةً إلى تناول الآثار ذات الصلة على تركيا والديمقراطية والإسلام والحيل والذرائع والتطور أو التغيير في تركيا وتكامل تركيا مع المجتمع الدولي.

إن الأثر الرئيسي لحركة كولن هو أن الأحزاب السياسية عاجزة عن التعبير بشكلٍ كافٍ عن المطالب الجماعية، ويُعزَى ذلك إلى أن الأحزاب تؤسَّس لتمثِّلَ مصالح يُفترض أن تظلَّ ثابتة نسبيًا على قاعدة جغرافية واجتماعية وأيديولوجية مميزة.

كما أن على الحزب أن يضمن استمرارية المصالح التي يمثلُها. وعندما يواجَه الحزب بمهمة تمثِّل مجموعة من المصالح، قد لا يكون الهيكل التقليدي للحزب قادرًا على تعديل نفسه للتوافق معها. وبذلك يمكن للحزب بصعوبة بالغة التوفيقُ بين الأهدافِ القصيرةِ الأجل والأخرى الطويلة الأجل. وبالنسبة للأهداف والمكاسب قصيرة الأجل، قد تأتي أفعال الحزب بما يحقق مصالح غير ثابتة، وحزبية وهرمية.

تحذير كولن من الخلط بين الدين والسياسة الحزبية يفيد أن تسييس الدين يؤدي في النهاية إلى ضرر أكبر وأسرع بالدين منه بالدولة.

nesemat.com نسيمات nesemat.com

التعسف في "إضفاء الصفة السياسية" على المطالب الجماعية تفسير اختزالي يقلل من خصوصية الحركات الناشئة، ويحوّل المطالب الجماعية إلى أشكال جامدة من التنظيم السياسي من النمط اللينيني.

nesemat.com نسيمات nesemat.com

وعلى خلاف الأحزاب والهيئات السياسية، تبرهن مشاركة حركة كولن في المشروعات الاجتماعية وفي المجالات المحددة للحياة الاجتماعية، عدمَ وجود أي اهتمام بالتسلسل الهرمي أو المكاسب القصيرة الأجل.

كما أن حركة كولن تمثِّل فهمها من خلال منظمات الحركة الاجتماعية المؤسسية والرسمية. ولأن أغلبية هذه المؤسسات تعليمية، فهي لا تنحاز إلى أحزاب سياسية.[٦] وبهذا فإن منظمات الحركة، كما يقول كولن نفسه، بدلاً من أن تظل بعيدة عن البعض، فإنها قريبة من الجميع بنفس القدر.[٧]

مركزية الفرد في حركة الخدمة

إن التطبيقات العملية الاجتماعية لحركة كولن تركز على دور الفرد واحتياجاته.[٨] كما أنها تؤكد على احتياجات الفرد للانعكاسية الذاتية (self-reflexivity) وإدراك الذات. ومن دون أن تضل الحركة طريقها فتتجهَ نحو أشكال من السلوك النرجسي أو البحث الفردي الأناني عن توكيد الذات والتعظيم المباشر لها، تقوم حركة كولن بإظهار تغيير عميق في وضع الفرد ومشكلاته. ومن خلال الجهود والخدمات الاجتماعية والثقافية للحركة، تعالج الحركة الأبعادَ الفردية للحياة الاجتماعية؛ وبالتالي فإنها من خلال إسهاماتها يمكنها أن تؤثر على المجتمع بأسره. ففضاء الحركة والمستوى الذي تنطلق منه الأشكال الجديدة للعمل الاجتماعي ليس فضاءً أو مستوى سياسيًا أو سلطويًا، ولا حكوميًا أو تابعًا للنظام.[٩] وإنما تقوم الحركة بتعليم الأفراد وتأهيلهم اجتماعيًا دون إضفاء الطابع الشخصي أو السياسي على ما هو اجتماعي. كما تقر الحركة بعدم إمكانية خضوع الأفراد أو النظام للتغيير على جميع المستويات في نفس الوقت وبنفس الطريقة؛ فالتغيير يتطلب فترة زمنية طويلة وتضحيات ضخمة والتزامًا ومثابرة، ولا يمكن تحقيقه إلا من خلال التعليم والسلام والتعاون بين المواطنين ذوي الميول المشتركة وكذلك بين الحضارات المتقاربة.

ويذهب بارتون إلى القول: إن كولن يؤكد على أهمية الارتقاء الذاتي للقلب والعقل من خلال التعليم، والانخراط بشكلٍ استباقي وإيجابي مع معطيات العالم الحديث، والتواصل بالحوار وروح التعاون بين مختلف المجتمعات الدينية والطبقات الاجتماعية والأمم.[١٠] ويعلق ويللر على النقطة نفسِها قائلاً: "يركز كولن جهوده في إقامة الحوار بين الأيديولوجيات، والثقافات، والجماعات المختلفة في تركيا والعالم الأوسع. ورغم أن كولن وفكره متجذران في رؤية دينية قوية للعالم، فإن جهوده للحوار امتدت خارج الدوائر الدينية التقليدية".[١١]

ومِثْل بارتون وويللر، يُقر ميتشيل بمركزية الرؤية الدينية والثقافية للحركة بالنسبة لأنشطتها. وتعتمد

فاعلية هذه الأنشطة على الانفتاح والقبول وكفاءة أشكال التمثيل المتاحة.[١٢] كما أن طبيعة الخدمات التي ينخرط بها أعضاء الحركة تجعلهم في منأى عن المعارك الحزبية اليومية التي لا طائل من ورائها، وخطاباتِ الأحزاب السياسية؛ فهؤلاء لا ينحرفون إلى المناوشات السياسية ولا يستنفذون طاقاتهم فيها.[١٣] وهذا يتعارض مع الفهم السائد للحركات الاجتماعية باعتبارها تميل دومًا إلى الخلاف والنـزاع.

مفهوم السلطة السياسية

من الملاحظ أن كولن وخصومه يستخدمون عبارة "السلطة السياسية" في تصريحاتهم. ومن المفيد هنا التوقف مؤقتًا لدراسة المقصود بهذه العبارة والأفكار المرتبطة بـ"المطالب السياسية" و"المشاركة السياسية".

يفهم من مصطلح السلطة السياسية بشكلٍ عام أنه يشير إلى قدرة مجموعات معينة على ممارسة سيطرة معززة بامتيازات على عمليات اتخاذ القرار، واتخاذ قرارات معيارية باسم المجتمع ككل، وفرْض تلك القرارات، حسبما يقتضي الحال، بالوسائل الإكراهية. وفي ترتيب للعمومية المتزايدة، يمكن تصنيف "المطالب السياسية" إلى ثلاث فئات:

١- مطالب تتعلق بتنظيم العلاقات بين مجموعات معينة داخل المجتمع.

٢- مَطالب بتعديلِ أو تهيئةِ قواعد النظام السياسي لتوسيعِ أو تقييد الانضمام إليه.

٣- مطالب تتعلق بإصلاحِ أو تهيئة وضع الإنتاج والتوزيع للموارد الاجتماعية.

تعمل حركة الخدمة من أجل تطوير مجتمع يخلو من مشكلات الجوع والفقر وعدم المساواة وقمع الحقوق المدنية.

nesemat.com نسيمات nesemat.com

كما أن المشاركة السياسية هي أيضًا الدفاع عن مصالح معينة في محاولة لتغيير علاقات السلطة داخل النظام السياسي للحصول على تأثير على القرارات[١٤].

كولن وإنتاج المعرفة

يرى كولن أن المشكلة الأساسية في العالم هي الافتقاد إلى المعرفة، والتي تتضمن مشكلات أخرى تتعلق بالإنتاج والسيطرة على المعرفة.[١٥] فلا سبيل إلى إنتاج المعرفة وصونها، ونشرها إلا من خلال التعليم وليس من خلال السياسة الحزبية. فالتعليم هو المفتاح لكي يصبح الفرد أفضل ومنتجًا ومفيدًا، سواءٌ كان مسلمًا أم لا.[١٦] ويعتقد كولن أن العلوم الطبيعية والإنسـانيات والدين تحث على أن يكمل بعضنا بعضًا بدلاً من التنافس والتصادم.[١٧]

وترى أسماء أفساروين (Asma Afsaruddin) أن فعاليةَ المدارس المتأثرة بأفكار كولن وانتشارها داخل تركيا وخارجها تمثل دليلاً قويًا على نجاح فلسفته التعليمية والتي تحث على الاستنارة الذاتية وتؤكد في الوقت نفسه أهمية غرس القيم الأخلاقية والتدريب السليم في العلوم الدنيوية المادية.[١٨]

هدف كولن الرئيس

يرى شريف علي تَكَالان أن الهدف الرئيس للتعليم

nesemat.com نسيمات nesemat.com

ليس بالضرورة أن يتولد عن جميع أشكال التهميش أو ردود الأفعال تجاه الأزمات أو جهود التكيف مع اختلال التوازن عملٌ جماعي أو حركة جماعية، فليست كل المطالب الجماعية تأخذ الشكل السياسي.

في المدارس المتأثرة بأفكار كولن هو ضمان احترام قيم موضوعية وإنسانية عالمية، فليس للحركة أية دوافع خفية أو مستترة في السعي لتحقيق مميزات مادية أو فرض أية أيديولوجيات أو الاستيلاء على السلطة من خلال السياسة في الدول التي لدى الحركة فيها منظمات اجتماعية. ويضيف تكالان أنه على مدار أربعين عامًا منذ نشأة الحركة، لم تشهد أي دولة أي عمل مخالف لهذه المبادئ على الإطلاق. ويؤكد أن الحركة لم تهدف قط إلى الاستيلاء على السلطة عبر القنوات الاقتصادية أو السياسية أو الثقافية سواءٌ داخل تركيا أو خارجها؛ بل كان هدفها يتمحور حول خدمة الإنسانية من دون انتظار أي عائد أو مكسب لتلك الخدمة. ويشير تكالان إلى ما قاله كولن في عام ٢٠٠٢ في صحيفة زمان التركية، عندما كتب يقول: "إنني أنأى بنفسي اليوم، كما كان دأبي في الماضي، وأبعد كل البعد عن الانضمام إلى أيٍ من الأحزاب السياسية. حتى لو قُدمت لي السلطة كهدية، ليس فقط في تركيا، ولكن في العالم كله، فسأرفضها دومًا وأصمم على رفضها بإباء".[١٩]

إن حركة كولن تبحث عن إجابات للأسئلة التي تواجه جميع من يعيش في المجتمعات العصرية المعقدة، وهي أسئلة تتعلق بكيفية الارتقاء بالصفات الإنسانية، والسلوكيات الحميدة، وحب الغير، والحماس لتحسين الذات، والرغبة النشطة في خدمة الغير، وإحداث فارق في العالم، والمثابرة على هذه الرغبة في مواجهة الانتكاسات أو الإخفاقات[٢٠]. ومن ثم، فالحركة لا تقوم بدور شمولي باعتبارها وسيطا للمطالب؛ حيث تدعو الحركة المجتمعَ وتتيح له أن يصبح مسؤولاً عن تحركاته في إطار الحدود القانونية. كما تساعد الحركة على إنشاء فضاءات عامة مشتركة يمكن التوصل فيها إلى اتفاق للمشاركة في المسؤولية عن المجال الاجتماعي، بما يتجاوز المصالح أو المواقف الحزبية. وهذا بدوره يؤدي إلى توليد طاقات إبداعية، وإبقاء النظام منفتحًا، وإيجاد روح الابتكار، وإنشاء منظمات جديدة للحركة الاجتماعية، وتطوير النخب، ومناقشة القضايا التي كانت مستبعدة من اتخاذ قرار بشأنها، وإلقاء الضوء على الجوانب التي تنطوي على مشكلات وتعقيدات في النظام. ولا شك أن حركةً بهذه الصفات لا غنى عنها من أجل مجتمع ديمقراطي ومنفتح.

ومن الأهداف التي يسعى إليها كولن، إعادة تعريف الأهداف الاجتماعية والثقافية، وخلف هذه الكلمات يمكننا أن نجد العديد من المعاني المتجانسة مع الطبيعة الفعلية التي تشكل الإنسان المتحضر. ويعبر ميتشيل عن ذلك أبلغ تعبير بقوله:[٢١]

"يعتقد كولن أن الهدف الحقيقي للأمم يجب أن

يتمثل في الحضارة وإحياءِ الأفراد والمجتمع من حيث السلوك والتفكير الأخلاقي"[٢٢].

كولن والإسلام السياسي

ينتقد كولن "استخدام الدين كأداة في السياسة"، كما عارض طويلاً المشاركة المباشرة في السياسة الحزبية لأن العالم الحديث قائم على "التجربة التعددية وليس على تجانس مفترض للحقيقة". كما يعارض كولن هؤلاء الذين خلقوا "صورة سلبية للإسلام باختزاله إلى أيديولوجية"[٢٣].

كما أن تحذير كولن من الخلط بين الدين والسياسة الحزبية يفيد أن تسييس الدين يؤدي في النهاية إلى ضرر أكبر وأسرع بالدين منه بالدولة. وحول ذلك يقول كولن: "الدين هو العلاقة بين الخلق وخالقهم. ومشاعر الدين إنما هي في أعماق القلب. فإذا حولتم هذه المشاعر إلى مجموعة من الأشكال والقوالب المختلفة، فإنكم بذلك تقتلونها. إن تسييس الدين سيعود بالضرر على الدين قبل أن يضر بالحكومة"[٢٤]. ويقول في موضع آخر: "ينصب تركيز الدين في المقام الأول على الجوانب الثابتة في الحياة والوجود، في حين أن النظم السياسية والاجتماعية والاقتصادية أو الأيديولوجيات لا تهتم سوى بالجوانب الاجتماعية المتغيرة في حياتنا الدنيوية"[٢٥].

كما أن تسييس الدين دائمًا ما يكون محاولة اختزالية؛ حيث يحوِّل العلاقة الخفية بين البشرية وخالقها إلى أيديولوجية. وهذا لا يعني زرع مشاعر اللامبالاة وعدم الاهتمام بما يجري على الساحة

nesemat.com نسمات nesemat.com

حركة كولن تمثِّل فهمها من خلال منظمات الحركة الاجتماعية المؤسسية المدنية، ولأن أغلبية هذه المؤسسات تعليمية، فهي لا تنحاز إلى أحزاب سياسية. وبهذا فهي قريبة من الجميع بنفس القدر.

العامة، فضلا عن أنه يعني تجاهل المظالم السياسية أو الاقتصادية.

إن كولن لا ينادي بأن يتوقف المتدينون عن الاهتمام بالسياسة، لأن ذلك سيمثل انسحابًا من مسؤولياتِ والتزامات المواطنة والمشاركة الاجتماعية. لكن النقطة هنا هي أن الخلط بين الانخراط السياسي والنشاط من جانب والحزبية والولاء الحزبي من جانب آخر يؤكد على الحاجة إلى أن يكون للدين رأي معلَن فيما يتعلق بالقضايا السياسية التي تؤثر على كرامة البشرية وسعادتها، والحفاظ على البيئة، والعدالة الاجتماعية والسلام، وذلك في إطار ضيق للغاية من جماعات السلطة المتنافسة التي تفتِّت المجتمعات بدلاً من أن تجمعها وتبنيها. فالمتدينون الحقيقيون الذين يشاركون بمسؤوليةٍ في بلادهم ليسوا هؤلاء المصوتين دائما لصالح قضية واحدة، أو الذين يكون ولاءهم لحزبٍ واحد"[٢٦].

إلى هنا ويفند كولن في تصريحاته وكتاباته مزاعم المطالبين بالإصلاح السياسي الإسلامي قائلاً: "إن الإسلام لا ينادي بشكل معين وثابت للحكومة أو يحاول تشكيلها، لكنه وضع مبادئ أساسية توجه الشخصية العامة للحكومة، تاركًا للشعب اختيار نوع الحكومة

nesemat.com نسمات nesemat.com

الحركات الاجتماعية الجديدة تتسم بأنها تنظيم منفتح ومرن، ومشاركة شاملة غير أيديولوجية، واهتمام أكبر بالتحولات الاجتماعية وليس الاقتصادية.

وشكلها بما يتفق مع الزمن والأحوال"[٢٧]. كما يرفض كولن الخصائص الأيديولوجية الشمولية للفكر السياسي الإسلامي والتحرك المتشدد،[٢٨] باعتباره غريبا على روح الإسلام الذي ينادي بسيادة القانون وينبذ ويدين بشكل صريح كل أشكال القمع لأي طائفة من طوائف المجتمع. ويرى كولن أن الإسلام ينادي بالفاعلية التي تفضي إلى تحسين المجتمع بما يتفق مع رأي الأغلبية، وهو ما يكمل الديمقراطية بدلاً من أن يعارضها[٢٩]. يقول كولن:

"هذا التقديم للإسلام قد يلعب دورًا مهمًا في العالم الإسلامي من خلال إثراء الصور المحلية للديمقراطية ونشرها على نحو يساعد الأفراد على فهم العلاقة بين العالَمَين الروحي والمادي. وأعتقد أن الإسلام أيضا سيثري الديمقراطية من خلال تلبية الاحتياجات العميقة للبشر، مثل الإشباع الروحي، والذي لا سبيل إليه إلا من خلال ذكر الله الحي القيوم"[٣٠].

ويؤكد ديل إيكلمان (Dale Eickelman) أن هذه القراءة لمسؤولية المسلمين نحو الإسلام، ليست بالطبع خاصة بكولن وحده، حيث يقول إيكلمان: "يرى مفكرون وقادة دينيون من أمثال كولن في تركيا أن الديمقراطية والإسلام متوافقان تمامًا، وأن الإسلام لم يفرض شكلاً معينًا للحكم، وبالطبع لم يفرض الحكم التعسفي، وأن الرسالة المحورية في القرآن هي أن المسلمين يجب أن يتحملوا المسؤولية عن مجتمعهم"[٣١].

ويوضح بارتون أن رفض كولن للإسلام السياسي لا يعزى إلى اعتبارات إستراتيجية فحسب أو حتى إلى تفضيل شخصي، بل يستند رفضه إلى القول: إن ادعاءات مناصري الإسلام السياسي بأنهم وجدوا التوجيه السياسي في النصوص المقدسة، إنما يمثل سوء فهم كبيرًا لطبيعة القرآن على نحوٍ يشوه بشكل خطير طريقة فهم المؤمن له وتعامله معه[٣٢]. وحول ذلك يقول كولن:

"يجب ألا يتم اختزال هذا الكتاب (القرآن) في مستوى التنظير السياسي، كما يجب ألا يُعتبر كتابًا عن النظريات السياسية أو أشكال الدولة. إن النظر إلى القرآن الكريم باعتباره أداةً للخطاب السياسي يمثل تقليلاً كبيرًا من قدر هذا الكتاب المقدس، كما أن ذلك يمثل حجر عثرة أمام من يسعى إلى الإفادة منه كمصدر للنعم الإلهية"[٣٣].

كولن والديمقراطية

وبدلاً من أن يترك تركيا لتظل مجتمعًا منغلقًا، ساند كولن المبادراتِ التي تهدف إلى بناء مجتمع ديمقراطي تعددي وحر[٣٤]. ولطالما كان كولن مسانِدًا للمؤسسات الديمقراطية والانتخابات الحرة وغيرها من المبادئ التي تمثل جوهر الحياة الديمقراطية. ويرى كولن أن القرآن يخاطب المجتمع بأسره ويكلِّفه تقريبًا بجميع المهام

الموكلة إلى النظم الديمقراطية الحديثة، كما أنه يرى أن القرآن يحث الأفراد على التعاون والتشارك في أداء تلك المهام وإقامة الأسس اللازمة لتنفيذها، ويؤكد على أن الحكومة تتألف من جميع هذه العناصر الأساسية[٣٥]. وحول ذلك يقول كولن:

"الإسلام يوصي بإنشاء حكومة قائمة على عقد اجتماعي؛ بحيث يقوم الناس بانتخاب المسؤولين، وتأسيس مجلس لمناقشة القضايا العامة. وبالإضافة إلى ذلك فإن المجتمع ككل يشارك في محاسبة هذه الإدارة"[٣٦].

كما يؤكد لينويد سايكيانين (Leonid Sykiainen) وإيكلمان[٣٧] أن كولن يؤيد الديمقراطية ويدعم المؤسسات الديمقراطية، لأنها السبيل لبناء مجتمع تصان فيه حقوق الفرد وتكفل له حمايتها. كما يوضح كولن بشكل دقيق موقفه بأن بعضًا من أشكال الديمقراطية أفضل من غيرها، كما أنه متفائل على نحوٍ حذر بشأن تطور الديمقراطية. يقول كولن:

"شهدَت الديمقراطيةُ تطورًا على مدار الزمن. وكما مرت بالعديد من المراحل المختلفة، فإنها ستستمر في التطور والتحسن في المستقبل. وخلال مسيرتها، ستتحول الديمقراطية إلى نظام أكثر مراعاةً للإنسانية والعدالة، ديمقراطية ترتكز على الاستقامة والصدق. فإذا نظرنا إلى البشر ككل، من دون إغفال البعد الروحي في وجودهم وحاجاتهم الروحية، ومن دون أن ننسى أن حياة البشر ليست مقصورة على هذه الحياة الفانية، وأن الجميع تواقون إلى الخلود في حياة الآخرة، فيمكن للديمقراطية حينها أن تصل إلى ذروة الكمال، وأن تجلب للبشرية المزيد من السعادة. ويمكن لمبادئ الإسلام مثل المساواة والتسامح والعدالة أن تساعد في تحقيق ذلك تمامًا."[٣٨]

كما أنه لا سبيل إلى تحقيق أهداف التصنيع والتنمية الاقتصادية إلى جانب المشاركة المستقلة في النظام العالمي إلا من خلال التحول الديمقراطي في تركيا. كما يولي كولن أهمية مماثلة للديمقراطية والتنمية اللتين يراهما عنصرين مرتبطين بحيث يتوقف أحدهما على الآخر، وإن كانت الديمقراطية تسبق التنمية[٣٩]. ويعمل كولن من أجل تطوير مجتمع يخلو من مشكلات الجوع والفقر وعدم المساواة وقمع الحقوق المدنية.

كما ترى حركة كولن أن احتياجات الفرد والثقافة والمجتمع لها الأولوية عن السياسة[٤٠]. ويجب ألا يتم الخلط بين ذلك بأية حالٍ من الأحوال وبين التيار الثقافي البسيط الذي قد يتجاهل الحقوق والضمانات التي أقرتها المؤسسات السياسية. ومن ثم، فإن الأمر إنما هو إعادة تعريف وإعادة تشكيل لما هي عليه الديمقراطية، وما يمكن أن تكون وما يجب أن تكون عليه. وكولن لا يطلب من الأفراد أن

يركز كولن جهوده في إقامة الحوار بين الأيديولوجيات والثقافات والجماعات المختلفة. ورغم أن كولن وفكره متجذران في رؤية دينية قوية للعالم، فإن جهوده للحوار امتدت خارج الدوائر الدينية التقليدية.

nesemat.com نسيمات nesemat.com

التغيير يتطلب فترة زمنية طويلة وتضحيات ضخمة والتزامًا ومثابرة، ولا يمكن تحقيقه إلا من خلال التعليم والسلام والتعاون بين المواطنين ذوي الميول المشتركة وكذلك بين الحضارات المتقاربة.

nesemat.com نسيمات nesemat.com

يظلوا متلقِّين سلبيين، بحيث يتقبَّلون كل ما يتلقّونه من الخارج؛ بل ينصحهم بأن يسعوا بشكل نشط إلى التوصّل إلى الإمكانيات والبدائل التي تمكّنهم من بناء أنفسهم. لذا يجب أن تكون الوسائل والغايات غير تصارعية وغير عنيفة وغير إكراهية؛ أي يجب أن تعتمد على حب البشر والخلق استنادًا إلى فهم وعلم من خلال التعليم والتواصل والتعاون والسلام والحرية[٤١].

وسبيل تمكين الأفراد من تحقيق استغلالٍ أفضلَ لمواردهم، ومن التخلُّص من جميع أشكال عدم المساواة المادية وغيرها، وأن يصبحوا أفرادًا انعكاسيين ومفيدين لغيرهم، يكون من خلال مَنح أولويةٍ للعلم والتعليم وليس للسياسة الحزبية أو الشراكة الحزبية. ويرى كولن أن البشرية تحتاج من أجل مستقبلٍ أفضل إلى أفرادٍ يتحلون بمزيدٍ من التسامح والإيثار، أفرادٍ بقلوب رحبة وعقول متفتحة تحترم حرية الفكر، ومنفتحة على العلم والبحث العلمي، وتسعى إلى التوفيق بين نواميس الكون والحياة[٤٢].

واستنادًا إلى العديد من تعليقات كولن التي توضّح تأييده لسياسة الديمقراطية الحديثة ومعارضته لقراءات مناصري الإسلام السياسي لنصوص القرآن والسنة، ينتهي بارتون إلى القول إن كولن ليس من المؤيدين بشكل علني أو مستتر للإسلام السياسي، لكن بارتون يشير رغم ذلك، إلى أن من يعارض كولن يُصر على أنه يتظاهر بأنه يرفض أيديولوجية الإسلام السياسي، وهي وسيلة من وسائل بعض مناصري الإسلام السياسي والنشطاء الذين يخفون معتقداتهم، وباسم التقية السياسية يتغاضون عن استخدام الحيل والمكائد[٤٣]. لكن هذا ليس نهج كولن على الإطلاق؛ فقد أوضح كولن تمامًا وأعلن في وسائل الإعلام المقروءة والمرئية والمسموعة، أنه وجميع المسلمين الأتراك -مثل جميع أهل السنّة-ليسوا ممن يستترون ويتخذون من الذرائع والمكائد نهجًا لهم في الدين والممارسة، كما لا يغضون الطرف عنها[٤٤][٤٥].

ويوضح بارتون أيضا أن لديه من المبررات الجيدة ما يمكن أن يسوِّقه للتأكيد على ثقته في أن كولن ليس ممن يؤيدون الإسلام السياسي بشكل سري، وأنه يرفض إبستومولوجيا الإسلام السياسي[٤٦]. ففي صراع الأفكار والتنافس على القلوب والعقول قبلَ وبعدَ أحداث ١١ سبتمبر/أيلول، قَدَّم كولن بشكل واضح نموذجًا وقدوة فكرية وأخلاقية، وأدان جميع أنواع أعمال الإرهاب بأوضح التصريحات العلنية وأكثرها شجاعة، كما تناول بشرح شامل القضايا ذات الصلة بالحادث. وأكد كولن أن المبادئ الأساسية للدين تُعارض تمامًا التفسيرات الأيديولوجية-السياسية التي تشكل أساسًا للأعمال الإرهابية وتحث عليها،

وشدد أيضًا على ضرورة تعليم هذه المبادئ الأساسية للمسلمين وغيرهم من خلال نظم التعليم. وأكد كولن كذلك على دور ومسؤولية التنفيذيين والمثقفين والعلماء وقادة المجتمع في التعريف بأسباب ودوافع الأنشطة والأعمال الإرهابية. وأكد أيضًا على أن هناك العديد من المنظمات متعددة الجنسيات، التي حشدت جهودها بشكل علني أو مستتر لتدمير المجتمع وزرع الخوف في أركانه[٤٧].

لذا يرى كولن أن الدين يتسامى فوق السياسة؛ حيث يراه مصدرًا للأخلاق والقيم الخلقية، والتي ترتبط ارتباطًا وثيقًا بالسياسة المسؤولة ولا تتعارض معها. ولا يريد كولن أن يصبح الدين أداة في يد السياسة؛ لأنه عندما تفشل السياسة وتنحرف فقد يُلقي الناس باللائمة على الدين. ولا يريد كولن كذلك أن يتلطخ الدين بالمطامح السياسية أو أن تؤدي احتمالاتُ فساد تلك المطامح إلى إنزال الدين إلى مرتبة أقل[٤٨].

ويؤكد كولن أن دور الأخلاق الفردية محوري من هذه الزاوية لبناء"نظام سياسي عادل" وتعزيزه وتقويته والإبقاء عليه[٤٩]. وعلى المنوال نفسه يؤيد كولن إقامة تركيا لعلاقات مع الغرب -على أساس أن المجتمع التركي بإمكانه أن يكسب الكثير من الإنجازات المعرفية والعقلية التي وصل إليها الغرب- في حين عارضت العديد من الدوائر الدينية والنخبة العلمانية المسيطِرة ذلك التقاربَ بين تركيا والغرب. وقد كان كولن من بين أول وأقوى المؤيدين للعضوية

nesemat.com نسيمات nesemat.com

الخدمة لم تهدف قط إلى السلطة عبر القنوات الاقتصادية أو السياسية أو الثقافية داخليًّا أو خارجيًّا؛ بل كان هدفها يتمحور حول خدمة الإنسانية من دون انتظار أي عائد أو مكسب لتلك الخدمة.

الكاملة لتركيا في الاتحاد الأوروبي.

وبالإضافة إلى هذا فقد سلط كولن الضوء على الحاجة إلى السلام والتسامح والحوار مع الأقليات الدينية-الإثنية داخل المجتمع التركي، وبين الأمم باعتبار تلك القيم تمثل جزءًا لا يتجزأ من الإسلام والهوية الإسلامية التركية[٥٠].

كولن واحترام مؤسسات الدولة

يطلب كولن من الأفراد توخِّي الحذر كي لا يُحدثوا تآكلاً في القيم الحقيقية التي ترمز لها الدولة أو مؤسساتها بشكل مثالي. حيث عارض كولن طويلاً هؤلاء المطالبين بالفوضى والتوتر الاجتماعي والعنف في تركيا أو في أي مكانٍ آخر بالعالم. كما يذهب كولن إلى القول إنه أثناء تعامل الأفراد مع السياسيين الفاسدين والسياساتِ الحزبية الملتويةَ والفسادِ، عليهم أن ينتبهوا بشكل أكبر كي لا يضيعوا وبشكل علني القيمَ الحقيقية والسلطة والاحترام لمؤسسات الدولة[٥١]. كما يؤمن كولن بأن الحركات والأعمال الفوضوية تقوِّض أجواء السلام والتبادل الحر للآراء وسيادة القانون والعدالة.

إن التغيير أمر يمكن تحقيقه من خلال ترسيخ قيم الإنصاف وتكافؤ الفرص والحرية والعدالة، الأمر

المجتمع الذي يحصل أفراده على تعليم مناسب، وتأهيلٍ مهني جيد، ولهم دراية بمتطلباتهم وقيمهم وحقوقهم، لن ينزلقوا أبدًا إلى براثن الفولكلور المجرد أو الهروب أو الإرهاب الناتج عن الإحباط.

nesemat.com نسيمات nesemat.com

الذي تتحول معه الاحتياجات إلى حقوق دون أي تغيير عنيف أو مفاجئ في المشهد السياسي. فإذا توفرت للناس فرصة الوصول إلى الحرية الثقافية وفرص التعليم المناسب، فسيسهم ذلك في الارتقاء بفكرهم فلا يقعون ضحية لمخططاتِ أصحاب المصالح أو النخب المتميزة والتي تستغل الخطاب العام لإبقاء سيطرتها القائمة على اللغة والرموز وللتغطية على تفاقم المظالم وعدم المساواة. إن المجتمع الذي يتكون من أفراد حصلوا على تعليم مناسب، وتأهيلٍ وتدريب مهني جيد، والذين يكونون على دراية بمتطلباتهم وقيمهم وحقوقهم، لن ينزلقوا أبدًا إلى براثن الفولكلور المجرد أو الهروب أو الإرهاب الناتج عن الإحباط. وحول ذلك يقول كولن: "لقد قلت دومًا إن "أسوأ دولة أفضل من لا دولة". وعندما أصرِّح برأيي في كلماتٍ من قبيلِ: "الدولة ضرورية، ويجب ألا تُقوَّض"، فإنني لا أكون بذلك قد قدَّستُ الدولة، كما فعل البعض. فهذا التفضيل ضرورة بالنسبة لي؛ لأنه لو لم تشغل الدولة مكانًا معينًا، لحلَّت محلها الفوضى والتخبُّط والاضطراب. ومن ثم لا يكون ثمَّة احترام على الإطلاق للأفكار أو حرية الأديان، كما تُنتهك عندئذ ضمائرنا، ولا تكون هناك فرصة لإقامة العدل. وفي الماضي مرت أمتنا بأوقات عانت فيه من غياب الدولة، ومن ثم فإنني أعتبر أن دعم الدولة أحد واجبات المواطنة"[٥٢].

كولن والنُّخَب السياسية

"رغم أن كولن ليس من الساسة، فإنه يشكل الوعي الذي يحدد مستقبل الديمقراطية التركية"[٥٣]. لكن دعوته إلى الديمقراطية والحرية والمساواة والعدل وحقوق الإنسان وسيادة القانون باعتبارها الأساس الرئيس والركن الركين لتنظيم علاقة المجتمع بالدولة، تواجه رمزيًا دور أصحاب الامتيازات والمصالح الخاصة من النخبة الحمائية[٥٤] في تركيا[٥٥]. وقد أحدث كولن نقلة مهمة فيما يتعلق بالمجتمع المدني والثقافة بدلاً من سياسة الأحزاب، باعتبارها نقاط مرجعية جديدة في عقلية الشعب التركي وتوجهاته.

ورغم أن كولن قد أعلن صراحة أنه ليست لديه أيَّة أجندة سياسية وأنه يعارض الاستغلال الذرائعي للدين في السياسة وأن تأكيده إنما ينصبُّ على الفرد وما إلى ذلك، فما زالت النخبة الحمائية بطريقتها المعهودة، تتهمه وتتهم الحركة بأنهما يمثلان "تهديدًا للدولة"[٥٦]. ويرد بارتون على هذا بقوله: إن "كولن ليس متعصِّبًا، وهذا واضح للعيان، فهو شخص معتدل تمامًا في كل ما يقول ويفعل". ويعلق بارتون على سبب نظرة العلمانيين المتشددين الذين يرون أنفسهم أوصياء على النظام تجاه كولن والحركة باعتبارهما حركة معارضة وقوة سياسية فيقول:

"يرى منتقدو كولن الذين يبدو أن أغلبهم غير مطلع على كتاباته وأفكاره أنه ينادي بنوع مختلف من الإسلام عن ذلك الذي تقره الدولة. وهذا التوجُّس يعتمد في الغالب على فهم خاطئ؛ فكولن في الحقيقة، لا ينادي بنوعٍ مختلف من الإسلام، بل بإسلامٍ يهتم بشكلٍ أكبر وأعمق بحياة البشر، ويحولهم ليس إلى مجرد مؤمنين أفضل، بل إلى مواطنين أفضل"[٥٧].

إن آراء البعض -مثل كولن- المؤيدةَ لنشر دعائم الديمقراطية والحقوق الأساسية للإنسان، تتعرض للقمع لأنها تُعد تهديدًا للمصالح الحمائية في المجتمع، وبالتالي فهي تواجه الاستبعاد وتتخوف منها النخبة الحمائية، لأنها ترى أن هذه التصورات والمطالب قد تؤدي إلى تغيير توازن النظام السياسي، وتتسبب في توسيع نطاق معايير الاختيار لدى الجماهير.

كولن وتجديد الفكر الديني

يتحدث كولن في خطبه ومحاضراته، لغة جديدة باصطلاحات وعبارات خاصة به، فهو يعتمد على الموروث الذي خلَّفه من سبقوه، مؤصّلاً براهينه في ذاكرة الماضي. ثم ينحو كولن بعد ذلك نحو الاتجاهات الإنسانية والبراهين التي يستمدها من خلال الاستنارة الروحية والفكرية للمصادر التقليدية السائدة، ويفسرها وفقًا للاحتياجات الحالية والمتوقعة مستقبلاً. ولا يتبنى كولن لغة الصراعات السابقة؛ لأنه قادر على أن يحدد هويته الخاصة، كما أنه لا يعمد إلى استخدام الرموز، أو الخبرة التنظيمية

يؤمن كولن بأن الحركات والأعمال الفوضوية تقوِّض أجواء السلام والتبادل الحر للآراء، وسيادة القانون والعدالة.

nesemat.com نسيمات nesemat.com

وأشكال العمل الخاصة بالحركات التي سبقت حركته، بل يبني فهمه على تقليد يُمْكن له من خلاله توصيلُ معانٍ جديدة. إن حركة كولن تُحوِّل نفسها إلى مؤسسات جديدة تتحدث بلغة جديدة ويعمل بها أفراد جدد. كما أن المعاني ودوافع السلوك الذي تحاول الحركة صياغتَه، والعملياتِ الداخلية لتشكيل الاتجاهات ليست مادية وسياسية محضة. وفي مقابل فرض أنماط الحياة التي لم تعد تقدم للأفراد الأسسَ الثقافية لتحديد ذواتهم، تتعامل الحركة مع الاحتياجات البشرية على المستوى الثقافي والروحي. كما أنها تسلط الضوء على الطاقات الجماعية بحيث يمكن التعامل بشكل ناجع مع المعضلات المتأصلة والخيارات بالغة الأهمية. كما تؤكد الحركة أنه لا يمكن توعية الفرد والاعتناء به وتعليمه، إلا في البيئة الصحية وفي ظل مؤسسات موثوقة[٥٨].

لقد أصبحت أفكار كولن وحركته عاملَ تحوُّلٍ كبير في تركيا، حيث قدَّم للناس فهمًا جديدًا للدين والعلم والخدمات الجماعية والاجتماعية والأنشطة الإيثارية والتعليمية. لقد أدرك كولن أن تطوُّر السياسة والمؤسسات السياسية كان يتباطأ خلف التغيير الاجتماعي والثقافي. ومن ثم فقد أحيا التقاليدَ

الإنسانية المحبة للخير، وقيمَ الإيثار والإحسان لدى مواطني تركيا، وحثهم على أن يتخذوا من أعمالهم وخدماتهم الخيرية وسيلة لرأب الصدع وتضييق الفجوة التي خلفتها سياسات الحكومة وتمييز النخبة الحمائية[٥٩].

إن النماذج الاجتماعية الجديدة تَظْهر عندما يجري الاعتراف والترحيب على شكل واسع بمفاهيم جديدة، وعندما يسارع الأفراد إلى وضع إطارٍ مؤسَّسي لمتطلباتهم الاجتماعية ومشروعاتهم الثقافية. وتلك النماذج التي أبرزتها حركة كولن ثقافية الطابع وليست سياسية، فهي تُغيِّر أُطر التفكير والعلاقات. وما زالت هذه النماذج باقية لأنها تأخذ شكلاً مشروعًا من الناحية السياسية والمؤسسية. وقد كان المجتمع التركي يفتقد إلى التحول الكبير في الاتجاهات، وإضفاء إطار مؤسسي فعَّال على الاحتياجات والمبادرات العامة، والخدمات الخيرية الجماعية أو المنظمة في مجال التعليم، والحلول الناجعة البسيطة للشقاق الاجتماعي، وهي الأمور التي حققها المشاركون في الحركة، في حين لم تسع إليها البيروقراطية السياسية الحمائية قط.

وتحمِل المشروعات الاجتماعية لحركة كولن معانيَ مختلفةً لأفراد مختلفين في تركيا. ويعتبر مؤيدو الحركة أنها تعترف بانتمائها للنظام وأنها تُعرِّف نفسها بالمصلحة العامة للمجتمع التركي، وأنها تتصرف بشكل قانوني وملائم في حدود القواعد القانونية والمعايير الاجتماعية للبلاد، سعيًا لتحقيق الأهداف الجماعية المشتركة، غير أن المعارضين للحركة يرون أن مشاركة الحركة وإسهامها ليست سوى مزاعم غير معلنة لمصالح تنافسية معينة، ومحاولة لممارسة تأثير على توزيع السلطة لصالح "الغير" في المجتمع التركي، وهي مزاعم تم التأكيد عليها رغم حقيقة أن الخدمات الثقافية والإيثارية الجماعية تختلف في طبيعتها عن المشاركة السياسية أو الخلافات ذات الطابع السياسي[٦٠]. وهذا يكشف بدوره ليس فقط حقيقةَ أن استجابة النظام السياسي في تركيا قد تختلف بشكل ملحوظ طبقًا للحالات المختلفة، لكنها تختلف أيضا عن الحالات التي تمتْ دراستها في أوروبا الغربية أو أمريكا الشمالية.

نتيجتان لما سبق

من هذه الملاحظة نتوصل إلى نتيجتين: الأولى هي الإقرار بأن حركات مثل حركة كولن تقدم حوافز لتحديث النظام السياسي وتعزيز المجتمع المدني والديمقراطية التعددية، وبالنسبة لتركيا فإنها تنبه الشعب إلى الحاجة الملحة للإصلاح المؤسسي. والنتيجة الثانية هي أننا نستطيع الاعتراف بأن الأطر النظرية السائدة غير كافية (بل حتى متحيزة بشكلٍ ما) كمداخل للتعامل مع الجمعيات الدينية، لاسيما فيما يتعلق بالتيار السائد من المسلمين والإسلام الثقافي. ومن ثم فإن تقييد التحليل على أبعاد سياسية تمامًا للظواهر الملاحظة (مثل الصدام مع السلطة) يمثل استسلامًا للاختزالية. وهذه الاختزالية تتجاهل الأبعاد الاجتماعية -تحديدًا- للتحرك

الجماعي، وتركز حصريا على الخصائص التي يمكن قياسها بشكل أسرع، والتي تجذب اهتمام وسائل الإعلام بسبب بروزها.

"إن طريقة عمل الحركات الاجتماعية المعاصرة تتمثل في تشكيل معان جديدة للتحرك الاجتماعي، كما تُعد محركًا حيويًا للابتكار. أما البعد السياسي فغالبًا لا يمثل أكثر من بقايا"[٦١]. ■

الهوامش

[١] ميلوتشي، ١٩٩٩: ٩٨ – ١٠٠-، ووليامز، ٢٠٠٤: ٩٢ – ٩٣.

[٢] ميلوتشي، ١٩٩٩: ٩٨ و١٠٢.

[٣] عوفي، ١٩٨٥: ٢٤.

[٤] ديلا بورتا وديافي، ١٩٩٩: ١٢.

[٥] مايكل، ٢٠٠٦: ١٠٧؛ أونال ووليامز، ٢٠٠٠: ٢٧٧ – ٢٧٨؛ يلمز، ٢٠٠٥: ٣٩٧.

[٦] أونال ووليامز، ٢٠٠٠: ٢٧٧ – ٢٧٨؛ وأيضًا
./١٤/٩٧٠/http://en.fgulen. com/content/view

[٧] أصلاندوغان وجَتين، ٢٠٠٦: ٣٨؛ هيندريك، ٢٠٠٦: ٢٦؛ سايكيانين، ٢٠٠٦: ١١٣، ١١٦، مايكل، ٢٠٠٥ب: ٣٥١.

[٨] جَتين، ٢٠٠٥: ٣٩.

[٩] بارتون، ٢٠٠٥: ١.

[١٠] ويلر، ٢٠٠٥ب: ٢ – ٣.

[١١] للمزيد انظر أصلاندوغان وجَتين، ٢٠٠٦: ٥٣ وجَتين، ٢٠٠٥: ٣٦ – ٣٧.

[١٢] مايكل، ٢٠٠٦: ١٠٧؛ تكالان، ٢٠٠٥: ٣.

[١٣] كولن، ٢٠٠٥أ: ١٤٥.

[١٤] ميلوتشي، ١٩٩٩: ٢٣٣ – ٢٣٤.

[١٥] استشهادات كولن عند ميتشل، ٢٠٠٥ب: ٣٥٦؛ كولن لدى أونال ووليامز، ٢٠٠٠: ٨٦؛ سيتن، ٢٠٠٥:٥.

[١٦] كولن مستشهد به لدى أونال ووليامز، ٢٠٠٠: ٨٠.

[١٧] للمزيد انظر أصلاندوغان وجَتين، ٢٠٠٦.

[١٨] أفساروديين، ٢٠٠٥: ٢٢.

[١٩] تكالان، ٢٠٠٥: ٣.

[٢٠] ميتشل، ٢٠٠٥ب: ٣٥٤.

[٢١] ميتشل، ٢٠٠٥أ: ٥١.

[٢٢] انظر أيضًا كيرتز (٢٠٠٥: ٢٨٣)، والذي يسجل هذه الملاحظة المتفائلة، فيقول: إن كولن "ينشر إسلاما كليا من خلال نمط حياته المسالم، وإدانة الإرهاب والعنف، وحشده لحركة تسعى للتغيير الاجتماعي والروحي في العالم. [...] وربما تكون إبداعاته في التعامل مع التناقضات الثقافية مصدر إلهام لآخرين لمساعدتنا في إيجاد حلول لمعضلاتنا العالمية".

[٢٣] فول، ٢٠٠٥: ٢٤٥؛ يلمز، ٢٠٠٥: ٣٩٧؛ أشتون، ٢٠٠٥: ٣ – ٤؛ زيبك، ١٩٩٧؛ أونال ووليامز، ٢٠٠٠: ٣٦.

[٢٤] زيبك، ١٩٩٧؛ أونال ووليامز، ٢٠٠٠: ٣٦.

[٢٥] كولن، ٢٠٠١أ: ١٣٨؛ المصدر السابق، ٢٠٠٤أ: ٢١٩.

[٢٦] آشتون، ٢٠٠٥: ٣ – ٤.

[٢٧] كولن، ٢٠٠٤أ: ٢٢٠.

[٢٨] المصدر السابق، ٢٢٠ – ٢٢٤.

[٢٩] كولن، ٢٠٠٥ب: ٤٥٢.

[٣١] إيكلمان، ٢٠٠٢: ٤.

[٣٢] بارتون، ٢٠٠٥: ١٧-١٨.

[٣٣] كولن، ٢٠٠٥ب: ٤٥٦.

[٣٤] سيفيندي، ١٩٩٧ج؛ أونال ووليامز، ٢٠٠٠: ٣٨؛ كولن، ٢٠٠٤أ: ٢٢٣.

[٣٥] للمزيد من المناقشات والاستشهادات المشابهة لكولن، انظر سايكيانين، ٢٠٠٦: ١١٠.

[٣٦] كولن، ٢٠٠٤أ: ٢٢٣.

[٣٧] سايكيانين، ٢٠٠٦: ١١٤، وإيكلمان، ٢٠٠٢: ٤.

[٣٨] كولن، ٢٠٠٤أ: ٢٢٤.

[٣٩] كولن، ٢٠٠٤أ: ٢٣٠ – ٢٣١؛ كولن، ٢٠٠٠ج: ٧ – ٨.

[٤٠] ميتشل، ٢٠٠٥ب: ٣٥١.

[٤١] سايكيانين، ٢٠٠٦: ١١٦.

[٤٢] كولن عند أونال ووليامز، ٢٠٠٠: ٩٩.

[٤٣] بارتون، ٢٠٠٥: ١٧ – ١٨.

[٤٤] في إحدى مقابلاتي معه، أوضح أيماز أن اتهام حركة كولن باستخدام المكائد دليل يشير إلى مبالغة قي تبسيط الديناميكيات الروحية والاجتماعية-الثقافية لحركة كولن؛ كما أن ذلك الاتهام يتعارض مع الوعي والفهم السليم للعدد المتنامي من مناصري الحركة (الذين يبلغ عددهم الملايين الآن)، حيث تنتقد الحركة بشكل صارم

أحوال الدول التي تغض فيها جماعات الإسلام السياسي الطرف عن استخدام المكائد والذرائع وسيلة لها

[٤٥] ويب، ٢٠٠٠: ٧٣ – ٧٤؛ في المقابلات الإعلامية والصحفية التالية: مؤسسة الإذاعة والتليفزيون التركية (١٩٩٥)؛ زمان (١٩٩٥)؛ NTV-MSNBC (١٩٩٨)؛ أكشام (١٩٨٨)؛ ملييت (١٩٨٨)، STV News (١٩٩٧)؛ حرية (١٩٩٥)؛ وأيضًا في يلمز (١٩٩٧)؛ زمان (٢٣ يونيو)؛ ياجز (١٩٩٧)؛ باريس (١٩٩٩)؛ كولن (٢٠٠٦)؛ دينك (١٩٩٨).

[٤٦] بارتون، ٢٠٠٥: ٣٩ – ٤١.

[٤٧] كولن، ٢٠٠٥ب: ٤٦٦ – ٤٦٧.

[٤٨] كولن عند ياجيز (١٩٩٧)، وعند أونال وويليامز (٢٠٠٠: ١٦٦ و١٦٧)، وعند زيلوت (١٩٩٨)؛ سايكيانين، ٢٠٠٦: ١١٣.

[٤٩] هاند، ٢٠٠٤: ٢٧.

[٥٠] ويب، ٢٠٠٠: ٤؛ أراس، ١٩٩٨.

[٥١] غوندام، ٢٠٠٥: ٨١.

[٥٢] المصدر السابق، ٨٢. انظر أيضًا: http://en.fgulen.com/content/view/١٤/١٩١٨/.

[٥٣] هانت، ٢٠٠٧: ٨ – ٩.

[٥٤] الحمائيون (Protectionists): يشير المصطلح في الدراسة إلى هؤلاء الأشخاص الموجودين في القيادة الثابتة في تركيا، والذين لديهم فهم قومي علماني بيروقراطي سلطوي ومتشدد، ويرغبون في استدامة الوضع القائم.

[٥٥] سايكيانين، ٢٠٠٦: ١١٠.

[٥٦] يلمظ، ٢٠٠٥: ٣٩٨.

[٥٧] بارتون، ٢٠٠٥: ٩.

[٥٨] المصدر السابق، ٤٩.

[٥٩] جَتين، ٢٠٠٦: ١ – ٤؛ ذا فاونتن، ٢٠٠٢: ٩٣؛ فرانتز، ٢٠٠٠؛ أوزدالكا، ٢٠٠٥: ٤٣٣.

[٦٠] لوفلاند، ١٩٩٦: ١٤٦.

[٦١] ميلوتشي، ١٩٩٩: ٢٠٣.

برقيات

أ.د. عبد المجيد بوشبكة

جامعة شعيب الدكالي
بالجديدة/المغرب

لقد أخذ الأستاذ فتح الله على عاتقه مهمة تطبيب الإنسانية جمعاء طوعًا، وتحمل مشقة حمل المشعل لإضاءة طريقها، تخطيطًا وتنزيلاً. حيث نجح في إعداد مشروع جديد، وتخريج جيل فريد، أصبح لخدمة الإنسانية عنوانًا، وللتضحية برهانًا. لقد اتسع شعور الأستاذ كولن بالمسؤولية صوب كل الانحرافات والخلافات والظلمات التي سادت عالمنا. وكما جاءت الرسالة المحمدية عالمية لكافة الناس، فإن الأستاذ كولن أخذ على عاتقه مهمة التبليغ والنصح لكافة البشر. ولأن المهمة خطيرة، فالأخطر منها إيجاد الوسائل والآليات للوصول إلى هذه الغاية العظمى، وعلى رأسها تخريج جيل جديد بمواصفات عالية تمكنه من التصدي لهذا الدور الإنساني النموذجي. وقد تواترت الشهادات للدلالة على إنسانية الأستاذ كولن العالية، حتى غدا عديد من الباحثين يقارنوه بأعلام الفلسفة والفكر الإنساني عبر التاريخ.

"جهود التجديد"
قراءة في المنهج وأفكار لافتة

أبو زيد عبد الرحيم

د. أبو زيد عبد الرحيم جويلي، باحث متخصص في الفكر الإسلامي والحركات الإسلامية والشأن التركي. ليسانس الآداب والتربية، قسم الدراسات الإسلامية بجامعة الأزهر بتقدير ممتاز مع مرتبة الشرف عام ١٩٩٩. ماجستير الأديان المقارنة عن أطروحة: "التجديد في الفكر الديني المعاصر في تركيا، فتح الله كولن نموذجًا" ٢٠١٠. دكتوراه في الفلسفة ومقارنة الأديان عن أطروحة: "حوار الدين والعلمانية في تركيا، حزب العدالة والتنمية نموذجًا" ٢٠١٧. مرتبة الشرف الأولى.

حلقة جديدة من حلقات سلسلة "الجرة المشروخة" عنوانها "جهود التجديد" تتميز عن أخواتها بأنها تتضمن أحدث الأسئلة التي وجهت للأستاذ كولن في السنوات العشر الأخيرة بما شهدته من أزمات وصدامات، وهي بذلك تطلعنا على أهم الأسس المنهجية التي ترسخت في مشروع الخدمة، وتلفت النظر إلى ما يعتمل في الواقع من قضايا ومستجدات.

وحول هذه المحاور يطوف بنا الباحث المتخصص في فكر الخدمة والأستاذ كولن الدكتور أبو زيد عبد الرحيم في جولة منطادية عبر آفاق الكتاب يستجلي هذه الأسس التي تحمل عصارة فكر الأستاذ كولن، وتجربته بعد كل هذه السنوات في طريق الدعوة والإصلاح والتربية وخدمة الآخرين ويوجه أنظارنا إلى بعض اللفتات والمستجدات التي أدلى فيها الأستاذ بدلوه.

الكتاب من إصدارات دار النيل للنشر بالقاهرة وهو الحلقة الثانية عشر من سلسلة الجرة المشروخة، ترجمه إلى العربية د. عبد الله عنتر، وصدرت الطبعة الأولى منه في أواخر عام ٢٠١٧.

مقدمة

تمثل كتابات فتح الله كولن المملوءة بهموم إصلاح الإنسانية، والمفعمة بحب الله تعالى أُسُسًا هامة، وقواعد أصيلة في سياق بناء مشروع حضاري إنساني، يخرج العالم من وهدة سبات الروح، ويُحرر الإنسان من نفسه المهلكة له، ويُحفِّزه في الوقت ذاته للاهتمام بمشاكل الوجود الإنساني، والبحث عن حلول عملية لها.

لقد تميز فتح الله كولن في خطابه التجديدي بالإصلاح الذي يحمل طابعًا قيميًّا أخلاقيًّا وتربويًّا، يتركز في مجمله حول الإنسان، وإعادة بنائه وصياغته، فالإنسان هو المركز الذي يدور حوله الكون، وهو خليفة الله في الأرض، وعليه يقع عمرانها المرتبط بأهليته لحمل مسؤوليات هذا الاستخلاف.

وقد صدر مؤخرًا عن دار النيل بالقاهرة كتاب جديد بعنوان "جهود التجديد" للأستاذ فتح الله كولن، يواصل فيه كاتبه تخطيط ملامح مشروعه الكوني الإنساني الذي يسعى إلى تشييد صرح الأمة الروحي وإشعال جذوة حماسها المعنوي، لاستئناف انبعاثها الحضاري الرامي إلى تهيئة مناخ إنساني سلمي عبر جسور من التواصل بين الثقافات والحضارات.

وتأتي أهمية صدور الكتاب لتزامنه مع تفشي وباء الإرهاب فرديًّا وجماعيًّا بما يحمله من أفكار هدامة تدعو إلى التناحر والتعادي والتقاتل، وتُعد ذلك تضحية في سبيل الدين والمعتقد، حتى ظن كل طرف أنه شهيد في سبيل قضيته ودعوته، فالتبس لدى كثير الحق والباطل، وعميت الرؤى عن تحديد الميزان القويم الذي تنضبط به الأمور. وأي كتاب جديد يصدر للأستاذ كولن يطلعنا على مزيد من تفاصيل هذا المشروع الإنساني الإسلامي الرائع الذي يشتغل عليه هو ورفاقه، وهو -من وجهة نظري- يحتوي عديدًا من الوصفات العلاجية التي تقضي على هذا الداء من جذوره، وتفرغ طاقات شباب الأمة في مسارات إيجابية بديلة تنأى بهم عن كل عمل غاشم وعنيف يهدم ولا يبني، ويخرب ولا يعمر، ويشوه رسالة الرحمة السامية بدلاً من أن يعمل على نشرها[1].

وسأحاول في هذا المقال أن أعرض بعض الملامح العامة التي لفتت نظري، وأتقاسمها مع القراء الأعزاء، وهي بالطبع لا تعدو سوى قراءة أولية، تفتح شهية القارئ لارتشاف مزيد من المعاني والأفكار وخطط السير ومنهاج الطريق.

سلسلة الجرة المشروخة

يندرج هذا الكتاب ضمن سلسلة "الجرة المشروخة"، والتي تحتوي على دروس متنوعة ألقاها الأستاذ كولن في السنوات الأخيرة، أثناء إقامته في أمريكا، وقد صدر باللغة العربية منها سابقًا: "إشراقات الأمل في دياجي الحزن والأسى" و"شد الرحال لغاية سامية"، بيد أن ما يميز هذا الكتاب عن سابقيه، أنه يتضمن الأسئلة التي وجهت للأستاذ كولن في

السنوات العشر الأخيرة بما شهدته من أزمات وصدامات. بالإضافة إلى أنه يحمل عصارة فكر الأستاذ، وتجربته بعد كل هذه السنوات في طريق الدعوة والإصلاح والتربية وخدمة الآخرين، ويعطيك مؤشرًا على رسوخ الفكرة لديه، ووضوح الهدف، وكمال الرؤية.

لغة الكتاب

لغة الأستاذ فتح الله كولن في كتاباته لغة أدبية رصينة، ذات مستويات عديدة في الخطاب، تتضمن معاني عميقة وإشارات ذات مغزى، فهو أديب شاعر، ومفكر فيلسوف، وخطيب مفوَّه له تأثيره الذي لا يُنكَر على جماهيره، وقد تجلى ذلك واضحًا في رصانة عبارات كتبه "ونحن نقيم صرح الروح" "ونحن نبني حضارتنا" وعمق معاني كتابه "التلال الزمردية نحو حياة القلب والروح"، وجزالة لغة مقالاته في افتتاحيات مجلة حراء، ولولا هموم الدعوة ومشاغلها لشهدت تركيا الحديثة أديبًا متفرغًا فذًّا لا يقل عن أدبائها المشهورين من أمثال محمد عاكف أرصوي[٢]، ونجيب فاضل[٣] وأمثالهم.

لكن لغة هذا الكتاب جاءت مختلفة عما سبق ذكره، فهي تتميز بسهولة الألفاظ، وبساطة التراكيب، ووضوح الأفكار، والاستطراد أحيانًا، ويرجع ذلك إلى ما أسلفنا ذكره حول طبيعة هذا الكتاب من أنه مجموع من دروس متنوعة ألقاها الأستاذ كولن على طلابه في حلقات خاصة بثت على الشبكة العنكبوتية ثم تشكلت منها مجموعة "الجرة المشروخة"، وبطبيعة الحال نجد فيها مراعاة لأحوال المخاطبين ذوي المستويات المختلفة والمشارب المتنوعة.

ومهما يكن من شيء فالأستاذ في أدبياته كلها -مهما تنوعت أساليبه- يصرِّف القول في قضايا وأفكار محورية ظل طيلة حياته الدعوية التي تناهز الستين عامًا ينحتها فكرًا وسلوكًا، فالمحور الفكري للأستاذ ثابت لا يتغير ولا يتبدل، ولن يغيب عن متقصي آثار الأستاذ كولن وعوالم عقله الثبات والتناسق في جوهر أفكاره وعدم تناقضها أو تخالفها؛ بل يشهد تكاملها مع بعضها وتساندها وسيرها في طريق رئيس، شوطًا بعد شوط، ترسم حدود الإحياء والانبعاث في الفكر والحركة والدعوة.

> لا يمكن التوفيق ألبتة بين الإسلام وبين ما يقوم به هؤلاء الجناة من إزهاقٍ لأرواح الأبرياء من خلال استخدامهم للأحزمة الناسفة، أيًّا كانت الدولة أو الحزب الذي ينتمون إليه.

نسمات nesemat.com

قراءة أولية في المنهج

ينطلق الأستاذ فتح الله كولن في كل كتبه من منطلق رؤية حضارية تكشف عن نفسها بواسطة قلمه، وفكر هذه الرؤية الحضارية وعقلها الباطن، وعالمها الروحي يمكن رؤيته منعكسًا في كتاباته التي منها هذا الكتاب.

هذه الحضارة التي يُبشِّر بها كولن جديدة كل

الجدة على السلوك الإنساني المعاصر، لذا تراه في هذا الكتاب يحاول معالجة هذا السلوك الغارق في تشييد صرح الأنانية إلى الاهتمام بمسألة إحياء الآخرين. فيحث السالكين في مسيرة التجديد إلى ضرورة بلوغ أعلى مراتب التدين، والتي تبدأ بإحياء الجانب النظري، مرورًا بالجانب العملي المتضمن معايشة الدين وجعله روحًا للحياة، وصولاً إلى جعل حديث رسول الله ﷺ "ليَبْلُغن هذا الأمر ما بلغ اللَّيل والنَّهار" (أخرجه أحمد في مسنده) هدفًا ونبراسًا له، على أن يرسم الإنسان حياته وفقًا لهذه الغاية. وسوف أقف في السطور التالية على بعض ملامح هذه الرؤية الكلية من خلال هذا الكتاب ومنها:

١- توقير الإنسان

من أهم المسائل الجوهرية التي عُني بها الأستاذ كولن مسألة توقير الإنسان حتى لو كان مخالفًا في العقيدة، أو متجاوزًا حدوده في التعامل المشترك، فيقول: "علينا أن نبدي الاحترام اللائق بماهية الإنسان، لأن الإنسان مخلوق كريم لا بد من احترامه وتقديره، يقول تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾(التين:٤) فالله ﷻ يبين أن الإنسان مخلوق كريم محظي بقيمةٍ فوق القيم، وهو في طبيعته يعبر عن مثل هذه القيمة. ولا يخفى عليكم أن رسول الله ﷺ لما مُرَّ عَلَيهِ بِجِنَازَةٍ قَامَ، فَقِيلَ لَهُ: إِنَّهُ يَهُودِيٌّ، فَقَالَ: "أَلَيْسَتْ نَفْسًا" (متفق عليه)، ومن ثم فعليكم ألا تتخلوا عن احترامكم لهذا الإنسان الذي خلقه الله مكرَّمًا وإن أساء معاملته معكم، حتى وإن استخفّ البعضُ بقيمكم وأساء الأدب مع الله ورسوله فعليكم أن تحافظوا على أسلوبكم معهم محافظتكم على شرفكم وعرضكم، ويجب ألا تنسوا أنكم مسلمون مزوَّدون بالأدب المحمدي والخلق القرآني؛ بمعنى أن أخلاقكم هي أخلاق القرآن، فكيف لكم أن تتصرفوا مثل الآخرين؟! قد يفلت لسان الآخرين، وبعضهم يدنّس المكان الذي يمرّ به، ولكنكم لستم مثلهم، إنكم مضطرون إلى أن تعبروا عما تتميزون به وتختلفون فيه عنهم حتى في أسوأ الظروف"[٤].

٢- مصدرية الوحي في النهوض الحضاري

الوحي بمصدريه (القرآن الكريم والسنة النبوية) من الركائز الأساسية التي اعتمد عليها الأستاذ فتح الله كولن في عملية الإقلاع الحضاري من جديد. وهذا الاعتماد لم يقف عند حدود الخطاب بل تعدى إلى الحضور الفعلي في الواقع الحياتي، فتربية نماذج إنسانية تستمد انبعاثها وطاقتها الحيوية المتجددة من هذا المصدر، وتقتفي أثر رسول الله ﷺ وأسلوبه في الحياة ومنهجه في التفاعل مع الكون كان هو الشغل الشاغل الذي نذر له الأستاذ حياته، يقول الأستاذ كولن: "فكما أننا بأمسِّ الحاجة إلى الحماسة بمعناها الحقيقي؛ فنحن كذلك في حاجة إلى كثيرٍ من المبادئ التي قنّنَتْها محكماتُ آيِ القرآن الكريم؛ حيث إنه ينبغي لنا أن نَزِنَ كلَّ أفعالِنا وتصرُّفاتنا بميزان القرآن والسنة، فضلاً عن آراء وأقوال الخلفاء الراشدين،

امتثالاً للحديث الشريف: "عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ" (أخرجه أبو داود في سننه) ؛ لأننا إن كنا نؤمنُ بصدق هدفنا وغايتنا التي نسعى من أجلها فلا بدّ أن يكون الطريق الذي نسعى من خلاله إلى هذا الهدف محفوفًا بالثقة والأمان، وهذا لا يتأتّى إلا بالسير على نهج القرآن والسنة، واتباع سادتنا الصحابة، لا سيّما الخلفاء الراشدين رضي الله تعالى عن الجميع."[٥].

إن فتح الله كولن يعتقد أن القرآن الكريم الذي أقام حضارة إنسانية منذ أربعة عشر قرنًا، تقوم على العدالة الحقيقية والمساواة المتوازنة والفضيلة وحرمة الظلم والشرك والجهل وإقامة الأخلاق الفاضلة، قادر كذلك أن يقول كلمته في العصر الحاضر والمستقبل، وهو كذلك على يقين بأن القرن الواحد والعشرين سيكون عصر القرآن: "ليس من المبالغة أبدًا النظر إلى المستقبل بأنه سيكون عهد القرآن، وذلك لأنه الكلام الذي يرى الماضي والحاضر والمستقبل في آن واحدٍ"[٦].

والسنة النبوية لا تقل كذلك أهمية عن القرآن الكريم في رؤية الأستاذ فتح الله كولن الإصلاحية، فإذا كان "المصدر الرئيس للعلم هو آثار الحق تعالى، والقرآن الكريم المعجز البيان هو القول الشارح والتفسير الواضح والبرهان القاطع والترجمان الساطع لهذه الآثار" فإن "السنة الصحيحة هي المبيّن والمفسر للقرآن الكريم"[٧]، ومن ثم تُطلق الحكمة

هذا الكتاب بما اشتمل عليه من محتوى تلقائي يطلعنا على عملية التكوين الحي المباشر الذي يمارسه الأستاذ مع طلابه وكيفية إحياء الثوابت في نفوسهم فكرًا وسلوكًا وتطبيقًا ومعايشة.

nesemat.com نسمات nesemat.com

على السنة السنيّة للصادق المصدوق ﷺ؛ لأن القرآن مفعمٌ بحكمٍ تعجز أمامها العقول ولا تملك إلا أن تذعن وتُسلِس له قيادَها، فجاءت السنة الشريفة؛ ففصّلت القضايا الإجمالية في كتاب الله تعالى سواء ما يتّصل منها بالحياة الفردية أو الاجتماعية أو الأخروية، ولقد تناول شمسُ الفضيلة صلوات ربي وسلامه عليه الآيات البينات ففصّل مجملها، وقيّد مطلقها، وخصّص عامّها، ولم يدع جانبًا غامضًا فيها؛ مما دعا بعض المفسرين إلى أن يُفسّروا "الكتاب" في الآية بـ"القرآن"، و"الحكمة" بـ"السنة" الشريفة"[٨].

٣- روح الأدب الرفيع

يظهر جليًّا من خلال هذا الكتاب عادة الأستاذ كولن وديدنه الذي يتمثل في روح الأدب الرفيع في تعظيم الله ﷻ وتوقير النبي ﷺ وصحابته الكرام رضي الله عنهم، فالأستاذ فتح الله كولن من هؤلاء الأفذاذ الذين تقطر كلماتهم النابعة من الفطرة بنفحات أُنس وأدب جمٍّ في التعامل مع آيات القرآن الكريم وأحاديث رسول الله ﷺ وسيرته، فهو لا يذكر الله ﷻ إلا بإحدى صفاته من الجمال أو الكمال أو الجلال، أما مع رسول الله ﷺ فهو ينزله منزلة عالية

ويوقره، فتجده لم يذكره قط بلفظ محمد مفردًا، بل جُلُّ حديثه عن رسول الله ﷺ كان بألفاظ في غاية التبجيل والتقدير فأحيانًا يلقبه بفخر الإنسانية وفي أحيان أخرى بصاحب الشريعة، أو سيدنا النبي، أو العظيم روحًا ومعنى، أو الرسول الحبيب، أو الرسول الأعظم، أو سيد الأنام، أو فداك روحي وكياني. وكذلك الحال مع الصحابة الكرام، لا يذكر اسم الصحابي ﷺ إلا مقرونًا بـ(سيدنا) أو بما اشتُهروا به من الصفات ولا يختم الحديث عنهم إلا بـ(رضي الله عنهم)، ولا يصف الأحداث التي مرت على المسلمين إلا وهو يعايشها بأحاسيسه النزيهة وفكره المتفحص المقلب لصفحات الأسرار. وبالأسلوب عينه من الاحترام والتوقير كان يتحدث عن السلف الصالح والعلماء الأجلاء رضي الله عنهم جميعًا.

٤- المنهج الأصولي

إن الفقه وأصوله من أهم وأبرز قيم حضارتنا، وهما كما يقول الأستاذ فتح الله كولن: " ثمارُ مساعٍ حثيثة وكدحٍ مضنٍ، ومن حيث إنهما من غير مثيل أو شبيه لهما في التاريخ- مَنبعان لا ينضبان ومصدران قابلان للتوسع والثراء الرحيب بحيث إن الشعوب التي تمتلك هذين المصدرين، تُعَدُّ مالكة لأهم الأشياء الحيوية. إن كل حضارة تَفخر بقيمٍ تخصها بالذات... وأحسب أننا لو كنا نحتاج إلى أن نَصِف حضارتنا -باعتبار ماضينا- بصفة، لكان من الأنسب أن نصفها بـ"حضارةِ الفقه وأصول الفقه"... حضارة الفقه وأصول الفقه المنفتحة أبوابُـها على مصاريعها للفكر والحكمة والفلسفة"[٩].

من هنا فإن من يقرأ كُتب الأستاذ فتح الله كولن يجد نفسه أمام فقيه وأصولي بامتياز، والأدلة على ذلك كثيرة أهمها، أن منطلق الأستاذ دائمًا في إجابته على الأسئلة الشرعية يكون من خلال مراعاة الحفاظ على الكليات الخمس (الدين والنفس والنسل والمال والعقل)، وقد ظهر ذلك في أكثر من موضع في الكتاب، لا سيما عند حديثه عن قضية الانتحار والعمليات الانتحارية -وسوف يأتي بيان مزيد لها- حيث بنى تحريمه للعمليات الانتحارية من منطلق حفظ النفس، التي تأتي في غرة الضروريات الخمس.

كما أنه حينما يناقش موضوعًا يتعلق بمجال الفقه والأصول، لا يترك الموضوع حبيس ساحة واحدة فقط كشأن الأسلوب الأكاديمي، بل يظل يبحث عن الآثار الاجتماعية والثقافية لمضمون ذلك الموضوع، فتراه يناقش ويدخل في تفاصيل النتائج الأخلاقية والفكرية والمعرفية التي عسى أن تتمخض عما تناوله من المبدأ الفقهي أو الأصولي.

فهو يذكر أن من المعاني التي تطلق عليها الحكمة "الاطّلاع على باطن الأشياء وخلفيّاتها، والوقوف على المقاصد والمصالح في خلق الله للكون والإنسان، ومعرفة أن كلّ شيء في الكون موضوعٌ في نصابه، وليس فيه من عبث."[١٠].

٥- تفعيل المصادر الذاتية

يؤكد الأستاذ كولن على أن أولوياتنا التي ينبغي أن يقوم عليها عالمنا الفكري، والمقاييس التي يجب

الاعتماد عليها، والمعايير التي ينبغي أن نكون أوفياء لها، هي الأدلة الشرعية الأصلية، وفي مقدمتها المصادر الأساسية لثقافتنا، والتي يمكن أن نتعرف من خلالها على مشاعرنا وأفكارنا وهي: الكتاب والسنة والإجماع والقياس، ثم الأدلة الشرعية الفرعية مثل: العرف والعادة والمصلحة والاستحسان.

فإذا ما تعرف الفرد جيدًا على مصادره الأساسية، وأضاف إليها المعلومات التي يستقيها من المصادر الأخرى، والفلسفات الحديثة والنظريات الغربية رغم ما قد يوجد فيها من فكر منحرف، إلا أنه ينبغي ألا نحرم أنفسنا من بعض الجماليات الموجودة بها والتي تضفي على معارفنا حينئذٍ طابعًا مميزًا ولونًا خاصًا. أما إذا ما أهملت تلك المصادر الأساسية ولم نتمسك بعلم الأصول فالنتيجة أن شبابنا سيتلقف كل ما يصل إلى يديه على الفور دون اعتبار لغثٍّ أو سمين، ولا انتباهٍ أو مراقبةٍ لما قد يُدس في العسل من السم، فننساق كالعميان، ونقع في فخ التكلف والخيال.

كما ينبه الأستاذ كولن في هذا الصدد إلى نقطة في غاية الأهمية، ألا وهي نقطة الإنسان المتكامل، إنسان الروح والعقل أو إنسان الفكر والقلب فيقول: "من أجل الاستفادة بحق من المصادر الأساسية القيمة قيمة الكنز فإننا بحاجة إلى سعة وجدانٍ تُحلِّق في أفق القلب والروح، وتتعرف على ما يجب التعرف عليه مما يختص بهذا الأفق، وتطَّلع على وجهة نظرٍ تكشف عن معاني كتاب الكون، وتستفيد منها وتفسرها، ولكن كم عدد أصحاب هذا الأفق الذين

لا يقترح الأستاذ كولن حلولاً نظرية تدور في فلك العقل والخيال فقط، ويصعب تطبيقها، بل يقترح آليات عملية، تفعل هذه الأفكار، وتطبقها على أرض الواقع، وذلك من أبرز سمات منهجيته عامة.

nesemat.com نسمات nesemat.com

يمكننا أن نشير إليهم اليوم؟ فمن زمن طويل ونحن نعاني عند تربية الإنسان من انعدام المؤسسات التي تتناول وتخاطب نواحي الإنسان المادية والمعنوية والقلبية والروحية والعقلية والفكرية وغيرها"[١١].

ثم يختم الأستاذ حديثه في تلك القضية بضرورة أن يكون هناك اتحاد ثلاثي أو تشكيل حامل ثلاثي عند القيام ببناء عالمنا الفكري، وذلك باندماج المدرسة التقليدية والمدرسة الحديثة، أو بين المدرسة التقليدية وبين التكايا والزوايا، وبين ذلك كله وبين نظام وانضباط الثكنة العسكرية.

٦- الأفق الكوني

من الملامح العامة في خطاب الأستاذ فتح الله كولن في هذا الكتاب كونية الخطاب، وقد أكَّد عليها في مواطن عديدة، فهموم الإنسانية حاضرة في ذهن الأستاذ كولن بشكل متواصل، فهو لا يبحث عن حلول لمشاكل الأمة الإسلامية فحسب؛ بل إن مشاكل الإنسانية تحتل جانبًا كبيرًا من تفكيره، وهذا يدل على أنه ينقل المسلم من الشعور بالمسؤولية الفردية إلى الشعور بالمسؤولية الكونية. يقول كولن: "يجب أن تكون غاية حياتنا تمثيل الإسلام على الوجه

الأكمل، وإبراز صورته الحقيقية وتقديمه للإنسانية من جديد وفقًا للصورة التي جاء عليها من الله تعالى ورسوله ﷺ. إن كل مكان في العالم قد اندلعت فيه النيران، وعدم إدراك الإنسان هذه الحال البائسة التي تعيشها الإنسانية بسبب تلك النيران التي تسري في أوصالها، وعدم الشعور بها في النفس، وعدم معالجة المسألة بهذا القدر من الدقة والحساسية، هو غفلة بالنسبة لمن يسعون في سبيل خدمة الحق والحقيقة"[١٢].

٧- واقعية الحلول

في إطار أجوبة الأستاذ كولن عن الأسئلة الموجهة إليه والتي تتعلق برؤيته في حل بعض المشكلات، يجد القارئ أن الأستاذ كولن دائمًا وأبدًا لا يقترح حلولاً نظرية تدور في فلك العقل والخيال فقط، ويصعب تطبيقها على أرض الواقع، بل يجده على العكس من ذلك تمامًا يقترح في حل المشكلات آليات عملية، ويدعو دائمًا إلى تفعيل الأفكار، والتطبيق العملي الفعال للحلول التي يقترحها، والتي هي حاضرة في ذهنه دائما.

فقد تناول الأستاذ في الكتاب مسألة الإصلاح بين المتخاصمين، فبين أهمية إصلاح ذات البين، واقترح حلولاً عملية لتحقيق هذا الإصلاح، كتشكيل فريق يُعوَّل عليه القيام بهذا الإصلاح، يمكن أن نطلق عليه (هيئات الصلح)، على أن يكون الفريق من شخصيات تتمتع بخبرات في هذا المجال، هذا الفريق له دراية بنفسية الإنسان بما يساعده على حسن استقراء مخاطبيه، وأن يتميز هذا الفريق بقوة المنطق، وسلامة الحجة، وفصاحة البيان.

ونظرًا لأن خطاب الأستاذ كولن فقد اقترح أن توسع دائرة الوساطة بين المتخاصمين لتتعدى المستوى الفردي إلى مستوى الحي والقرية والمدينة إلى الدولة؛ بل الذهاب بها إلى أبعد من ذلك في ترميم العلاقات بين الدول، ومن هنا يتحقق الثواب الذي وعد به النبي ﷺ كل من يسهم في تحقيق هذا الأمر حينما قال: "أَلا أُخْبِرُكُمْ بِأَفْضَلَ مِنْ دَرَجَةِ الصِّيَامِ وَالصَّلاةِ وَالصَّدَقَةِ؟ قَالُوا: بَلَى قَالَ: صَلاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ، فَإِنَّ فَسَادَ ذَاتِ الْبَيْنِ هِيَ الْحَالِقَةُ" (أخرجه أبو داود في سننه)[١٣].

إلا أن الاقتراح الأمثل -كما يرى الأستاذ كولن في عامة أدبياته- يكمن في مكافحة الخلاف والفرقة في عصرنا المتمثل في الأنشطة التعليمية؛ التي تُخَرِّج أفرادًا كاملين من حيث القيمة العالمية والفضائل الإنسانية مثل السلم والسماحة والحوار، وليتخصص هؤلاء في فروع العلم المختلفة، على أن يكونوا متشبعين أيضًا بالقيم والفضائل الإنسانية، ومفعمين بمثالية الإحياء، ولْيُجرِ هؤلاء دراسات الدكتوراه وما بعدها حتى ينفعوا الإنسانية حيث كانوا، وحينذاك سيُشار إليهم بالبنان ويُصبحون عناصر فاعلة كابحة لزمام الفتن والاضطرابات؛ وبذلك يؤدون مهمة عظيمة في هذا الموضوع؛ وهذا ما يعنيه الأستاذ كولن بالإصلاح على المستوى العالمي.

وفي إطار دعوة الأستاذ كولن لإقامة حوار إنساني

بنَّاءٍ، ومد جسور سلام بين مختلف المفاهيم والديانات والثقافات، نبَّه إلى أنه ينبغي إنشاء ذلك الحوار على أساس من التسامح، وإنزال الناس منازلهم، والنظر إليهم على أن الله تعالى خلقهم في أحسن تقويم، واعتبارهم من حيث فطرتهم واستعدادهم مرآة لتجلي الألطاف الإلهية. ثم اقترح إقامة مراكز لتطوير الخطاب الإنساني حتى نصل إلى خطاب يسع الجميع فقال: "...بعد إدراك الإنسان أنه ابن هذا الزمان ويعيش في هذا المجتمع، لا بد من تحديد الأسلوب وتطويره، وإنني أظنّ أن عدم استطاعتنا تطوير مثل هذا الخطاب الشامل الذي يسع الجميع ويحتضنهم لمن أعظم عيوبنا في هذا العصر، فيا ليتنا نجد هنا ــ إن جاز التعبير ــ مراكز لتطوير الخطاب على غرار مراكز الحوار؛ يمكنها أن تُكسب إنسان هذا العصر مثل هذا المستوى الرفيع؛ وليت هذه المؤسسات تضطلع بتوضيح كيفية التعامل مع أصحاب المفاهيم والثقافات المختلفة وإقامة حوار معهم دون أن يؤدي ذلك إلى وقوع أيّ ردٍّ سلبيٍّ، والحق أن لدينا مرجعين فسيحَين قادرين على حل مشكلات كل العصور؛ وهما الكتاب والسنة، ولكنني أرى أن ثمّة حاجة ماسة إلى لغةٍ خطابية مشتركة من أجل تقديم هذين المرجعين بشكل يتناسب مع أبناء الثقافات والمجتمعات المختلفة"[١٤].

٨- محو الأنانية و تصفير الذات

يُلِحُّ الأستاذ فتح الله كولن إلحاحًا شديدًا على ضرورة التيقظ إزاء مخاطر الأنانية، فمن المعاني

nesemat.com نسمات nesemat.com
أي كتاب جديد يصدر للأستاذ كولن يطلعنا على مزيد من تفاصيل هذا المشروع الإنساني الإسلامي الرائع الذي يشتغل عليه هو ورفاقه.

الأساسية في فكر الأستاذ كولن "تصفير الذات"، فهو يريد من الإنسان أن يُصفِّرَ شهوته وحبَّه للظهور حتى تكثر الأصفار، وينبه إلى ضرورة إرجاع الفضل إلى صاحب الفضل وعدم ادعاء امتلاك ما ليس لنا، بل لكي يزيد الفكرة رسوخًا في القلوب يطور الأستاذ مفهوم "تصفير الأنا" إزاء أفضال الله تعالى فيقول "صفّر نفسك أمام الله"، مواصلاً: "لا قيمة للصفر بحد ذاته، ولكن إن وضعنا إلى جانبه رقمًا صار له قيمة. تخلّ عن دعوى الأنانية، صفِّر نفسك، ودع خالق الأرقام يضع الرقم الذي يريد إلى جانبك"[١٥].

إن الأستاذ كولن يعتبر تصفير النفس شرطًا لضمان استمرار هطول ألطاف الله تعالى، ويعتبر بروز الأنا سببًا في انقطاع تلك الألطاف، فيقول:"إذا أردت للعناية الإلهية أن تستمر بالهطول عليك في نجاحاتك، فتخلّ عن ادعاء الفضل لذاتك، اعمل على محو "الأنا"، وانسب الفضل إلى صاحب الفضل، وتواضع أمام الله"، ويحذِّر بالمقابل من مخاطر الأنانية: "الحذرَ الحذرَ من الوقوع في براثن الأنانية، فردية كانت أو جماعية. لأن الأنانية سبب الحرمان من عون الله"[١٦].

كما أن من أعظم المخاطر التي تواجه إنسان

الخدمة كما يرى الأستاذ كولن، هي محاولته إثبات نفسه وإبرازها، ويؤكد أنه إن ربط الإنسان نفسه بأهداف بسيطة؛ كأن يجعل الإنسان أمله في أن يُشار إليه بالبنان؛ فمن الممكن أن يصل إلى هذا الأمل في الحياة الدنيا، لكن الخسارة التي سيُمنى بها هذا الإنسان في الآخرة ستكون كبيرة.

٩- إحياء الآخرين والعيش من أجلهم

قد يعاني الإنسان بمقتضى فطرته الهموم بسبب علله الشخصية أو مشاكله الأسرية، وقد تتوسع دائرة هذه الهموم لتشمل مدينته ودولته، لكن الهمَّ الأكبر -كما يؤمن الأستاذ فتح الله كولن- يجب أن يتجاوز ذلك كله بانشغال الإنسان بمشاكل البشرية جمعاء والبحث عن حلول لها، وفتح قلبه وصدره للإنسانية بأسرها.

وبهذا فإن الشعور الذي يجب على المؤمن أن يشعر به إزاء الآخرين هو: ليتني أُحدّث هؤلاء الإخوة وأوقد في قلوبهم جذوة حبّ الله ﷻ، ليتني أُثير فيهم الرغبة في معيته ﷺ، ليتهم يرتقون في مدارج الدعاء إلى أن يصلوا في دعائهم إلى مرحلة من القرب يقولون فيها: "اللّهُمَّ عَفْوَكَ وَعَافِيَتَكَ وَرِضَاكَ وَتَوَجُّهَكَ وَنَفَحَاتِكَ وَأُنْسَكَ وَقُرْبَكَ وَمَحَبَّتَك ومَعِيَّتَكَ وَحِفْظَكَ وَحِرْزَكَ وَكِلاءَتَكَ وَنُصْرَتَكَ وَوِقَايَتَكَ وَحِمَايَتَكَ وَعِنَايَتَكَ"[١٧].

ومن جانب آخر فإن هذا الإنسان المؤمن يتلوَّى همًّا من أن يضل الناس أو يزلّوا أو ينحرفوا، ويعمل على وضع خططٍ وحلول لهذا الأمر، قائلاً في نفسه: "يا تُرى! ماذا يمكنني أن أفعل حتى أُجَنِّب الناس مواضع الزلل"[١٨]، وفي طريق السعي لإحياء الآخرين يُنبِّه الأستاذ كولن إلى ضرورة الحرص على عدم اتباع الأساليب الخاطئة في العرض حتى لا تلقى قيمُنا ردَّ فعلٍ عنيفٍ من الآخرين. وحتى نحمي الإنسانية من خطر الحروب والصراعات يرى: "أن نقيم جسور سلام بين مختلف المفاهيم والثقافات، وإلى جانب نقل بعض الأشياء للآخرين نستلهم منهم بعض الأشياء، وبذلك نبرهن على أن مختلف الثقافات ليست غريبة عن بعضها أو منافية تمامًا، وأنه لا توجد فروق جذرية تؤدي إلى النزاع بين مختلف الثقافات والحضارات"[١٩].

١٠- الفوضى لا تقيم دولة

يؤكد الأستاذ كولن في هذا الكتاب، أن الفوضى التي تقوم في أي مجتمع لا تنتج شيئًا نافعًا أو ذا قيمة، ويشير إلى أن من يضطلع بهذا العمل ربما يقوم به بحسن نية، لكنه ينبه في ذات الوقت أنه لا يمكن الجزم بالنتائج التي تسفر عنها الأحداث العشوائية؛ ولهذا فإن قلق الأستاذ فتح الله كولن ومخاوفه تزداد من الحركات والأعمال التي تسيطر عليها العشوائية، ويؤكد أن أوّل قضية لا بد من حلها لإصلاح أي مجتمع: هي إقامة روح الإيمان لدى الفرد مجدّدًا، وإعادة صياغته من جديد، ثم العمل على تناول مسألة الإصلاح من كل جوانبها، فيقول: "إن كان لا بدَّ من تحقيق تغيير حقيقي فلا بدَّ من تناول المسألة بكل جوانبها، فكما أن الجسد

لا يستطيع أن يقوم بوظائفه على الوجه الأمثل إلا بوجود الحيوية في جميع أعضائه فكذلك إصلاح الحياة الاجتماعية يستلزم تناول هذه الحياة بكل جوانبها، فإن تجاهلتم ثغرة واحدة من الثغرات الواجب سدّها؛ هويتم على الأرض من فوركم دون وعي أو شعور"[٢٠].

أفكار لافتة في الكتاب

حرص الأستاذ في دروسه على ترسيخ منهج الخدمة في نفوس من سمَّاهم ورثة الأرض وفرسان الوجد، وتأكيد هُويتهم التي ينبغي أن تكون طابعًا مميزًا فيهم، يرسمون به صورة المسلم الحق، ومن ثم لم تغب عنه في هذا الكتاب قضايا تطرح نفسها دائمًا على واقعنا المعاصر؛ لذا نراه يحاول معالجة كثيرٍ من تلك القضايا، فيعالج مسألة الحساسية الدينية وغيابها عن كثير من المسلمين رغم تمسكهم بمظاهر التدين، ويقدم مفهومًا جديدًا للغلول، ويلقي الضوء على كثير من الأمراض الاجتماعية كالحسد والغيرة التي تفتت الجماعات والمجتمعات. وسوف نقف مع بعض هذه الأفكار اللافتة وقفة سريعة نستطلع من خلالها رؤى الأستاذ كولن فيها، ومن ذلك:

أ- التدين والحساسية الدينية

يفرق الأستاذ كولن في هذه النقطة بين التدين والحساسية الدينية، فيرى أن التدين يعني: تطبيق تعاليم الشرع على الصعيد الشخصي، وأن للتدين

نسمات nesemat.com

يحتوي الكتاب عديدًا من الوصفات العلاجية التي تقضي على داء الإرهاب من جذوره، وتفرغ طاقات شباب الأمة في مسارات إيجابية بديلة تنأى بهم عن كل عمل غاشم وعنيف يهدم ولا يبني، ويخرب ولا يعمر.

مراتب شتَّى؛ تبدأ في الجانب النظري من احترام المبادئ الدينية والانصياع لأوامر الدين، وفي الجانب العملي من معايشة الدين إلى جعله روحًا للحياة.

أمَّا الحساسية الدينية فينظر إليها الأستاذ كولن نظرة أوسع وأعمق، فهي تعني أن يراعي الإنسان بدايةً المعايير الدينية في حياته الشخصية ولا يحيد عنها قيد أُنملة، وأن يُظهر دقَّته الشديدة وحساسيته البالغة في سبيل أن يُطَبِّق الدين بين أفراد الدائرة القريبة منه والبعيدة عنه ومن يَتحلَّقون حوله ويترقبون أوامره. ويقصد الأستاذ بهذا المعنى أن يكون الإنسان شغوفًا بإحياء الآخرين، وانتشالهم من رقدتهم.

ب- مفهوم عصري للغلول

يشرح الأستاذ كولن الغلول بمعنييه فيقول: "الغلول بمعناه العام هو أن يتعدى الإنسان على شيء ليس من حقه، وينتفع به، فيخون الأمانة.... وبالمعنى الخاص هو أخذ شيء من الغنيمة قبل القسمة، واختلاس المال العام، وإساءة استخدام مال الدولة"[٢١] ويطلق الأستاذ كولن على هؤلاء وصف"لصوص النجاح"، ويرى أن احتكار الإنسان لنجاحات حققتها هيئة ما يدخل في باب الشرك الخفي، ومن ثم فليس

للإنسان الحق أن ينسب لنفسه النجاحات التي أُحرزت نتيجة مساعي وجهود الملايين من الناس، ولا أن يعتبر توجّه الناس إليه حقًّا له، فهذا يعد غلولاً وذنبًا عظيمًا وخيانة للأمانة، فأي نجاح قد تحقق فهو جهد فريق، وبالتالي فهو حق للجميع.

جـ- منهج ورثة النبوة في تنظيم الحياة

يعرض هنا الأستاذ كولن منهجين ويقارن بينهما، ويؤصِّل لأحدهما كمنهجٍ ينبغي اتباعه، لا سيما في ظروف عصرنا الراهن. المنهج الأول: هو منهج الاعتزال والانقطاع عن الغير والانغلاق على النفس بالعبادة الفردية في الخلوات، وهذا المنهج يعود لأرباب المتصوفة الخلوتية الذين اعتزلوا الدنيا، وعاشوا حياتهم في عزلة وانزواء فأغلقوا أبوابهم على أنفسهم حتى لا ينشغلوا بشيء ولو طرفة عين عن العبادة لربهم، وهو مع ما يبديه لهذا المنهج من الثناء عليه وإضفاء الاحترام له، ينبهنا أنه ينبغي علينا ألا ننسى أن هذا المنهج ليس سبيل ورثة النبوة.

أما المنهج الثاني فهو منهج الفاعلية والمشاركة والمعاشرة والتبليغ والموازنة بين الدين والدنيا، وهنا نجد الأستاذ كولن يتبنى هذا المنهج، ويشير إلى أن سيد الأنام ﷺ وهو يبلغ رسالته لأتباعه أخبرهم أن من يخالط الناس ويصبر على أذاهم خير ممن لا يخالطهم ولا يصبر على أذاهم.

د- الحسد فرديًّا وجماعيًّا

يرى الأستاذ كولن أن الحسد مرض روحي يصعب التغلب عليه إذا ما تمكن من الإنسان، ويمثل لذلك بحسد الشيطان وتمرده وعناده في مسألة السجود لأبينا آدم عليه السلام، ويشير إلى أن السبب الأساس في هذا التمرد والعناد المؤدي إلى الحسد أن قلب إبليس كان موغرًا بالحقد والغل لأبينا آدم عليه السلام، مما دفع إبليس لعدم التفكير بإيجابية.

ثم يستطرد الأستاذ كولن في ضرب الأمثلة مستقرئًا التاريخ استقراءً سريعًا، فيذكر قصة ولدي آدم عليه السلام، وما كان يحمله قلب أحدهما للآخر من حقد وحسد، حتى أدَّاه ذلك إلى أن يقتل أخاه، وما تعرض له كذلك فخر الإنسانية ﷺ من أحقاد على أيدي مشركي قريش وعلى رأسهم أبي جهل، ثم يضرب مثالاً معاصرًا على ذلك بما قام به البعض من إعلان ضجره واستيائه مما تقوم به مدارس الخدمة ورجالها، رجال نذروا أنفسهم لخدمة قضايا التعليم، من إقامة مهرجانات للثقافة واللغات، وذلك بمشاركة طلاب من كل دول العالم، في أبهى صور التعارف على ثقافات الشعوب، وتوجيه أنظار العالم إلى منظومة القيم الروحية والمعنوية المتجذرة في الثقافة الإسلامية، حيث ادّعى هؤلاء أن ما يقوم به فدائيو المحبة ما هو إلا دعايات إعلامية، متجاهلين المشقات التي تكبدها فرسان الوجد هؤلاء والمعاناة التي عاشوها في سبيل إخراج تلك الفعاليات إلى النور. وبالرغم من تفنن هؤلاء الحاقدين الحاسدين في إلصاق الافتراءات بالقائمين على هذا الخير النافع

للإنسانية جمعاء، نجد الأستاذ فتح الله كولن يوصي محبيه بأن الوظيفة التي تقع على عاتقهم في مقابلة الحسد والغيرة من الآخرين، هي استيعاب كل هذا واحتضان الجميع؛ فالله تعالى يقول في كتابه: ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾(آل عمران:١٣٤)

ويعقب الأستاذ كولن على تلك الآية بقوله: "بمقتضى هذه الآية عليكم أن تكظموا غيظكم وتعفوا عن غيركم، ولا تقابلوا الإساءة بالإساءة؛ لأن الخسارة تقل عند اصطدام سيارتين إحداهما واقفة والأخرى سائرة، ولكن إذا كانت السيارتان على نفس السرعة واصطدمتا كانت الخسارة فادحة، وعلى نفس الشاكلة عليكم أن تقللوا الضرر بألا تقابلوا الإساءة بالإساءة؛ حتى تُذيبوا جليد الحسد والغيرة الذي يحيط بمعارضيكم"[٢٢].

هـ- العمليات الانتحارية (الجناية المضاعفة)

من القضايا المهمة التي يتناولها الكتاب، قضية العمليات الانتحارية، التي بدأت أولاً في الغرب ثم انتشرت بعد ذلك في بعض الدول الإسلامية، والقائمون بهذه العمليات -كما يقول الأستاذ كولن- يمنحونها غطاءً شرعيًّا، فيصفونها "بالانتحار المشروع"، ويحاولون بهذا أن يمنحوها في سبيل خدمة أيديولوجياتهم قيمةً ومعنى اسميًّا، معتقدين أنهم بذلك يحمون دينهم وتديُّنهم!، وهنا يؤكد الأستاذ كولن أن مثل هذه العمليات تعتبر جريمة مضاعفة؛

nesemat.com نسمات

الإنسان هو المركز الذي يدور حوله الكون، وهو خليفة الله في الأرض، وعليه يقع عمرانها المرتبط بأهليته لحمل مسؤوليات هذا الاستخلاف.

لأن هؤلاء الجناة الغافلين الذين لا يمتُّون للإنسانية بصلة، ولا يعرفون عن دين الله شيئًا لم يكتفوا بأن يتدحرجوا في دركات جهنم بسبب قتلهم لأنفسهم، بل قتلوا الكثيرين من الأبرياء أيضًا، لذا سيحاسبهم الله تعالى فردًا فردًا على تلطيخ أيديهم بدماء هؤلاء الأبرياء مسلمين كانوا أو غير مسلمين أطفالاً أو شبابًا أو شيوخًا؛ لأن الإسلام يوجب على أتباعه سواء في السلم أو الحرب الالتزام بقوانين وقواعد معينة، وكما لا يجوز للإنسان أن يقتل الآخرين في حال الصلح، فكذلك لا حق له في أن يقتل الأطفال والنساء والشيوخ من الأعداء حتى ولو في حالة الحرب.

ثم يتحدث الأستاذ كولن عن رأيه في تلك العمليات وأنها ليست من الإسلام في شيء قائلاً: "...نؤكد على أنه لا يمكن أن نطلق لفظ المسلم على الإنسان الذي يرتكب هذه الجرائم، وهو على تلك الحال التي يحمل فيها مثل هذه الأفكار والخطط الهدامة. ونؤكد مرة أخرى على أنه لا يمكن التوفيق ألبتة بين الإسلام وبين ما يقوم به هؤلاء الجناة من إزهاقٍ لأرواح الأبرياء من خلال استخدامهم للأحزمة الناسفة، أيًّا كانت الدولة أو الحزب الذي ينتمون إليه"[٢٣].

إذا أردت للعناية الإلهية أن تستمر بالهطول عليك في نجاحاتك، فتخلّ عن ادعاء الفضل لذاتك، اعمل على محو "الأنا"، وانسب الفضل إلى صاحب الفضل، وتواضع أمام الله.

nesemat.com نسيمات nesemat.com

كما ينبه الأستاذ كولن على أن مثل هذه العمليات تعطي انطباعًا سيئًا عن الإسلام، وتشوه صورة الإسلام الناصع البياض فيقول: "من جانب آخر فمن المسلَّم به أن مثل هذه العمليات الانتحارية من شأنها أن تُسوّد وجه الإسلام الساطع وتُدنِّس مُحيَّاه اللامع؛ لأن هذه الجرائم التي تصطبغ بصبغة الإسلام وتعطي انطباعًا بأنها في سبيل الدين، ينسبها من لا علم له بالإسلام وأصوله إلى الإسلام؛ ومن ثم سيكون من العسير جدًا على المؤمنين أن يصححوا مثل هذا الفهم الخاطئ"[٢٤].

و- روح التفاني العاقلة

من الواجب في نظر كولن أن يكون لدى إنسان الخدمة حماس جنوني حتى ليوشك أن يهلك نفسه أو ينقصم ظهره من الهمّ، أو ينخلع قلبه وتتصدع رأسه وتنتفخ أوداجه حزنًا على هذه القلوب المحرومة من الإيمان، فلو وجدنا إنسانًا لديه مثل هذا الحماس الجنوني فعلينا أن نوجِّه هذا الحماس الذي قد يصل إلى حدِّ النشوة إلى الثبات على الحق والدوام عليه، ولضمان استمرارية هذه الروح المفعمة بالعزم، على الإنسان كما يرى كولن ألا يضحي بالعقل والمنطق في سبيل الحسّ والحماس؛ لأن هذه الحال تؤدّي إلى الإفراط وعدم الاتزان؛ ولذا لا بدّ من أن تنبض القلوب وتخفق، ويتقدم العقل والمنطق على الانفعال والحماس على الدوام، ويُوجَّه الانفعال إلى الإيجابيات.

ز- نشوة النصر واختلال التوازن

في معرض حديث الأستاذ كولن عن الدروس المستفادة من غزوة حنين، تحدث عن أثر نشوة النصر في اختلال توازن الإنسان، وأنه يجب ألا يسمح الإنسان للنجّاح أن يُطيِّر صوابه، ويُكدِّر بصره، ويُنسيه عبوديته لربه عز وجل، فيقول: "كما أيَّد الله ﷻ برعايته وعنايته الإلهية سادتنا الصحابة الكرام ﷺ، ونصرهم على أعدائهم فقد يمنُّ على مسلمي اليوم بمزايا وأفضال متنوِّعة، المهم هو أن يحتفظ المسلمون بمستواهم حينذاك وأن ينسبوا كل ما يجري إليه سبحانه، بل عليهم أمام كل نجاح تدخَّلت فيه إرادتهم أن يُمَزِّقوا حجاب الأسباب ويسحقوه بأرجلهم ويدركوا أن وراء هذه الأسباب مسبِّبَ الأسباب سبحانه وتعالى، ويذعنوا قائلين: "كل شي منه جلا وعلا"[٢٥].

تعقيب وخاتمة

بعد هذا التطواف السريع في متن الكتاب، وما اشتمل عليه من رؤى منهجية وأفكار لافتة بقي لنا أن نعبر عن بعض ما قد يأخذه القارئ على هذا المحتوى أسلوبًا وفكرًا، فمن ذلك بساطة الأسلوب والاستطراد أحيانًا في بعض الجوانب، وتكرار الفكرة الواحدة في أكثر من موضع. ويُعزى ذلك إلى ما قد سبق الإشارة إليه من أن هذا الكتاب حلقة في

سلسلة مجموعة كتب "الجرة المشروخة" المؤلفة من دروس الأستاذ الأسبوعية التي يلقيها على طلابه إجابة على أسئلة يوجهها بعض الحضور عليه، ومن ثم فخصائص الخطاب فيها تنحو منحى الأسلوب الشفوي الارتجالي، الذي يغلب عليه طابع التكرار والاستطراد والانتقال إلى فكرة أخرى ثم العودة من جديد إلى الفكرة السابقة.

ولا شك أننا إذا جمعنا خطاب الأستاذ كولن في هذه الكتب، إلى جانب خطابه في الكتب الأخرى المجموعة من مقالاته التي كتبها بنفسه واعتنى بإخراجها قبل نشرها فسيعطينا ذلك تصورًا كاملاً عن خصوصية أدبيات الأستاذ بصورة كلية.

أما عن ترتيب المحتوى الذي قد يراه البعض مفتقدًا للوحدة الموضوعية في بعض الأحيان فالأغلب أنه يرجع إلى تصرف هيئة التحرير بما رأته مناسبًا للحال أو الظرف الذي نشر فيه الكتاب، لكن هذا أيضا قد يسمح للقارئ بأن يرتب قراءة المحتوى حسب ما يعنُّ له من خاطر وينظر إليه من منظور خاص ليستكشف ملامح رؤية الأستاذ فيما يبتغيه.

إن هذا الكتاب بما اشتمل عليه من محتوى تلقائي يطلعنا على عملية التكوين الحي المباشر الذي يمارسه الأستاذ مع طلابه وكيفية إحياء ثوابت الأمة في نفوسهم فكرًا وسلوكًا وتطبيقًا ومعايشة، والله من وراء القصد وإليه وحده المرجع والمآب. ■

الهوامش

(١) راجع مقال الأستاذ كولن "لكي لا يكون شبابنا فريسة للتنظيمات الإرهابية" مجلة بوليتكو، ٨، يونيو، ٢٠١٧، على الرابط التالي:
http://gulenarabic.com/%D984%%D983%%D98%A%D984%%D8%A7-

(٢) شاعر من أب تركي وأم بخارية ولد في إسطنبول سنة ١٢٩٠ هـ الموافق ١٨٧٣، كتب نشيد الاستقلال الذي أقره البرلمان التركي ليكون نشيدًا رسميًا لتركيا.

(٣) أحمد نجيب فاضل قيصا كيوريك" ولد عام ١٩٠٤ في إسطنبول، وهو أحد أهم الشعراء والكتاب الأتراك المعاصرين.

(٤) فتح الله كولن، جهود التجديد، دار النيل للطباعة والنشر، القاهرة، ط١، ٢٠١٧، ص١٨.

(٥) المرجع نفسه، ص٢٨٥/٢٨٦

(٦) فتح الله كولن، الموازين أو أضواء على الطريق، دار النيل للطباعة والنشر، القاهرة، ط٧، ٢٠١٢، ص١٤٥.

(٧) فتح الله كولن، جهود التجديد، مرجع سابق، ص ١١٥

(٨) المرجع نفسه ص ١٥٥

(٩) فتح الله كولن، ونحن نبني حضارتنا، دار النيل للطباعة والنشر، القاهرة، ط١، ٢٠١٤، ص٧٩ـ٨٠.

(١٠) فتح الله كولن، جهود التجديد، مرجع سابق، ص ١٥٥

(١١) فتح الله كولن، ونحن نبني حضارتنا،مرجع سابق ص٣١١.

(١٢) فتح الله كولن، جهود التجديد، مرجع سابق، ص١٨٧.

(١٣) انظر "هيئات الصلح"، جهود التجديد، مرجع سابق، ص٥٢.

(١٤) فتح الله كولن، جهود التجديد، مرجع سابق، ص١٧١.

(١٥) المرجع السابق، ص٢١٩ بتصرف.

(١٦) المرجع نفسه، ص٢٩٣.

(١٧) المرجع نفسه، ص٢٤.

(١٨) المرجع نفسه، ص٢٥.

(١٩) المرجع نفسه، ص٣٤.

(٢٠) المرجع نفسه، ص٩٣.

(٢١) المرجع نفسه، ص٥٩.

(٢٢) المرجع نفسه، ص٣٥٩.

(٢٣) المرجع نفسه، ص٣٣٤.

(٢٤) المرجع نفسه، ص٣٣٥.

(٢٥) المرجع نفسه، ص٣٢٦

الخدمة مشروع حضاري ينتمي إلينا وننتمي إليه

إدريس الكنبوري

أ.د. إدريس الكنبوري، مفكر مغربي وكاتب متخصص في الفكر الإسلامي وشؤون الجماعات الإسلامية، خبير في مكافحة الإرهاب والتطرف الديني. صدر له عدد من الكتب والروايات منها: الإسلاميون بين الدين والسلطة، مكر التاريخ وتيه السياسة .شيوعيون في ثوب إسلامي، مطارحات في الإسلام السياسي والسلفية. وكانوا شيعًا، دراسة في التنظيمات الجهادية المعاصرة. زمن الخوف (رواية) وإصدارات أخرى عديدة.

حوار هذا العدد مع الأكاديمي والصحافي المغربي الأستاذ إدريس الكنبوري يعبر فيه عن قراءته لمشروع الخدمة فكريًّا وحضاريًّا وإنسانيًّا بعد معاينة ميدانية لمشاريع الخدمة ومؤسساتها سواء داخل تركيا أو خارجها، إذ يعتبر الخدمة تجربة حيَّة من التراث العربي الإسلامي، يجب على مراكز الأبحاث والأكاديميات والجامعات والباحثين أن ينكبوا عليها بالدرس والتحليل، لأنها مليئة بالدروس الإيجابية ذات الأبعاد المختلفة، بما يشكل شبكة متكاملة من الإنجاز الحضاري، ويعتقد لذلك أنه يجب تعريف الآخر بها، لأنها تنتمي إلينا وننتمي إليها، فهي تجربتنا جميعًا. وهي بمنجزها الحضاري تؤكد على أن الإسلام قادر على إبداع تجارب وأنماط في التطوير والخبرات والتنمية الإنسانية والحضارة. وقد دار الحوار في إطار الأفكار الآتية:

١. نموذج الخدمة ضروي لتحقيق النهوض الحضاري

٢. البعد الإنساني في نموذج الخدمة

٣. مركزية التربية والتعليم في الخدمة

٤. الأسرة والمرأة في نموذج الخدمة

٥. علاقة الخدمة بالسياسة والمجتمع

نموذج الخدمة ضروي لتحقيق النهوض الحضاري

نوزاد صواش: ضيفنا في هذا الحوار الأستاذ إدريس الكنبوري المفكر والكاتب الإعلامي الصحفي المغربي، أهلاً وسهلاً بك.

إدريس الكنبوري: أهلاً وسهلاً ومرحبًا.

نوزاد صواش: أستاذي لقد قرأتم كتب الأستاذ فتح الله كولن، وزرتم العديد من تجليات مشروعه الواقعية، فإذا أردنا أن نصف فكر الأستاذ فتح الله كولن ومشروعه، أو البراديجما في التغيير كيف يمكن أن نلخصها انطلاقًا من تجارب واقعية رصدتموها واطَّلعتم عليها من خلال مشاهدتكم الحيَّة؟

إدريس الكنبوري: أولاً: إن تطبيقات الفكر الحضاري للأستاذ كولن التي وقفنا عليها سواء في هذه الزيارة أو في الزيارة التي سبقتها، تطبيقات عملية غنية جدًّا وتستدعي طرح مجموعة من التساؤلات، لكن النقطة المنهجية التي أريد أن أتوقف عندها وأتحدث عنها، هي أن هذه التجربة الغنية لم تجد أصداءً لها في الفكر الإسلامي المعاصر كمادة أو كموضوع للتحليل والتشخيص، ولاستخراج البراديجمات الجديدة في التطوير والتنمية البشرية، نحن نتحدث عن مجموعة من التجارب والناس -للأسف- تنقل من الغرب، لكن هذه تجربة حيَّة من التراث العربي الإسلامي، والناس لا تتعامل معها بالجدية الكافية وخاصة في العالم العربي، أنا أعتقد أن مراكز الأبحاث والأكاديميات والجامعات والباحثين يجب أن ينكبوا على هذه التجربة، لأنها راكمت من الخبرة ما يكفي، راكمت من السنوات ما يتيسر معه الآن أن نتوقف عندها بالتقييم والتمحيص، بل وبالنقد والإغناء والإنصات لأبناء الحركة الذين أعتقد أن كل واحد منهم يحمل وراءه تجربة فردية تذوب وسط التجارب الجماعية التي تُشَكِّل الكتلة الموحدة وهي حركة الخدمة التي أطلقها الأستاذ فتح الله كولن.

هذه الحركة مليئة بالدروس ومليئة بالإيجابيات ذات الأبعاد المختلفة، البعد العلمي والبعد المعرفي والتربوي والأسري والتعليمي، يعني هي شبكة متكاملة من الإنجاز الحضاري، ولذلك أعتقد أنه يجب الانكباب على هذه التجربة بمختلف اللغات وتعريف الآخر بهذه التجربة، لأنه في جميع الأحوال هذه التجربة تنتمي إلينا وننتمي إليها، هي تنتمي إلى نفس المشترك القيمي والعقائدي الذي نؤمن به، فهي تجربتنا جميعًا، فيجب أن نؤمن بها وأن نتصالح معها، وأن نعتبر أن إخوتنا في الخدمة استطاعوا أن يجترحوا تجربة جديدة حضارية يمكن للغرب أن يُنصت إليها وأن يستفيد منها حتى يفهم أن الإسلام قادر على إبداع تجارب وأنماط في التطوير والخبرات و التنمية الإنسانية والحضارة.

> الخدمة قدمت مفهومًا جديدًا للجهاد واعتبرته إحياء الناس وليس تقتيلهم، فقتل الناس لا يفيدهم بل يُعجِّل بعذابهم، والأفضل من ذلك هو إحياؤهم على الإيمان بربهم، وهذه هي المعادلة الصعبة.

nesemat.com نسمات nesemat.com

الفكر التنويري في الغرب بني على أساس الأناجيل، و جميع المفكرين بنوا فكرهم على أساس الكتب المقدسة، والسؤال هنا، هل نحن عاجزون أن نُخرج من القرآن الكريم شيئًا حضاريًّا يواكب العصر؟

nesemat.com نسمات nesemat.com

نوزاد صواش: طبعًا أستاذنا الكريم، ليس الغرض من هذه الحوارات الثناء والمدح، فهؤلاء الطيبون الذين جلسنا إليهم لا يحبون الثناء أصلاً ولا يحتاجون إلى الثناء، الأستاذ فتح الله كولن نفسه لا يحب الثناء لذاته، فهو صاحب الانمحاء وفكرة صفِّر نفسك (من التصفير) في اليوم مئة مرة، نحن هنا نرصد في النهاية، ونقول بدلاً من أن تسمعوا عن هذا الخير من هذا وذاك، ها هم أركان الأمة، المفكرون يأتون ويشاهدون مشاهدات ميدانية، وبعد ذلك يقومون بعملية رصد. فإذا أردنا يا أستاذي مثلاً أن نلخص تجربتنا هنا في دروس، إذا قلنا الدرس الأول مثلاً -طبعًا لا أقصد هنا الدرس بمعنى التعليم- هل يمكن أن نقول الإنفاق ونفتح بابًا في الإنفاق، لقدجلسنا في الصباح مع مجموعة من التجار المنفقين، والسؤال دائما الذي يثور في الأذهان عندما تُطرح فكرة الخدمة والإنجازات يُسأل عن التمويل، ما مصدر المال؟ هل هناك خراطيم بترول تأتي من الخليج يا ترى، أم لا أدري الغرب يدعم هذه الخدمات الكبرى والإنجازات، يعني ما الذي لاحظتموه؟

إدريس الكنبوري: في الحقيقة قضية التمويل والدورة المالية ودورة المشروعات داخل حركة الخدمة هي التي تثير الانتباه. العالم العربي ومنطقة الخليج كما قلتم منطقة غنية، لكن هذه الثروة ثروة جوفية، الحركة تقول بأن الثروة يمكن أن تكون ثروة إنسانية عبر التماسك الاجتماعي، وعبر سلسلة من السواعد البشرية داخل المجتمع يمكن أن ننتج الثروة، وليس بالضرورة أن تكون الثروة جوفية، نحن لاحظنا أن الثروة الجوفية في العالم العربي لم تؤد إلى نمو حضاري، لم تؤد إلى انفتاح مشروع فكري فعلي حقيقي يستطيع أن ينبثق منه مشروع إنساني حضاري، ولكن التجربة التي تخوضها الخدمة أثبتت أنه من دون ثروة يمكن خلق ثروات، لأن الإنسان في حد ذاته ثروة، وهذه ربما هي النقطة الرئيسية لدى الخدمة، ألا وهي المراهنة على الإنسان.

لقد توصَّل الغرب منذ عقود إلى أن الرأسمال الأساسي هو المواطن (الفرد)، ولقد أدركت الحركة أيضًا هذه الحقيقة، ولكن انطلاقًا من الدروس القرآنية، ومن السيرة النبوية ومن تاريخ الإسلام، لقد أدرك أبناء الخدمة أن مسألة الغنى والثروة المالية يجب أن يكون له هدف وليس موجَّهًا إلى الربح فقط، وإلى دورة من الربح المجاني الذي يدور في فراغ، وإنما هي دورة حضارية تدور ومعها تدور مختلف المسالك الفكرية والتجارب الحضارية، وإنتاج نخب وأجيال نامية تستطيع أن تترك للأجيال القادمة ثروة يبني بها حضارة، كما أنها تستطيع أيضا أن تأخذ من الجيل السابق، وهكذا دواليك يرث كل جيلٍ ممن

سبقه في عملية فيها تلاقح وتراكم.

البعد الإنساني في نموذج الخدمة

نوزاد صواش: هذه الأجيال من التجار ورجال الأعمال ليست موجودة في مدينة إزميت فحسب، بل في إسطنبول وإزمير وأنقرة وأضنة وإسبرطة.. خذ كل مدينة من مدن تركيا ستجد هناك أجيالاً من رجال الأعمال يحملون هذا الوعي، هذا الوعي بحد ذاته أليس ثروة؟ تشكيل هذا الوعي أيضًا ليس سهلاً، جميع هؤلاء التجار يتحدثون عن النقلة النوعية التي طرأت على وعيهم، البعض يقول لك أنا عرفت هذا الخير على كِبَر؛ قبل سنتين أو ثلاث سنوات كنت أشتغل لنفسي ولذاتي، لكنني الآن أصبحت أشتغل لشيء آخر، يعني هذا الوعي وهذه النقلة النوعية ليست سهلة، أليس كذلك؟

إدريس الكنبوري: هذا صحيح، دعني أقول: أنتم قلتم في البداية إن أبناء الخدمة لا يريدون الإطراء أو الثناء، هذا الأمر ليس فيه ثناء وإنما هناك انبهار، انبهار قد يفهمه الآخر على أنه ثناء. أنا أعتقد بأن أي شخص يقف أمام هذه التجربة ويفهم فيها النصف أو يفهم فيها الثلثين ينبهر بها، وهذا ناجمٌ لأننا نحن العرب والمسلمين تكوَّنَّا في إطار ثقافة خَلَقَت لدينا آمالاً وطموحات، لكن هذه الآمال والطموحات والمبادئ والقيم لم يسندها واقع حقيقي، بحيث نستطيع أن نقول إن هناك انسجامًا بين ما نقرأه وما نراه في واقعنا، لكن الحركة ردمت هذه الفجوة، فلم تعد هناك فجوة بين القيم

الأستاذ كولن لديه تجربة فكرية وروحية قوية، صبغها من التراث الإسلامي بلونه الخاص، وأوصلها إلى أبناء عصره مع تركيبات وقوالب وتفسيرات جديدة، تدفع دائمًا إلى الحركة البناءة الفاعلة المنجزة.

nesemat.com نسمات nesemat.com

العربية الإسلامية الحقيقية والقيم القرآنية والنبوية وما بين الواقع؛ هذه الأمور التي وقفنا عليها والتي سمعناها وقرأنا عنها ليس من السهل تبسيطها في كلمات، بمعنى أنه ليس من السهل أن تأتي عند رجل أعمال مهمته الأساسية جمع المال، وتقنعه بأنه يمكن أن يتخلى عن الثلث أوالثلثين (من ماله)، كما وقفنا أمس عند حالة السيدة التي قالت أنها قررت منذ أن دخلت الحركة أن تستبقي لنفسها ثلث مالها، وأن تبذل الثلثين، ليس من السهل أن تصنع إنسانًا من هذا النوع.

نوزاد صواش: هذا ما تفعله تلك السيدة دائمًا وليس مرة واحدة.

إدريس الكنبوري: هذا النمط من الناس -حسب ما أفهمه- هو النمط الأساسي المتواضع عليه داخل الحركة، ليس من السهل أن تصنع شخصًا من هذه النوعية، وخاصة في عالم الأعمال، ففي عالم الأعمال الرجل يذهب إلى الأعمال أصلاً من أجل الربح، لكن أنت تقنعه بأن هذا الربح يجب أن يذهب إلى أشياء أخرى أهم. وأكثر من ذلك يحس وأنت تستمع إليه أنه يشعر بنوع من الاعتزاز، لأنه يعطينا قيمة أساسية عظيمة في القرآن من الصعب

تجربة الخدمة تنتمي إلينا وننتمي إليها، تنتمي إلى نفس المشترك القيمي والعقائدي الذي نؤمن به، فهي تجربتنا جميعًا، فيجب أن نؤمن بها وأن نتصالح معها، وننكب عليها ونعرفها للآخر بكل اللغات.

nesemat.com نسمات nesemat.com

العثور عليها لأنها تدخل في إطار الصراع مع الذات، والجهاد الأكبر والتسامي، وهو أنك تتخلَّى عن ما يعتز به ويلهث وراءه الآخرو ن، أنت تعتز بأنك تتخلى عنه، هذه قمَّة الإنسانية بكل صراحة، لأنه ليس من السهل أن تصنع إنسانًا يقتل ذاته بداخله، ويعيش من أجل الآخرين ويحس بهم، ويشعر بالمتعة مع الآخرين، للأسف الشديد هذه الأمور نلاحظها عند المسيحيين المبشِّرين وخاصة جماعة الإنجيليين، هم يعتزون بأنهم ينشرون رسالة المسيح، وينشرون كلمة الكتاب المقدس فيخاطرون بأنفسهم ويجازفون بأموالهم وأنفسهم وأولادهم كما نقول نحن المسلمين، لكن بالمقابل لا نجد لدى المسلمين قدرة على اختراق الحواجز، علما بأنهم يتوفرون على الطاقات والإمكانات الكفيلة بأن يتجاوزوا بها ما يحقق هذه الأغراض.

طبعا المسيحيون يفعلون ذلك مدفوعين بعقيدة تقول بأن المسيحية دين المحبة، لكن نحن في الإسلام نقول إن الإسلام رسالة للعالمين، إلا أننا إلى الآن لم نُطبِّق الإسلام بصورة أساسية تستطيع أن تجتذب الآخرين إليه، فلا نقدمه على أساس أنه دين الرحمة أو المحبة أو دين العطاء أو دين البذل.

نقول إنه رسالة للعالمين. لكن رسالة للعالمين ما مضمونها؟ الحركة تقول إن مضمون هذه الرسالة للعالمين هو المحبة والعطاء للآخر والحياة مع الآخر، لأنك إذا منحت الحياة للآخرين أنت تمنح الحياة لأبنائك وتضمن الأجيال المقبلة، فالإنسان لا يعيش بمفرده، رجل الأعمال إذا كان في جزيرة خالية لا يستطيع أن يعيش، والعامل الذي يعيش في الخلاء لا يستطيع أن يعيش، رجل الأعمال يعيش بالآخرين، والآخرون يعيشون برجل الأعمال، وهذا هو المشترك الإنساني، هذا المشترك الإنساني الحركة تعطيه معنى، وهذا المعنى هو المعنى الإسلامي.

نوزاد صواش: يتحدث بعض التجار عن اتساع الأفق عندهم، فمثلاً يتحدثون عن الأضاحي وكيف وظفوا الأضحية بصورة حضارية مختلفة، للانفتاح على العالم، حبذا لو حدثتنا عن ذلك، انفتاح الأفق عند هؤلاء وكيف ساعدهم اتساع أفقهم على نشر رسالة الرحمة للعالمين، حول هذه الأشياء ما قولكم أستاذي؟

إدريس الكنبوري: في الحقيقة نحن استمعنا لمجموعة من التجار حول عددٍ من الحكايات الملهمة، استمعنا لأحد الأشخاص الذي حكى بأنه هاجر إلى إفريقيا الوسطى، حيث المجازر الدموية بين المسلمين والمسيحيين، بينما مدراس الخدمة لم يمسها سوء، بسبب أن الهدف الرئيسي للخدمة هو تعاملها مع الجميع في مستوى الإنسانية، وليس في مستوى الانتماء الديني، وهذا هو الذي جعلهم

يحظون بحظوة القبول من الجميع، هذا في الحقيقة سر تتوفر عليه الخدمة، بمعنى أنها تتعامل بنوع من التوازن وبنوع من المحبة مع الجميع؛ هذا هو الذي يضمن لك قبول الرسالة، ولذلك ليس من السهولة بمكان أن نجد مثل هذه النماذج الناجحة.

نوزاد صواش: المنهج لدى هؤلاء أنهم ليسوا مسلمين من أجل المسلمين فقط، بل يؤمنون بأن رسالة المسلم للإنسان أينما كان، لقد حدثونا أنهم في الأضاحي يوزعون اللحوم ليس على المسلمين فقط بل حتى على المسيحيين الفقراء، فهناك وعي بأن رسالة المسلم ليست فقط للمسلمين بل لغير المسلمين أيضًا.

إدريس الكنبوري: هذا صحيح، وكما نُسب للمسيح عليه السلام في الأناجيل، بأنه إذا فعلت الخير لابن دينك فأنت لا تفعل الخير، لأن دينك ينص عليه، ففعل الخير منوطٌ بفعلك الخير لمن ليسوا على دينك، والإمام علي ﷺ يقول بأن الناس إما أخ لك في الدين، وإما نظير لك في الخلق، الحركة تطبق هذا الأمر، فالإنسان الذي لا ينتمي إلى دينك هو مشروع مسلم، وفي التجارب التاريخية وفي السيرة النبوية وفي تاريخ الإسلام كثيرون من الصحابة الفضلاء الذين نتبرك بهم ويتبرك بهم المسلمون، كانوا من غير المسلمين ثم أسلموا، وما يدريك أن هؤلاء في يوم من الأيام سوف يختارهم الله ﷻ كي ينصروا دينه ويفعلوا أكثر مما فعل ابن العالَم المسلم الذي ولد على فطرة الإسلام.

nesemat.com نسمات nesemat.com

ليس الغرض من هذه الحوارات الثناء والمدح، فهؤلاء الطيبون الذين جلسنا إليهم لا يحبون الثناء أصلاً ولا يحتاجون إليه، الأستاذ كولن نفسه لا يحب الثناء، فهو صاحب الانمحاء وفكرة صفِّر نفسك في اليوم مئة مرة.

هذا ليس هو المشكل، المشكل هو كيف نستطيع أن ننشأ مع الآخرين بصرف النظر عن الانتماء الديني لأننا إذا انفتحنا على الآخرين الذين لا ينتمون إلى ديننا فنحن نقدم لهم ديننا الذي نقول إنه رسالة للعالمين، أما إذا انفتحت على أخيك المسلم فقط الذي في بلدك، فأنت لم تطبق مفهوم أنه "رسالة للعالمين"، لأن هذا المفهوم يقتضي أن تتعامل مع الجميع؛ مع الكافر، مع الملحد، مع المسيحي واليهودي والمجوسي أيًّا كان، لأن هؤلاء هم المشترِكون معنا في الربوبية أهل العقائد في جميع أحوالهم مشاريع يمكن أن ينصروك، سواء أسلموا او لم يسلموا يمكن أن ينصروك.

فالتجربة التي استمعنا إليها صباحًا هي نوع من النصرة، في إفريقيا الوسطى المسيحيون لم يستطيعوا استهداف المدارس التابعة للخدمة، إذن هذا نوع من النصرة، فلولا عمل الخير ولولا الانفتاح على مفهوم العالمية وإدخال المسيحيين في إطار العالمية لما حدث هذا الأمر.

نوزاد صواش: أستاذي مما هو جدير بالذكر هنا أن قوافل الأضاحي هذه تخرج من تركيا تقريبًا منذ خمسة عشر سنة، في العام الماضي أظن حوالي خمسين ألف تاجر خرجوا إلى كل أنحاء العالم، هؤلاء

إخوتنا في تركيا استطاعوا أن يجترحوا تجربة جديدة حضارية يمكن للغرب أن يُنصت إليها ويستفيد منها حتى يفهم أن الإسلام قادر على إبداع تجارب وأنماط في التطوير والخبرات و التنمية الإنسانية و الحضارة.

nesemat.com نسمات nesemat.com

التجار لا يكونون في عيد الأضحى وسط أبنائهم وأسرهم بل يخرجون إلى دول مختلفة بأضاحيهم، يذبحونها هناك يوزعونها على الفقراء، يذبحونها عند بعض أشراف القوم في المؤسسات المهمة ويوزعونها على الناس، يضربون المثل الأعلى في القيم، وكل ذلك يكون بتوجيه من الأستاذ. لقد حدَّثونا ذات يوم عن توزيع لحوم الأضاحي في موزمبيق، وكيف وزَّعوها في مبنى من قصب صغير يسمى مسجدًا، وكيف أنهم بعدها أسسوا مسجدًا كبيرًا مكانه، وإلى جانبه مدرسة ومبيت للطلبة ومطعم وما إلى ذلك. إن رؤية مثل هذا الخير يجعل الإنسان مجبورًا على احترام قيم المسلم وعشق الإسلام، أحد الأشخاص في إحدى جولاته في تركيا عندما رأى هذه الطيبات، قال: هل يمكن لإنسان ألا يعشق المسلم وألا يعشق الإسلام عندما يرى هذه الخيرات، لقد ساهمنا نحن -المسلمين- في ضياع بعض القيم، ورفعنا شعارات حماسية لم نحسن فهمها وشرعنا نرفع السيف لقتل الناس وترويعهم، فتكونت صورة سلبية عن الإسلام أدَّت إلى نفور الناس منه، لكن رسالة حركة الخدمة إلى الناس، رسالة سلام ومحبة وتسامح، وهذا ما تعكسه أنشطتها.

إدريس الكنبوري: صحيح، لقد قدَّمت حركة الخدمة للإنسانية الخير والحياة كما قلنا أمس في لقاء مع مجموعة من أساتذة حركة الخدمة، بينما الحركات التكفيرية والحركات المتطرفة العدوانية توجِّه سهامها تجاه المسلم وغير المسلم، وهذه الحركات قد اختزلت الجهاد في القتل، بينما حركة الخدمة قدمت مفهومًا جديدًا للجهاد واعتبرته إحياء الناس وليس تقتيلهم، فقتل الناس لا يفيدهم بل يُعجِّل بعذابهم، والأفضل من ذلك هو إحياؤهم على الإيمان بربهم، وهذه هي المعادلة الصعبة، وهناك كلمة جميلة جدًّا قالها الروائي الفرنسي "أندري مالرو" في روايته "الوضع البشري" التي كتبها عن صراع الشيوعيين في الصين قال: إنه من الصعب أن تقضي أربعين أو خمسين سنة في تربية إنسان توفر له المأكل والمسكن والمشرب والتعليم والحياة والكرامة، وإذا ما أردت أنت أو غيرك قتله لم يستغرق ذلك إلا أقل من نصف ثانية، فبضربة واحدة يمكنك أن تقتله، فالإحياء هو الصعب، لكن الموت هذا أمر سهل، الحيوان يقتل، لكن طبيعة الإنسان أنه يحيي، لأن الله ﷻ أرسلنا للإحياء وليس للتقتيل.

مركزية التربية والتعليم في الخدمة

نوزاد صواش: أستاذي إذا انتقلنا إلى ملف التعليم فنحن الآن أمام ظاهرة مختلفة لعلك سمعتها من بعض الأفارقة عندما حدثونا عن مدارس الخدمة هناك، قالوا: سابقًا جاء التجار المسلمون إلى هذه الديار فتعلمنا منهم الخير، لكن في هذه الحالة

وفي هذه الموجة نحن أمام شيء مختلف، يأتي معلمون ويأتي معهم التجار، فيمتزج العلم مع التجارة، فهل نحن أمام ظاهرة جديدة مختلفة في هذه المرة؟

إدريس الكنبوري: نعم، لقد أدركَ الرعيل الأول من المصلحين المسلمين أهمية التعليم بمن فيهم أيضًا الشيخ بديع الزمان سعيد النورسي، جميعهم تحدثوا عن التعليم، لأن التعليم هو إنتاج إنسان على المدى المتوسط والبعيد؛ عندما تُوَفِّر إمكانيات معينة للإنسان أنت تضمن على مستوى يوم أو يومين سنة أو سنتين وتضمنه وحده، لكن عندما تُهيئ تعليمًا قويًّا فأنت تهيئ أمة على المستوى المتوسط والبعيد يعني تبني حضارة.

نوزاد صواش: تصنع المستقبل

إدريس الكنبوري: نعم تصنع المستقبل وهذا ما لاحظه الأولون، ولذلك ركّز المشروع الذي جاء به الأستاذ كولن على أهمية هذه المسألة، ونحن نلاحظ أن الدول الإسلامية والعربية في بداية حركات الاستقلال -بسبب هيمنة الإيديولوجيات آنذاك وأن الفكر الإصلاحي ما زال طريًّا- كانت مقتنعة بأن التعليم مهم جدًّا، الدليل على ذلك هو أن مجموعة من الوزارات "بما فيها وزارتنا نحن في المغرب" كانت تسمى وزارة التربية والتعليم، بمعنى أن التعليم لا يمكن أن يكون منفصلاً عن التربية، فيما بعد تمَّ التخلي في العالم العربي والإسلامي عن قضية التربية، فُوِّضت قضية التربية إلى التلفزيون وإلى الشارع

الخدمة أثبتت أن الثروة يمكن أن تكون ثروة إنسانية عبر التماسك الاجتماعي، وعبر سلسلة من السواعد البشرية داخل المجتمع، وليس بالضرورة أن تكون الثروة جوفية من بترول ومعادن إلى آخره.

nesemat.com نسمات nesemat.com

وإلى الدعاية الأجنبية إلى آخره، وبقي التعليم الذي يستهدف أدمغة الناس فقط. لكن حركة الخدمة أدركت هذا الخلل، وأنه من دون تربية لا يمكن أن يكون هناك شخص مُربًّى على المستوى القلبي وعلى المستوى النفساني، وأن المعرفة العقلية لا يمكن أن تؤدي إلى أي نتيجة. لأن الحامل الذي يحمل هذا المحمول فيه خلل ومتهالك، لا تهم الإفرازات العلمية ولا الأفكار إذا لم يكن الإنسان سويًّا لديه قيم حقيقية ويعرف ماذا يريد من خلال العملية التعليمية.

نوزاد صواش: إذًا تمَّ تناول الإنسان ككلٍّ عقلاً وقلبًا

إدريس الكنبوري: نعم المشروع الذي جاء به الأستاذ كولن يؤكد على هذه الروابط المشتركة ما بين التعليم والتربية؛ فالتعليم يؤدي إلى التربية، والتربية تؤدي إلى بناء التعليم، وهؤلاء الذين تربوا في مدارس الخدمة وفي مشروع الخدمة تعلموا وتربَّوا، وبتربيتهم الآن يبنون مؤسسات تعليمية في البلدان الأسيوية وفي البلدان الأفريقية، وغيرها من بلدان العالم.

نوزاد صواش: يعني حلقة صالحة ولَّادة.

مفهوم الخدمة هو أن تخدم الآخرين، وأن تتحرك في اتجاه احتضان الوجود كلّه بأصدق وأخلص النوايا، وهو مفهوم عبقري؛ فيه قتل لنواة الأنانية ونواة العجرفة لدي الإنسان في الداخل.

nesemat.com نسمات nesemat.com

إدريس الكنبوري: حلقة صالحة من الدورة الحضارية العظيمة الممتدة على مستوى الزمن.

نوازد صواش: أستاذي عفوًا نحن رأينا تجارًا أصلاً نشأوا في هذه المدارس، ورأينا مدرسين أصلاً هم خِرِّيجو هذه المدارس، ورأينا خبراء من المهندسين والأطباء من خريجي هذه المدارس، فهذه مخرجات، ورأينا كيف أنهم يتحركون في المجتمع ويبنون الحياة وينشرون هذا الخير، لكن البعض قد يقول سعيُ حركة الخدمة لبناء الإنسان في تركيا قد أفهمه، لكن هذا الانفتاح على العالم لبناء مدارس في كل أنحاء العالم كيف تُقَيِّمه؟ يعني ما الدافع إلى ذلك؟ وما الأفق الذي تبتغيه الخدمة؟ هل هناك همٌّ أكبر من همِّ تركيا؟

إدريس الكنبوري: صحيح أنا زرت إسطنبول في السنة الماضية ووقفت على بعض مشروعات الخدمة، لكن الجديد هذه المرة أنني أدركت أن مشروع الحركة ليس تركيًّا فقط بل يتجاوز تركيا، كانت الفكرة السائدة عند كثيرين هو أن هذا المشروع تركي لا يتجاوز الحدود، لكن اكتشفنا اليوم وأمس في لقاءات مع مجموعة من الأفراد في الحركة أناسًا من الخدمة يستهدفون المناطق الوعرة من ناحية، ويستهدفون المناطق المنكوبة من ناحية ثانية، بما في ذلك المناطق التي تسودها حروب أهلية، يعني يُجازفون ويُخاطرون بأنفسهم، ويستهدفون المناطق القاحلة التي لا تملك شيئًا.

نوزاد صواش: إذن أنت تتحدث عن المجازفة؟

إدريس الكنبوري: طبعًا هي مجازفة، فهم أشخاص أصحاب رسالة ولديهم همٌّ، وهل يمكن أن تُسمي الذهاب إلى منطقة فيها حروب أهلية بغير حماية وبغير حصانة إلا مجازفة، إن هذه المغامرات لا يمكن أن يُقدم عليها إلا من لديه قضية بالفعل.

نوزاد صواش: الآن اليمن فيه مشاكل وفيه حرب أهلية، لكن مدارس الخدمة موجودة هناك، المدارس في تعز تعمل إلى الآن، والأخوة من المدرسين في عدن وفي صنعاء لازالوا هناك، وكذلك الحال في العراق أيام حرب العراق، المدرسون بقوا هناك فبينما ترك الناس العراق هم بقوا هناك.

إدريس الكنبوري: صحيح أمس واليوم في الحقيقة نحن استمعنا إلى قصص مثيرة ومحزنة جدًّا، الناس تسير وسط الكوارث بكل صراحة، أمس سمعنا أمورًا عن البوسنة أناس خاطروا بأنفسهم أيام الحروب، وسمعنا اليوم عن إفريقيا الوسطى، وسمعنا عن بلدان إفريقية أخرى فيها حروب أهلية، سمعنا أيضًا عن مالي، إذن هؤلاء الناس رجال مخاطرة، هم يُشبهون متسلقي الجبال بكل صراحة، فهذه نماذج تستحق أن نتأمل فيها ونقف طويلاً عندها، أناس مقتنعون بقضيتهم، ونحن لا نستطيع

استيعاب تضحياتهم، لأنه ليس من سمع كمن رأى.

نوزاد صواش: يبدو أستاذي أن هناك قيمًا لا يمكن أن تفسرها بالمنطق البراجماتي، ينبغي أن تفسرها بطرق أخرى، مثلاً الإخوة في أربيل أيام حرب الخليج حدثونا أنه شاع خبر أنه سيُرمى أسلحة كيماوية في أربيل، يقولون ترك كل الناس المدينة، وجلس مدرسو الخدمة يفكرون ماذا يفعلون؟ فقالوا: لو خرجنا لن نستطيع العودة مرة أخرى إلى هنا، فأخذوا بعض الاحتياطات في المدرسة، وجاءوا بالأولاد والسيدات وجلسوا في المدرسة ينتظرون قدرهم، قائلين هذا وطننا فإن كنا سنموت فلنمت هنا.

ثم يقول الأخوة لم يُرم سلاح كيماوي، فعاد الناس فوجدوهم هناك، بعد ذلك أقبل أهل كردستان العراق عليهم حكومة وشعبًا، وقالوا فيما بعد: واللهِ أنتم لم تتركونا في أوقات الشدة فكيف نترككم نحن في وقت الرخاء؟ يعني الوفاء للشعوب أوقات الشدة، أظن أن هذه نقطة في غاية الأهمية، وأعتقد أن هذه القصة نفسها ستسمعها في كل بلدٍ عاش معاناة فوجد هؤلاء الأبطال عندهم في تلك الأوقات.

إدريس الكنبوري: كلامكم ألهمني بعض المقارنة مع بعض رجال التصوف أو المنتسبين إلى التصوف، كنا نسمع في البداية والبعض حتى الآن يعتقد أن حركة الأستاذ كولن هي حركة صوفية، والإنسان عندما يتبادر إلى ذهنه هذا المصطلح مصطلح التصوف، يُفكر في التكايا والزوايا والخمول والمشيخة إلى آخره، لكن الحركة ليست حركة صوفية، هي

مشروع الخدمة يؤكد على الروابط المشتركة بين التعليم والتربية، فالذين تربوا في الخدمة تعلموا وتربَّوا، وبتربيتهم الآن يبنون مؤسسات تعليمية في كل بلدان العالم.

nesemat.com نسيمات nesemat.com

حركة تربية وبناء حضاري، هذه الأمور التي نتحدث عنها في بعض البلدان الموبوءة والمأزومة هي نوع من الكرامات، هي كرامات تليق بمشروع حضاري يبني.

في التصوف بعض الناس يُصدِّعون عقولنا بكرامات من نوع أن الرشاق (الشيخ) يطير فوق الماء، من دون أن يكون وراء هذا المشروع أو هذا الشيخ أو هذه الزاوية مشروع حضاري، لكن هذه كرامات حقيقية فعلاً، ناس يبنون مدرسة لأطفال لا يجدون قوت يومهم، ويبنون مستشفيات إلى آخره، ويعتصمون في أماكنهم ويرابطون بالاصطلاح الصوفي، فهذه هي الكرامات المعاصرة. إذًا نحن تحدثنا عن مفهوم الجهاد وعن مفهوم الهجرة والآن عن مفهوم الكرامة أيضًا، مفهوم الكرامة يجب أن يخرج من الطقوس ومن الدجل والخرافة والشعوذة إلى الحقيقة المتحركة على مستوى الأرض.

نوزاد صواش: يعني أستاذي هل يمكن أن نقول إن هؤلاء الأبطال الذين هاجروا إلى كل مكان في العالم الإسلامي وغير الإسلامي، شرق العالم وغربه، إفريقيا، آسيا، أوروبا، والآن إلى أمريكا والشرق الأقصى وأستراليا، كان دافعهم ومُحرِّكهم هو شعورهم بمعاناة الإنسان، ومحاولة تَمثُّلهم لتلك

الخدمة ليست طريقة صوفية، هي حركة تربية وبناء حضاري، فعالياتها ومشاريعها في بعض البلدان الموبوءة والمأزومة هي نوع من الكرامات، التي تليق بمشروع حضاري يبني.

nesemat.com نسمات nesemat.com

المعاناة التي كان يشعر بها النبي ﷺ، هل هؤلاء الفرسان يشعرون بمسؤولية كونية، وإلا فماذا يفعل هؤلاء في النيجر في إفريقيا الوسطى وفي مدغشقر. ذكر لنا قبل أيام بعضُ التجار من مدينة أدرنه أنهم بدأوا يبحثون في الخريطة عن بلد لم يذهب إليه أحد من الخدمة ليفتحوا فيها مدارس، قالوا: فوجدنا جزيرة صغيرة بالقرب من مدغشقر لا تبدو في الخريطة اسمها موريشيوس، قالوا: ركبنا لنكون نحن السباقين إلى تلك الجزيرة فنؤسس شيئًا، دولة صغيرة تعداد سُكَّانها حوالي مئة ألف فوجدنا -يقول هذا الأخ- أن الأخوة أسسوا مدرسة هناك ويستقبلوننا في المطار. السؤال الذي يطرح نفسه الآن، ما هو الهم الذي يحمله هؤلاء ويدفعهم للهجرة إلى أي كل مكان في العالم، كيف تفسرون ذلك؟

إدريس الكنبوري: أستاذي هذا المشروع يتجاوز الكلمات بكل صراحة، يعني أنت عندما تجد دولة بكل صولجانها وبكل مؤسساتها لا تستطيع أن تقوم حتى بخمس هذه المشروعات وتجد حركة تقوم بها، هذا شيء أولاً يسترعي التفكير، وفي ذات الوقت يدعو إلى الشعور بالألم، ٢٢ دولة عربية وأكثر من ٦٠ دولة إسلامية في منظمة المؤتمر الإسلامي لا تستطيع أن تُقيم مشروعًا جماعيًّا أو فرديًّا يُساعد في كفكفة دموع الآخرين وإطعام الجائعين منهم وإنقاذ من تتعرض حياتهم للخطر، أحيانًا يحز في نفوسنا بكل صراحة أننا نرى ممثلين وممثلات أمريكيين تتجلَّى فيهم الإنسانية الراقية، التي تدفعهم للذهاب إلى الأماكن المنكوبة ومساعدة أهلها، وعندما يعودون يلفتون أنظار العالم إلى تلك المآسي من خلال استضافتهم في قنوات التلفزيون التي يتحدثون فيها باكين متألمين عن تجاربهم الإنسانية في مساعدة أصحاب الحاجات، ولا يملك المرء أمام ذلك إلا لوم أنفسنا كمسلمين، كيف نكون أقل غيرة على الإنسانية منهم، إن هذا الطرح مهم للغاية. وأنا أعتقد أن المسألة الرئيسية فيما قلتم تعود بالدرجة الأولى إلى الفكر الذي وضعه الأستاذ كولن، هؤلاء الأفراد يتحركون حول مشروع ولكنه ليس أيَّ مشروع، بل هو مشروع بُني حول فكرة، والأستاذ كولن كما قرأنا في كتبه يرُكِّز بالدرجة الأولى على الإنسان في هذا المشروع، ويعمل على أنسنة الإسلام، أي أن يصبح الإسلام فعلاً دين الإنسانية، أن يصل إلى منتهى ما وصلت إليه الإنسانية حتى لو كان ذلك في جزيرة أو لو كان في أي مكان آخر، يعني حاول أن يعطي الأستاذ كولن لهذا البعد الإنساني مفهومه الحرفي الحقيقي، كما أنه لا بد وأن يكون لهذا المشروع شفرة أو كود يجب فكُّه.

نوزاد صواش: كيف سنفكُّه؟

إدريس الكنبوري: أنا أعتقد أن فك شفرة أو

كود هذا المشروع يكمن في التفكير فيه من منطلق القيم التي تربى عليها المسلمون، والتي يمكن أن نسميها القيم الصامتة، هي قيم موجودة في تراثنا الإسلامي لكنها قيم صامتة نقرأها ونحن نشعر بالخشوع ثم نعتبرها تاريخًا ونطوي صفحتها ونمضي، أما مشروع الأستاذ كولن فقد وقف عند هذه القيم الصامتة، وحاول أن يُنْطِقها، حاول أن يقول بأن هذه القيم يمكن إنطاقها من جديد، وعندما نقف عند أمور في حياة الصحابة أو أمور في حياة النبي ﷺ وحياة بعض الصالحين نتساءل، هل هذه القيم خلقت لكي تموت؟ وهل هي قاصرة على هؤلاء الرجال، هل هؤلاء الرجال كانت فيهم كروموزومات معينة لا يمكن أن تكون في أشخاص آخرين؟ هل كانوا يعيشون في أطر اجتماعية مختلفة عنا؟ وعندما تتبين لنا الحقائق نوقن أن هذه القيم يمكن بعثها من جديد، وأن المطلوب هو أن يكون هناك رجل في مستوى الأستاذ كولن وأن تكون هناك نفوس متقبلة لهذا المشروع مثلما عليه الآن أبناء الخدمة.

الأسرة والمرأة في نموذج الخدمة

نوزاد صواش: أستاذي لو غيرنا الموضوع ودخلنا في مجال المرأة، لقد زرنا بعض الجمعيات النسائية، والتقينا بسيدات أعمال فما الذي لاحظتموه؟ وما مكانة المرأة في الخدمة؟ أو ما دور المرأة من خلال ما رصدتم؟ وما هي القناعات التي تشكلت لديكم؟

إدريس الكنبوري: أولاً، قبل لقاء أمس، من يقرأ

nesemat.com نسمات nesemat.com

٢٢ دولة عربية وأكثر من ٦٠ دولة إسلامية في منظمة المؤتمر الإسلامي لا تستطيع أن تُقيم مشروعًا جماعيًّا أو فرديًّا يُساعد في كفكفة دموع الآخرين وإطعام الجائعين منهم وإنقاذ من تتعرض حياتهم للخطر.

أفكار الأستاذ كولن يقف على مجموعة من الأمور، مصطلح الخدمة قريب من المرأة الأم والزوجة والأخت وقريب من مصطلح العطاء أيضًا، وهو كذلك مرتبط بالمرأة، فهي التي تعطي الحياة، أي مشروع لا توجد فيه المرأة في موقع مركزي فاشل، هذه مسألة قرآنية والأستاذ كولن أدرك هذه المسألة، واستطاع بنباهته ودقته استخراج هذا المفهوم، لقد لاحظنا أمس أن المرأة تجاوزت بعض الخطوط الحمراء وأصبحنا نجد نساء أعمال في إطار جمعية يقمن بأشياء عجيبة، نساء مرابطات في جمعيات يشتغلن ويجمعن ما بين أشغال البيت وواجبات الزوج والأبناء ثم واجبات الخدمة، وبالتأكيد هؤلاء أيضًا أزواجهن وأبناؤهن في الخدمة، إذًا هناك مشروع لا يتحدث عن المرأة ولا عن الرجل، هو مشروع أسري، كما أن الأستاذ أيضًا يركز على مفهوم الأسرة، الخدمة مشروع أسري شامل كما أن الرجل بحاجة إلى المرأة والمرأة إلى الرجل وهم جميعًا إلى الأسرة والأبناء، كذلك مشروع الخدمة في حاجة إلى الجميع، والمرأة أكثر دافعية على العطاء، أكثر قدرة على التحفيز، هي بمقدورها أن تحفِّز أبناء جنسها وأن تحفز الرجال على العطاء

نحن في الإسلام نقول إن الإسلام رسالة للعالمين، لكن إلى الآن لم نُطبِّق الإسلام بصورة تجتذب الآخرين إليه؛ فلا نقدمه على أنه دين الرحمة والمحبة والعطاء والبذل.

nesemat.com نسمات nesemat.com

لأن فيها بعض الخصال التي فطرها الله ﷻ عليها؛ فيها الحنان والمودة والحساسية والعاطفة إلى آخره، بالأمس مثل السيدة التي قالت إنها تتخلى عن ثلثي أرباحها وتستبقي الثلث لأبنائها، علينا أن نتخيل، ليس فقط أنها تعطي الثلثين، يجب أن نتخيل مقدار الثلثين في هذه الأرباح التي تجنيها، إنها الملايين من الدولارات التي تتحصل عليها وتنفقها، هذا ليس من السهل، وهذه سيدة شيء عجيب بكل صراحة.

نوزاد صواش: حتى التجارة الخارجية، يعني لا يقمن بتجارة محلية فقط.

إدريس الكنبوري: وهؤلاء لهن امتداد، كما لاحظنا في الصباح سيدات أعمال على المستوى العالمي وعلى المستوى الإقليمي، لهن مشاريع في مختلف البلدان، في إفريقيا وآسيا وأوروبا ولسن تاجرات ولا سيدات أعمال صغار، هن سيدات أعمال كبار، بمقدورهن أن يصنعن من أموالهن أشياء عجيبة لأنفسهن لو أردن فقط الدنيا، بإمكانهن أن يوظفنها في السياسة ويحصلن بها على مناصب، فبإمكان المال أن يصنع أشياء كثيرة اليوم، لكنهم يصنعون بها الشيء المختلف، الشيء الذي لا يدركه الآخرون.

نوزاد صواش: هم لا يبنون مجدًا دنيويًّا لذاتهم، لو أردوا أن يفعلوا لفعلوا.

علاقة الخدمة بالسياسة والمجتمع

نوزاد صواش: أستاذنا الكريم لقد ترسَّخت في أذهاننا -نحن المسلمين- قناعة مؤداها، إذا أردت أن تغيِّر ينبغي أن تأخذ السلطة وتتخذ قرارات وتُملي هذه القرارت من أعلى إلى أسفل حتى يمكنك أن تُحْدِث التَّغيير، ما الذي وجدتموه مختلفًا في فكر الخدمة؟ وهل الأستاذ فتح الله كولن يرى أن درب السلطة ومسلكها هو الصحيح؟ أو ما هو منهج الأستاذ في التغيير؟ماذا رصدتم في ذلك؟

إدريس الكنبوري: حقيقة أخي الكريم، المسألة ليست في حاجة إلى الكلام الكثير، لقد قلنا أمس إن الإسلام ليس في حاجة إلى الكلام، وحسب ما وقفنا عليه فإن الحركة ترى أن الإسلام عمل، وهذا هو مفهوم ما يسمى بالتجديد الديني، الأستاذ كولن يقول: إن المشكلة ليست في تجديد الدين أو في تجديد فهم الدين، وإنما في تجديد ممارسة الدين. تجديد فهم الدين موجود في الكتب، هناك كتب كثيرة تتحدث عن تجديد مجموعة من المفاهيم، لكن أين هي على مستوى الواقع؟ الأستاذ وضع إطارًا لتنزيل هذه المفاهيم، يجب أن تمارس، أنت تجدد مفهومًا معينًا ثم تتركه، إذًا ما الفائدة؟

إذا لم تُنزِّل هذا المشروع فما الفائدة من تجديد المفاهيم؟ يجب أن يكون تجديد فهم الدين مصاحبًا لتجديد تنزيله، إذا لم تكن هذه القنطرة التي تجمع

بين الطرفين فلا فائدة من تجديد فهم الدين كما نسمع اليوم، وبالعكس أنا أعتقد أن الحديث عن السلطة والحديث عن السياسة يجب أن نلاحظه من هذه النقطة بالذات، أن نقف عند التجربة التي راكمتها حركة الخدمة وأن نقارن بما تحصَّل لدى مجموعة من الناس الذين طمعوا في السلطة بعيدًا عن التنظير عمَّا يقول هؤلاء وأولئك؛ هذه حركة راكمت بهدوء على مدى سنوات طويلة، مجموعة من الخبرات، أقامت أعمالاً ومنجزات خيرية في عديد من مناطق العالم، ونجحت في أن تنتشل مجموعة من الناس من الفقر ومن الانحرافات ومن التخلف ومن الإبادات إلى آخره.

وبالموازنة مع ذلك تجارب بعض الإسلاميين الذين وصلوا إلى السلطة لم يصاحبها إلا العنف، لأنك إذا طمعت في السلطة أنت لست وحدك الذي تطمع في السلطة، هناك كثيرون أيضًا يطمعون في السلطة، وإذا أخذتها فهناك من سيقاتلك عليها، لكن الخير شيء آخر، العمل الخيري إذا أخذته فهناك قليلون سوف يقاتلونك عليه. وبين ما استطاعت حركة الخدمة تحصيله وفعله، فقد حقَّقت مكتسبات ومنجزات خيرية في العديد من مناطق العالم كما سمعنا وكما قلتم، ونجحت في أن تنتشل مجموعة من الناس من الفقر ومن الانحرافات ومن التخلف ومن الإبادات إلى آخره.

نوزاد صواش: إذا تسابقوا معك في الخير نافسوك في الخير، فهذا ما دعا الله إليه.

يجب أن يكون تجديد فهم الدين مصاحبًا لتجديد تنزيله، إذا لم تكن هذه القنطرة التي تجمع بين الطرفين فلا فائدة من تجديد فهم الدين كما نسمع اليوم.

nesemat.com نسمات nesemat.com

إدريس الكنبوري: هذا صحيح، لكن التنافس على السلطة يؤدي إلى أعمال دموية وإلى حروب أهلية، وهذا رأيناه، رأينا هذا البراديم للحركات الإسلامية التي تبني رؤيتها في الإصلاح على الوصول إلى السلطة، ولقد أثبتت التجارب العملية فشل هذه الرؤية، وإن كان هناك بعض من الناس ما زالوا ينتظرون ويأملون خيرًا من هذه الرؤية، لكني أعتقد أن السنوات المقبلة سوف تثبت لهم خطأ رؤيتهم، وسوف يعيدون الكرَّة إلى الوراء كما فعل كثيرون. هناك البعض ذهب إلى الزوايا الصوفية، وهناك البعض اقتنع بالتربية وهناك آخرون غادروا، والكثيرون الآن ينتقدون تجارب الإخوان المسلمين وتجارب الحركات الإسلامية الأخرى لأنها بنت نظريتها في الإصلاح على مسلك السياسة، والسياسة دائمًا من طبيعتها أنها تفرِّق، وأنها تصنع الصراعات ولا تبني، والتجارب التي حصلت وخاصة بعد ما يسمى الربيع العربي أكدت هذه النقطة، هناك إسلاميون وصلوا إلى السلطة، ما هي النتيجة؟ إنهم يدورون في فراغ، عملية انتخابية، مصالحة، توافق إلى آخره، والمحصِّلة في النهاية أن المجتمع يضيع، لازال الفقر منتشرًا، ومعدلات البطالة في ازدياد، ومؤشر التعليم في تأخر،

الأستاذ كولن كما قرأنا في كتبه يرُكِّز بالدرجة الأولى على الإنسان في هذا المشروع، ويعمل على أنسنة الإسلام، أي أن يصبح الإسلام فعلاً دين الإنسانية، ويصل إلى منتهى ما وصلت إليه الإنسانية.

nesemat.com نسيمات nesemat.com

لا يمكنك إحداث أي تغيير لأن الخلافات السياسية تجعلك دائمًا تؤجل ويبقى التأجيل مفتوحًا. لكن في المقابل لم نسمع عن أحد ينتقد مثل هذه الأعمال الخيرية، لم نسمع عن أشخاص ينتقدون مشروعات سواء كانت للخدمة أو لغير الخدمة.

نوزاد صوش: أستاذي فيما يتعلق بالمجتمع المدني، مفهوم المجتمع المدني وتفعيل الأستاذ للمجتمع المدني هل نحن أمام محاولة لنمذجة مجتمع مدني في بيئة إسلامية؟ هل يمكن أن نقول هذا؟

إدريس الكنبوري: أعتقد أن تجربة الخدمة لا تعني أسلمة المجتمع المدني كما يقول البعض، وإنما التجربة تعني ممارسة الإسلام أو إحياء الدين أو كما قلنا تجديد فهم الدين وتجديد ممارسة هذا الفهم، هذا كل ما في الأمر، لأن مصطلح المجتمع المدني هذا مصطلح أوروبي لديه سياقه، أنجز الشيء الكثير في المجتمعات التي ظهر فيها، وكان ذلك موافقًا لأديانهم ولثقافتهم، لذلك كان مصطلحًا طبيعيًّا ومشروعًا لأنه ملتصق بثقافتهم، نحن أيضًا يجب أن يكون لدينا شيء ملتصق بثقافتنا، لا يمكن لك أن تقلد شيئًا من غيرك إلا إذا كان موافقًا لموروثك الثقافي والديني، كما أن غيرك لا يستطيع أن ينقل شيئًا مختلفًا عن عقيدته وثقافته، فمثلاً نظام الوقف عندنا أو نظام الزكاة لا يمكن للغرب أن يأخذه عنا، أنا أعتقد أن هذا هو التجديد الحضاري، نحن يجب أن نجدد من داخل الإسلام؛ ولذلك فالسؤال الذي يجب أن يطرح، هل عجز الإسلام عن إبداع هذه الاصطلاحات، أو هل نحن كمسلمين عاجزون عن ابتكار اصطلاحات تتوافق مع ديننا؟ في الغالب نحن إذا رجعنا إلى المفكرين الأوائل الذين بنوا النهضة الأوربية وعصر التنوير سنلاحظ شيئًا أساسيًّا جدًّا، وقد سبق وأن كتبت عنه في السنة الماضية، والقليلون جدًّا من المفكرين العرب يلتفتون إليه، والبعض ربما يهمله ويتناساه عمدًا متعمدًّا، وهو أن الفكر التنويري في الغرب بني على أساس الأناجيل، وهذه مسألة نحن نهملها، جميع المفكرين روسو جون لوك سبونوزا، كلهم وغيرهم بالمئات بنوا فكرهم على أساس الكتب المقدسة، المجتمع المدني خرج من الكتاب المقدس، جميع المفاهيم خرجت من الكتاب المقدس، والسؤال هنا، هل نحن عاجزون أن نُخرج من القرآن الكريم شيئًا حضاريًّا يواكب العصر؟ ثم لا نجد إلا في المفاهيم والمصطلحات الغربية، هذه المسألة تُكرِّس التبعية. وما يميز مشروع الحركة أنه أجاب عن كل تلك الأسئلة، وأعطانا أملاً في إمكانية صناعة إنسان جديد يحافظ على أصالته ويواكب العصر، ولذلك أعتقد أن مشروع الخدمة مشروع مركب، وأن الصيغ الإدارية والصيغ التنظيمية التي يتحرك بها هذا المشروع لا أعتقد أنها موجودة في

المجتمع المدني الغربي.

نوزاد صواش: لأنه يعطي أيضًا بعدًا أُخرويًّا.

إدريس الكنبوري: والغربي يعطي بعدًا دنيويًّا صرفًا، ثم يُسَطِّر أهدافًا معينة يُحققها على المدى القريب والمتوسط والبعيد ثم تنتهي الأمور، لأن الأمور كلها اجتماع فيما بيننا، لكن في مشروع الخدمة المأخوذ من النظرية القرآنية هذا مشروع مفتوح، نموذج المرأة الخادمة التي تخلَّت عن ثُلثي دخلها للخدمة ماذا تنتظر؟! هل تنتظر أرباحًا من هذا المشروع؟ بالطبع لا، لكنها تنتظر أشياء أخرى، هي تنتظر أن تأخذ من الله ﷻ في الآخرة، هي تدرك فعلاً ما تفعله، لا تنتظر أرباحًا، لو كان المفهوم مفهوم مجتمع مدني لكانت دفعت ثلثي مالها في انتظار أن تثمر تضحيتها مشاريع أخرى وأن تتطور الخدمة، وهذا يوافق ما يسمى عند الصوفية بالتخلية. السيدة أخلت نفسها من الطمع في الدنيا، وأصبح لديها قابلية ورغبة أن تفعل كل شيء طواعية لله ﷻ، كما استمعنا إلى بعض الأشخاص الذين قالوا إنهم ذهبوا إلى البوسنة ويقضي بعضهم نصف السنة في سياحة في الأرض وبناء المشاريع واللقاء مع المساكين والفقراء، ما الذي دفع هذا الرجل إلى هذه التضحية؟ هل هناك سيف معين فرض عليه؟ لقد سمعنا أمام الجميع بعض الأشخاص الذين يتكفل بهم بعض أبناء الخدمة بعدما درسوا وتخرجوا، أحيوا سُنَّة الهجرة من جديد، فهاجروا إلى أصقاع الأرض، ثم قاموا بدورهم في مشروعات الخدمة،

الخدمة حقَّقت مكتسبات ومنجزات خيرية في عديد من مناطق العالم، ونجحت في أن تنتشل مجموعة من الناس من الفقر ومن الانحرافات ومن التخلف ومن الإبادات إلى آخره.

nesemat.com نسمات nesemat.com

فساهموا في التكفُّل بالعديد من الأطفال كما فعل غيرهم معهم، من قال لهؤلاء أن يمارسوا دورهم الذي فُعِل معهم؟ هناك ما يسمى بالوازع الداخلي، أو ضمير المسلم، ضمير المسلم يعني أن المسلم أخ للمسلم، وأعتقد أن هذا هو المجتمع المدني الحقيقي في الإسلام.

نوزاد صواش: أستاذي إذا سمحتم بجمل وجيزة، كيف تصف وتُعرِّف الخدمة؟ وكيف تُعرِّف الأستاذ؟

إدريس الكنبوري: كما قلت من قبل، الذي ابتكر مصطلح الخدمة رجل عبقري، ورجل يريد الخير، لأن كلمة خدمة دائمًا مرتبطة بعمل معين تُقَاضَى عليه، يعني تُجَازى عليه ماديًّا، لكن مفهوم الخدمة كما وضعه الأستاذ هو أن تخدم الآخرين، وأن تتحرك في اتجاه احتضان الوجود كلّه بأصدق وأخلص النوايا، هذا هو الإسلام الحركي الحقيقي، وكما نقول عندنا في المغرب "خادم القوم سيدهم"، فهؤلاء مجموعة من السادة الذين يتحركون لخدمة الآخر، المفهوم في حد ذاته مفهوم عبقري بكل صراحة، وفيه عملية استشهادية، وفيه قتل لنواة الأنانية ونواة العجرفة لدى الإنسان في الداخل، هذا هو الشيء الأساسي.

لقد تعرَّفت أول ما تعرَّفت على الأستاذ كولن

القيم الصامتة قيم موجودة في تراثنا الإسلامي، نقرأها ونشعر إزاءها بالخشوع ثم نعتبرها تاريخًا ونطوي صفحتها ونمضي، أما الأستاذ كولن فقد وقف عندها، وحاول أن يُنْطِقها، وينفخ فيها روحًا مواكبة للعصر.

nesemat.com نسيمات nesemat.com

من خلال كتبه، وأقولها بكل صراحة لقد فوجئت، واعتقدت في بادئ الأمر أنني أمام رجل من الدراويش، لكن عندما قرأت الكتاب الثاني والثالث أحسست أن الرجل وراءه مشروع، فهو لا يتحرك من فراغ، بل لديه تجربة فكرية وروحية قوية، صبَغ تلك التجربة التي تلقاها من التراث الإسلامي بلونه الخاص، وأوصلها إلى أبناء عصره مع تركيبات جديدة وقوالب جديدة وتفسيرات جديدة، يدفعك دائمًا إلى الحركة البناءة الفاعلة المنجزة، إنني أرى أن الأستاذ كولن رجل صالح أراده الله سبحانه وتعالى ليجدد لهذه الأمة دينها. الغريب في الأمر أننا أمس بينما كنا نتحدث فكرت في هذه النقطة، وهو أنه قُضي على الإسلام من هذا المكان، وفي هذا المكان أيضًا يجمع الأستاذ كولن هؤلاء الرجال، فهذه مفارقة تاريخية تحتاج إلى تأمل.

نوزاد صواش: شكرًا جزيلاً، أستاذي كان حوارًا دسمًا وعميقًا وطيبًا، ومثل تلك الحوارات لا يريد لها الإنسان أن تنتهي، والكلام طبعًا ذو شجون فإلى أن نلقاكم في حورات أخرى نستودعكم الله. ■

برقيات

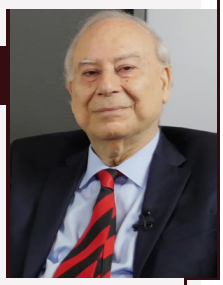

بروفسور: أكبر أحمد

كرسي ابن خلدون
للدراسات الإسلامية،
الجامعة الأمريكية/واشنطن

لقد تنامت حركة الخدمة ليس باعتبارها حركة سياسية ولكن باعتبارها حركة اجتماعية وروحية. فقد قدم المصلح الفريد كولن أسلوبًا جديدًا في التعليم يبدأ في دمج المعرفة العلمية والقيم الروحية. وثمة حاجة الآن أكثر من أي وقت مضى لهذه الرؤية للإسلام، التي تحتفي بالرحمة كما تحتفي بالعلم أو البحث عن المعرفة. إن المسلمين بحاجة إلى اكتشاف أهمية الرحمة والعلم في الإسلام من أجل أنفسهم، في حين أن الغربيين -الذين لا يرون على شاشات التلفاز من العالم الإسلامي سوى ذلك العنف الغاضب- بحاجة إلى تقدير هذه الملامح المركزية للإسلام. إن تعاليم كولن تمثل جمالية الإسلام ورحمانيته ومرونته في مواجهة أوقات الشدة والخلاف.

رسائل علمية
الإصدارة الخامسة - فبراير ٢٠١٨

سمات حركة الخدمة وآلياتها في الإصلاح

علاء شكر

د. علاء علي محمود شكر، ليسانس أصول الدين والدعوة الإسلامية ٢٠٠٢ بتقدير ممتاز مع مرتبة الشرف، ماجستير بتقدير ممتاز في الدعوة والثقافة الإسلامية بأطروحة عنوانها: "شبهات المستشرق الألماني كارل بروكلمان حول الإسلام عرض ودحض" ٢٠١٠. دكتوراه بتقدير مرتبة الشرف الأولى برسالة عنوانها: "حركة كولن التركية جهودها وأثرها في الدعوة إلى الله تعالى" ٢٠١٧. يعمل مدرسًا في قسم الدعوة والثقافة الإسلامية، بكلية أصول الدين والدعوة، جامعة الأزهر بالمنوفية.

في رحاب جامعة الأزهر الشريف كلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية يوم السبت الموافق ٢٠١٧/٨/١٩ نوقشت رسالة دكتوراه بعنوان: "حركة كولن التركية وجهودها وأثرها في الدعوة إلى الله تعالى" للباحث الأستاذ: علاء علي محمود شكر، وبعد مناقشة جادة وثرية من السادة أعضاء اللجنة حصلت الرسالة على مرتبة الشرف الأولى، وأوصى الأساتذةُ الباحثين بمزيد من البحث والدراسة حول منهج الخدمة ورؤاها الإصلاحية في الدعوة والتغيير.

وقد عبر الباحث عن أن الست سنوات التي قضاها بحثًا، قد مكنته من معاينة التطبيق العملي لفكر الأستاذ كولن الذي رأى فيه نموذجًا تميز به عن سواه من المصلحين.

وفي هذه الدراسة عرض لرؤية الرسالة -بقلم صاحبها- إجمالاً، والأسئلة الكبرى التي أجاب عنها البحث. وقد خلص الباحث في النهاية إلى أنه لابد من ترجمة الأفكار والمناهج الدعوية إلى برامج ومشروعات حضارية كبرى تُخاطِب العالَم أجمع؛ لأن توقّف العقل المسلم عن الحركة والامتداد يُحدِث فراغًا يتيح "للآخَر" أن يتمدد فيه بمناهجه وبرامجه وأفكاره.

مِن القضايا المُلحّة التي لابدَّ مِن الاستمرار في طرْحِها والتأكيدِ عليها؛ ضرورة التوقف طويلاً بالدرس والتحليل والاستقراء والاستنتاج لحركات الدعوة والإصلاح والتجديد، والتعرُّف على حياة المجدِّدين كنماذج دعويّة، وخاصة أولئك الذين واجَهوا ظروفًا مشابهةً لظروفنا، وواقعًا يقترب مِن واقِعنا، واغترَفوا مِن مَعين الكِتاب والسنّة، واهتدَوا بفهم القرون المشهود لهم بالخيرية مِن الرسول ﷺ، وعاشوا في قَلْبِ الواقع الإسلامي بكل مشْكِلاته وقضاياه ومعاناتِه، وقادوا المسيرة بفقهٍ وفِكرٍ وعمل، وكانوا مِن الطلائع التي تتقدم الصفوف؛ تُعطي الأنموذج في تشكيل الواقع، وصناعة التاريخ.

إن تتبّع هذه النماذج ودراستها، وتحليل طروحاتها الفكرية ووسائِلها في الدعوة والإصلاح؛ أصبح ضرورةً عِلمية ودعوية وثقافية وحضارية معًا؛ وذلك لإثارتها الاقتداء، وإحياءِ الفاعليّة، واستشعارِ المسئولية في حَمْلِ الأمانة، واختبارِ عوامل السقوط والنهوض، والفقه بكيفية التعامل مع قِيَم الكِتاب والسنّة وتنزيلها على واقع الناس، وتحقيق العِبرة بالتعرُّف على جوانب النجاح والإخفاق؛ لتكون سبيل اهتداءٍ للتعامل مع الحاضر، والبَصَرِ بالمستقبل، واستدراك الخَلل، وتصويب المسيرة، وإضافة هذا الرصيد الثقافي والحضاري والدعويّ لإمكانات الحاضر وتطلعات المستقبل.

ومِن ثم كانت هذه الدراسة التي تتناول إحدى أهم وأكبر حركات الدعوة والإصلاح المعاصِرة في الخِبرة التركية؛ التي أسَّسها الأستاذ محمّد فتْحُ الله كولن؛ ذلك الرجل الذي جَمع في شخصه بين إقناع المفكر وإمتاع الأديب، وبين صفاء الصوفيّ وحركية المصلح، وكذا بين استنارة العالِم وحرارة الداعية.

أهمية مشروع الخدمة

تكمن أهمية مشروع الخدمة فيما يلي:

أولاً: أنها ليست تكرارًا أو تقليدًا لنموذجٍ معيّن.

ثانيًا: قُدرتُها على تحويل القيم الإسلامية الأصيلة إلى نماذج نجاحٍ وإبهار مِن خلال جملة أنشطةٍ ومؤسَّساتٍ تقوم بأدوارٍ متكاملة في مجالاتٍ مترابطة تُشكِّل في مجموعها المنظومة الحضارية ابتداءً مِن منظومة قيم التربية والتعليم، والثقافة والحوار، والإعلام، والاقتصاد، والإغاثة، وصولاً إلى الهياكل والمؤسسات التي تهتدي بهذه المنظومة في برامج حركتها. فكيفية تحويلِ الفكر إلى مشروع وترجمةِ الرؤية إلى برنامج إجرائي عمليّ قابلٍ للتنفيذ على أرض الواقع يمثّل جانبًا في غاية الأهمية تفتقده كثير من حركات الإصلاح في عالمنا الإسلامي، مما يبقيها حبيسة الطموحات والآمال.

ثالثًا: أن حركة كولن لم تكتفِ بممارسة العمل الإسلامي الاجتماعي والدعوي داخل تركيا، بل امتدّ نشاطُها وتأثيرها إلى خارج الحدود التركية وفي أكثر مِن مائةٍ وستين دولةً حول العالَم؛ الأمر الذي يجعلها نموذجًا جديرًا بالدراسة والتحليل.

محاور الدراسة

تدور هذه الدراسة حول ثلاثة محاور رئيسة:

المحور الأول: الأستاذ كولن الشخصية والرؤية

المحور الثاني: سمات الخدمة وأهدافها

المحور الثالث: آليات الخدمة في الدعوة والإصلاح

المحور الأول: الأستاذ كولن الشخصية والرؤية

أولاً: البيئة وأثرها في النشأة والتكوين

لا شك أنّ أحداث الطفولة ومَجرياتها تُسهم إلى حدٍّ كبير في بناء شخصية الإنسان، وترسم معالم رؤيته للحياة؛ وفي هذا الصدد يقول الأستاذ فتح الله كولن متحدثًا عن أثر الانتقاش الذي تتركه حوادث الطفولة في الإنسان: "بفضل هذه المشاعر وهذه الأحاسيس تبدأ أحيانًا الحقائق المقدسة والمبهمة التي ترسَّخت في أرواحنا في العهود المبكرة بشكل معارف بدائية، تبدأ كالأزهار النضرة في شعاب قلوبنا، بفضل النور والإيمان الذين يملكان قوة إنباتية، فنرى كيف أن تلك الحقائق المجردة التي قبلناها ببراءة الأطفال، تعود إلى كياننا ووجودنا، هنا نذوق ونحن في دهشة طعمَ تحول هذه الأسرار في صمت في أعماقنا، إلى براعم ثم تفتُّحها أزهارًا"[١].

لقد كان من فضل الله تعالى على الأستاذ أن وهبه أسرة صالحة؛ فنشأ وترعرع في بيت يتسم بالتدين، والخشوع، وعشْق العِلم، والتمسك بمكارم الأخلاق؛ في هذا البيت أخذت الأم على عاتقها تعليم وليدها فتح الله القرآن الكريم وهو بعدُ لم يتجاوز الرابعة من عمره، وكان الوالد -وهو إمام وداعية- يغرس بسلوكه في ولده كل خُلُق نبيل؛ يقول الأستاذ فتح الله: "كان أبي دقيقًا في حياته، الصلاة هي جُلّ ما يشغله، بَكَّاء، وقته ثمين، إذا رجع من الحقل يتناول كتابًا قبل أن يخلع نعليه فيقرؤه ريثما يحْضر الطعام. للقراءة عنده متعة خاصة، لسانُه رَطْبٌ دائمًا إما بالقرآن الكريم وإما بتكرار ما حَفِظهُ من شِعْرٍ عربي أو فارسيّ، أنا لا أتذكر أنني حَفِظتُ قصيدة البُرْدَة بنفسي، ولكني حفِظتُها من كثرة تكرار والدي لها، وكذا الأمر في الشِّعْر الفارسيّ الذي كان يَسْرُدُه أبي في وعظه، كان يملأ وقته كله بالعمل الصالح الزاكي، ولا يعرف الفراغ، وله فَضْلُ عنايةٍ بالتفكر"[٢].

وفي المرتبة التالية للأسْرة يأتي ذلك الينبوع الصافي الذي تغذت منه رُوح الأستاذ فتحِ الله كولن وهو طفلٌ صغير، والذي كان له أثرٌ كبيرٌ في تربيته وتعليمه، حتى إنه يُلقبه بـ"مهندس القلوب" ويقول في شأنه: "هو اليد الخفية التي كانت وراء ما أجده من مشاعر"[٣]؛ ذلكم هو العالم الجليل والشيخ المربِّي صاحب الأذواق والمواجيد محمد لطفي أفندي، المعروف بـ"الأَلْوَارْلِي أَفَه" الذي كانت أسرة كولن كلها متأثرةً به أشد التأثر، محبوبًا وموقَّرًا لدى جميع أفرادها؛ وقد حاول الأستاذ فتحُ الله أن يوقفنا على ملامح مِن عالَمِه الرُوحي قائلاً: "كان الشيخ أَلْوَارْلِي

تتميز رؤية كولن للإصلاح والتجديد بأنها تنطلق من الإدراك الكامل لقضية الخاتمية والخلود والعالَمية للرسَّالة الإسلامية، مما يعني القدرة على العطاء المتجدد للنماذج في كل مجال، والصلاحية لكل زمان ومكان.

nesemat.com نسمات

nesemat.com نسيمات nesemat.com

أحاديث كولن وكتاباته شاهدة بتمكُّنه من ثقافة عصره، وحُسن توظيفه للعلوم والمعارف في الدعوة، مع عدم المغالاة في تقدير الأمور، مما كان له أبلغ الأثر في التفاف الناس حوله، والأخذ من علمه، وانتشار دعوته.

أَفَه باعتبار عالَمِه الداخلي عميقًا حيًّاشًا بالعشق والهيجان. وكان حاله في مجالس الذِّكر يبدو مثالاً حيًّا لثرائه القلبيِّ هذا. فقد كان نَقْشبنديًا وقادريًّا في الوقت نفسِه. ولذلك كانت مجالس الذِّكر تُعقد تحت إشرافه على الطريقة النقشبندية أحيانًا، وعلى الطريقة القادرية أحيانًا أخرى. وفي تلك المجالس كان فضيلته يتوجَّه بكل ذاته إلى الحق تعالى، ويغيب عن نفسه أحيانًا بتأثير تلك النغمات المُحرِقة المُلهِبة، ويُحدِث فيمن حوله حالةً رُوحيةً مصطبغةً بصبغته الخاصة، ويُرسِل نارَ عشقٍ إلى القلوب. وحين ينفعل أحدُ الموجودين فائضةً عيناه بالدموع فإنّ هذه الحالة تسري إلى الآخرين أيضًا، وتُكوِّن مناخًا من العشق والانفعال لدى الجميع. أجل، كانت تكوِّن عشقًا وانفعالاً ما زلتُ أشعر بتأثيره عليَّ رغم أنني شهدتُ كل هذه الأمور في طفولتي[٤].

نعم لقد تجلّى ذلك الأثر فيما بعد في منهجه الدعويّ وفي كتاباته المتنوعة، كما أكسب خُطَبهُ ومواعظه بُعدًا رُوحيًا يصعب الإفلات من تأثيره. لقد كان للبيئة التي نشأ فيها الأستاذ فتحُ الله كولن دور كبير في توجهه نحو حياة الدعوة والإرشاد في سن مبكرة[٥] وجعلته يسير بخطىً ثابتة واثقة في مساره التعليمي ومسيرته الدعوية رغم كل ما لاقاه في سبيل ذلك من مشقات وآلام.

ثانيًا: منهج الأستاذ فتح الله كولن في الدعوة إلى الله تعالى

منهج الدعوة هو عملية بناء متكاملة لطريقة الدعوة المستقيمة، تشتمل على الأصول والقواعد والأساليب والوسائل الموصّلة للدعوة، والمعِينة لعمل الداعية في مخاطبة الناس مع مراعاة الظروف الملائمة والأحوال المناسبة[٦].

هذا التعريف يبيّن أن المنهج الدعويّ له أسس وقواعد يرتكز عليها، وأساليب ووسائل ينهض بها لتحقيق أهدافه النبيلة والمشروعة، وهو بهذا يتلاشى الخطأ الذي يقع فيه البعض من الخلط بين المنهج وبين الأساليب والوسائل التي هي في الحقيقة من أدوات المنهج وآلياته في التطبيق. ومن ثَمَّ كان لا بد من الإشارة هنا إلى أهم تلك القواعد والآليات التي يتضح من خلالها معالم المنهج الدعويّ لدى الأستاذ فتح الله كولن.

١- من قواعد المنهج الدعويّ عند الأستاذ فتح الله كولن

أ- البناء الروحي للداعية

يؤمن كولن بأن الروح كيانٌ يستوجب التعمير، وأنّ من سماء الروح وعالَمه تنطلق أعمال التشييد الكبرى لصرح الدعوة الإسلامية؛ فالداعية الحقيقي عنده لابد وأن يكون صاحب عالَمٍ رُوحي عميق؛ ذلك لأن قوله ينعكس على الآخرين بنسبة عمق عالمه الروحي[٧] ويشير إلى آلية تحقيق ذلك بقوله:

"على الدعاة والمرشدين أن يُشحَنوا في البداية شحنات روحية مثل أصحاب الكهف، وأن يمروا بمثل هذه المرحلة. وكما يمكن أن يتم هذا بقضاء فترة في الكهوف والمغارات، كذلك يمكن أن يتم على طريقة الصحابة رضوان الله عليهم، الذين مروا بفترة شحن وشحذ لقواهم الروحية في دار الأرقم. طبعًا ليس من الشرط وجود تشابه حرفي في هذا الموضوع، لأن الحوادث التاريخية تجري في أنماط متشابهة ضمن إطار عام. لذا فالأشياء المهمة بالنسبة إليهم بمقياس كبير مهمة بالنسبة إلينا كذلك.. بعد الفهم الجيد للدعوة المراد نشرها وتبليغها وهضمها والقيام بهذه الدعوة بكل تجرد وإخلاص.. بعد قضاء فترة اعتكاف وخلوة وتوجه إلى الله تعالى للوصول إلى المستوى الروحي المطلوب الذي يحقق لهم قدرة التمثُّل والتشرُّب بالدعوة وقدرة على تمثيلها"[٨].

قلتُ: وقد أشار القرآن الكريم في كثير من آياته إلى أهمية تمتين البناء الروحي للداعية؛ ومن يتأمل ترتيب نزول السور والآيات سيلاحظ أنّ قول الله تعالى لنبيه ﷺ ﴿قُمْ فَأَنذِرْ﴾(المدثر:٢)، نزل بعد قوله تعالى له: ﴿قُمِ اللَّيْلَ إِلا قَلِيلاً﴾(المزمل:٢).

ب- اقتران الدعوة بالعلم والعمل

من القواعد الأساسية للمنهج الدعويّ عند الأستاذ فتح الله كولن "العِلم والعمل"؛ أمّا بالنسبة للعلم فيقول: "العلم والتبليغ وجهان لحقيقة واحدة، فَعَلى الداعية أن ينشئ نفسه جيدًا بحقائق دينه الذي يريد تبليغه للآخرين، وألا يكون سببًا

الداعية عند كولن هو بطلُ الشفقة والرحمة قَبل كل شيء، لا يَتوسل لدفع الآخَرين إلى قبول الحق الذي يدعو إليه بالوسائل الخاطئة كاستعمال القوة والخشونة والإكراه.

nesemat.com نسمات

لإخفاقات كثيرة، بل قد يُنفِّر مخاطَبيه عنه وعن دينه، وما هذه النتيجة إلا تجاوز على الحقوق الدينية والدنيوية له ولغيره"[٩].

وإذا كان العلم والتبليغ وجهان لحقيقة واحدة فإنّ كولن يَعُدّ "العملَ" شرطًا لا ينفك عنهما، ويقول: "يجب على من يتولى أمر الإرشاد والنصيحة أن يعيش ويحيا شعوريًا بما يبلغ وينصح كي يؤثر في غيره. والقرآن الكريم يوضح هذه المسألة بأوضح بيان في قوله تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾(البقرة: ٤٤). لأن عدم القيام بما يقوله المبلغ صفة نفاق وخداع، وقد شهدنا كثيرًا في فترة الانحطاط عدم جدوى كلام من سلك هذا السلوك بل فَقد ثقة الأمة به"[١٠].

جـ- الرحمة والشفقة

المنهج الدعويّ لا يعرف القسوة أو العنف أو الكراهية على الإطلاق، حتى إنّ الحق تبارك وتعالى عندما أرسل موسى وهارون عليهما السلام إلى واحدٍ مِن أكبر الطغاة الذين عرفهم التاريخ، قال لهما: ﴿فَقُولاَ لَهُ قَوْلاً لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾(طه:٤٤)، يقول الأستاذ فتح الله كولن معلقًا على هذه الآية: "لذا فلا مكان أبدًا في الإسلام للكلام الخشن أو اللوم

nesemat.com نسمات nesemat.com

حركة كولن لا تملك بنية أيديولوجية؛ ولا تقدِّم نفسها على أنها التعبير الذي لا يجادَل فيه، و"الحقيقة" التي ينبغي على كلِّ أحد أن يخضع لها مما يثير النزاع والخلاف بين أبناء المجتمع، وهذا ما يميزها عن غيرها.

العنيف للناس في الدعوة إلى الله تعالى"[١١]، والسبب في ذلك -كما يقول كولن- "أنه لا محلَّ للمحبة والاحترام فيما يخلو مِن الرحمة والشفقة"[١٢]، مصداقًا لقوله تعالى مخاطِبًا سيد الدعاة ﷺ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾(آل عمران:١٥٩).

إنّ الداعية عند كولن "هو بطلُ الشفقة والرحمة قَبل كل شيء، لا يَتوسل لدفع الآخَرين إلى قبول الحق الذي يدعو إليه بالوسائل الخاطئة كاستعمال القوة والخشونة والإكراه؛ لأن استقرار الإيمان بالله ﷻ في القلوب ليس بهذه الوسائل قطعًا. بل الشفقة في الإرشاد تليّن القلوب وترقق الوجدان، وتجعلهما تستأنسان وتتهيآن لقبول الإيمان بالله وبرسوله"[١٣].

د- المعاناة والتضحية

المعاناة والتضحية مِن أجْل الدعوة إلى الله تعالى، هما في الحقيقة من مقتضيات الرحمة والشفقة، ولكن الرحمة والشفقة كلاهما أمر نِسبيّ قد لا يصل عند بعض من يتَّصف بهما إلى حدِّ المعاناة والتضحية، ولعل هذا هو السر في أن الأستاذ فتح الله كولن قد أفردهما بالذكر كقاعدة مهمة للانطلاق في مجال الدعوة الإسلامية؛ يقول: "إنه لقدَرٌ إلهيّ أن تترافق وتتداخل وظيفة التبليغ والمعاناة معًا بلا انفكاك؛ إذ الأشياء التي تحصل بصعوبة وتعب تحظى بالاهتمام والعناية والمحافظة، بينما الثروات التي حُصِل عليها بدون جهد أو نصب لا يستغرق استهلاكها سوى دقائق. ولاسيما إن كان الأمر يتعلق بتعريف الناس بالله ﷻ، فإنّ هَدْرَ هذا الأمر يعني إنهاء أهم أساس لغاية وجود الإنسان وإنهاء ضمان بقائه. وهذا يعني مباشرةً عدم جدوى وجود الإنسان على الأرض. لذا فالإنسان مضطر لإدراك هذه الوظيفة السامية كي يجعل لوجوده جدوى ومغزى"[١٤].

وأمّا التضحية فيرى كولن أنها من أهم خصائص المُبلِّغ، ويقول: "إنّ الذين لا يضعون التضحية نصب أعينهم منذ البداية -أو يعجزون عن ذلك- لن يكونوا من رجال الدعوة. ولا داعي للكلام عن إخفاق من لم يكن رجل دعوة بهذه الصورة، بينما المستعدون للتضحية بالمال -إنْ طُلب- أو بالنفس -إذا تطلب- بل حتى بالأولاد والأهل والمقام والمنصب والشهرة إلى آخر الأمور التي يتغنى بها الآخرون ويجعلونها مبتغى حياتهم، هؤلاء المستعدون للتضحية بهذه الأمور سيُنصَب عرش دعوتهم في الذرى، وهذا أمر محقق ومقدَّر"[١٥].

هـ- اقتضاء البصيرة وعدم مصادمة قوانين الفطرة

البصيرة عند كولن تعني: "ضبط المسائل بمعايير القلب الدقيقة فضلاً عن العلم والتجربة وإخضاعُها

للتحليل والتركيب ثم الوصولُ إلى سعة إدراكٍ تسمح بتناول تلك القضايا بمقدماتها وخلفياتها وبداياتها ونهاياتها؛ فإذا كان البصر يعني دراسة الأشياء والأحداث بنظرةٍ مادّيّة، فالبصيرة هي استيعاب الأشياء والحوادث بعين القلب؛ ومن ثم فالبصيرة هي بمثابة هادٍ نورانيٍّ يرشد الإنسان للوصول إلى الحق والحقيقة وتبليغِهما للآخرين، فمن المتعذر لمن حُرم نور البصيرة أن يُقيِّم الأشياء والحوادث بشكلٍ صحيح، ويجري عليها تحليلاته وتركيباته بشكل سليم، ويصل إلى قرارات بحقها بشكل قويم"[١٦].

ومن المسائل التي تقتضي البصيرة في الدعوة إلى الله تعالى عدم مصادمة قوانين الفطرة؛ يقول كُوْلَن: "المُبلِّغ لا يصطدم قطعًا مع قوانين الفطرة. بل يتّخذ البصيرة أساسًا في تبليغه، لأن الفطرة مستقرة بالآيات التكوينية، فالتكاليف والأوامر التي تُبلَّغ يجب أن تُبلَّغ وفق هذه القوانين، أي تؤخذ الخصائص والمزايا التي فُطر الإنسان عليها بنظر الاعتبار؛ فيخاطَب وفق تلك المزايا والخصائص. وبخلافه ربما لا يهتم المخاطَب بالكلام مهما كان بليغًا وبرّاقًا؛ لأنه قد لا يفهم كليًّا ما يخاطَب به أو يعدّه أمورًا نظرية خيالية. ولعل في توضيح هذا الأمر فائدة:

فمثلاً: يَحمل كلّ إنسانٍ شعورًا بالمحبة في قلبه، فمن الخطأ عدم اعتبار هذا الشعور، أو عَدُّهُ غيرَ موجود. لذا لا يقال للناس: لا تحبوا... فإذا قيل لهم هذا لم يُفد شيئًا سوى أنه تكليف مجانب للفطرة. ولكن المبلّغ يُجري هذه "المحبة" الكامنة في المخاطَب إلى سيرها الإيجابي، فيَحُثُّ المخاطَب على

استفادت الخدمة من كل وسائل العصر الحديث، وجدَّدتْ مفهوم التبليغ التقليدي المعتمد على الوعظ في المساجد وعلى أعواد منابرها، واتَّخذت من الصحف والمجلات والإذاعة والتلفاز والإنترنت، منابر عصرية.

nesemat.com نسمات nesemat.com

أن يحب ما هو جديرٌ بالمحبة وما له البقاء والخلود، بدلاً من إبداء المحبة إلى محبوبات زائلة فانية، فلو صَرف محبته إلى الزائلات الفانيات تكون عليه بلاءً ومصيبة، بينما إذا وجّهها إلى الله ﷻ تكون له وسيلة بلوغٍ إلى مراتبَ عنده ﷻ. بمعنى بدلاً من أن يقول المبلّغ للمخاطَب: "لا تحب" يقول له: "اصرف الحبَّ إلى من هو سرمدي دائمي، أو اصرف حبك لأجله وفي سبيله". وعند ذلك تكون محبة جميع المخلوقات غير محظورة، وقد قال الشاعر يونس أَمْرَه: "أحبّوا المخلوقات لأجل خالقها"[١٧].

و- معرفة ثقافة العصر

لقد جعل كولن من معرفة ثقافة العصر قاعدة مهمّة يرتكز عليها في منهجه الدعويّ، خاصة وأن بدايته الدعوية قد تزامنت مع شيوع الإلحاد في المجتمع وانتشار المذاهب المادية التي تتكلم باسم العلم والفلسفة، ومن ثم كان لا بد من مقابلتها بنفس الأسلوب؛ يقول كولن: "إنّ من لا يَعرف مجريات عصره كمن يعيش في دهليز مظلم، عبثًا يحاول أن يبلِّغ شيئًا عن الدين والإيمان إلى الآخرين، فعجَلات الزمن والحوادث ستفقده التأثير إن عاجلاً أو آجلاً. ومن هنا فعلى المؤمن أن يفهِّم ويبلِّغ ما

الأستاذ فتح الله كولن رائد إصلاحي جَمع في شخصه بين إقناع المفكر وإمتاع الأديب، وبين صفاء الصوفيّ وحركية المصلح، وكذا بين استنارة العالِم وحرارة الداعية.

nesemat.com نسيمات nesemat.com

ينبغي أن يُفهَّم بأسلوب ملائم ومنسجم مع المستوى الفكري والعلمي والثقافي لعصره"[١٨].

وقد سار الأستاذ فتح الله كولن في دعوته على هذا الدرب فأحاديثه وكتاباته شاهدة بتمكُّنه من ثقافة عصره، وحُسن توظيفه للعلوم والمعارف الحديثة في الدعوة إلى الله تعالى، وتبسيطها للجمهور، مع عدم المغالاة في تقدير الأمور والأشياء، مما كان له أبلغ الأثر في التفاف الناس حوله، والأخذ من علمه، وانتشار دعوته[١٩].

٢- آليات تفعيل المنهج الدعوي

نوّع الأستاذ فتح الله كولن من وسائله في الدعوة إلى الله تعالى لكي تصل الدعوة إلى أكبر قدر ممكن من الجماهير، وما لم يباشره بنفسه من الوسائل الحديثة لاحتياجه إلى جهود جماعية كالتلفزيون والإذاعة والصحافة والإنترنت وغيرها، فقد وجَّه تلاميذه ومحبّيه إلى المبادرة بتوظيفها في هذا المجال، والمنافسة فيها حتى لا تُترك الساحة الدعوية فارغة أمام الآخر يتمدَّد فيها بثقافته وأفكاره الدخيلة. وقد استطاع الأستاذ على المستوى الشخصي أن يجمع في أداء منهجه الدعويّ بين الخطابة والمحاضرة والتدريس وتنظيم المخيمات الدعوية والأندية الحوارية بين المثقفين والمفكرين وأرباب المذاهب والطوائف والملل. وكذا استخدم في دعوته الكتابة التي لا تقلّ في أهميتها وتأثيرها عن الكلمة المنطوقة؛ وقد قيل:

وإذا سَكتَّ فإنّ أَبلغ خاطبٍ
قَلمٌ لكَ اتَّخذَ الأصابعَ مِنبرا[٢٠].

وهي وسائل يصعُب توافرها جميعًا مع إجادة توظيفها إلا فيمن اختصَّه الله تعالى بموهبة من عنده. وكما تنوّعت وتعدَّدت وسائلُ الأستاذ في الدعوة إلى الله تعالى؛ كذا تعدَّدت وتنوعت أساليبه ما بين ضربٍ للأمثال، وتصريفٍ للأقوال، وما بين حِكَمٍ منثورة، وأشعار منظومة، وأدلّة وبراهين معقولة، تدمغ حجج المبطلين وتدفع شُبَه المشبِّهين. ويمكن من خلال الاستقراء السابق، القول بأن الأستاذ فتح الله قد جمع في دعوته بين ثلاثة مناهج وهي:

أ- المنهج الوجداني: وهو النظام الدعوي الذي يرتكز على القلب، ويُحرِّك المشاعر والوجدان. وقد لمسنا أثر ذلك في حِكَمِه ومواعظه وآدابه وتربيته الصوفية، ومِن العبارات المسكوكة للأستاذ في هذا الصدد قوله: "يجب أن يكون على كل شيء تقُوله أو تكتبه تأشيرة الوجدان"[٢١].

ب- المنهج العقلي: وهو النظام الدعوي الذي يعتمد على العقل والمنطق والاستدلال. فكما خاطَبَ كولن قلبَ الإنسان ومشاعره، خاطب عقله أيضًا؛ وقد لمسنا أثر ذلك في دفاعه عن الإسلام، وردِّه على المتأثرين بالشبهات، والمخدوعين بالباطل، ودعوته إلى التدبر والتأمل في كون الله المنظور كما في كتابه المسطور.

جـ- المنهج الحركي: وهو النظام الدعويّ الذي يعتمد على تحويل الأفكار إلى مؤسسات، وتوجيه الطاقات نحو العمل والبناء. وهذا واضحٌ من خلال العدد الهائل مِن المتطوّعين الذين ألهمَتْهم أفكار كولن فحوّلوها إلى مشروعات ومؤسسات خدمية عملاقة تمتد فروعها إلى دُولٍ شتَّى؛ منها ما هو تعليمي تربوي، ومنها ما هو إعلامي تثقيفي، ومنها ما هو إغاثيّ، ومنها ما هو اقتصاديّ... وشعاره الحركيّ في هذا الصدد "الآذان شَبْعَى والعيون جَوْعَى"[٢٢].

وهذه المناهج الثلاثة هي بمثابة منظومة في حلقة يغذّي بعضها بعضًا، يقول گُوْلَن: "لا يمكن حملُ الإسلامِ وتبليغُهُ إلا بواسطة منظومةٍ فعّالةٍ تُمثِّلُ الفهرسَ المعنوي للوجود كله، تتشكَّلُ من العقلِ والوجدانِ والروحِ والجَسَدِ"[٢٣].

لهذا كان في الجمع بينها دون الإخلال بأيٍّ منها دور كبير في نجاح وفاعلية دعوة الأستاذ فتح الله كولن واستمرارها.

المحور الثاني: سمات الخدمة وأهدافها

في أواخر الستينات من القرن العشرين ومطلع السبعينات، شهدت تركيا حالة من الصراعات السياسية والأيديولوجية، والتوترات الطائفية، التي وصلت إلى حد الاشتباكات المسلحة، وفي تلك الأجواء الملتهبة استطاع الأستاذ فتح الله كولن ببراعته الدعوية وملكاته الخطابية أن يجذب انتباه الجماهير وأن يثير اهتمامهم برسائله حول ممارسة الإيمان وإصلاح النفس كخطوة أولى لإصلاح

الخدمة لم تكتفِ بممارسة العمل الإسلامي الاجتماعي والدعوي داخل تركيا، بل امتدّ نشاطُها إلى خارج الحدود التركية وفي أكثر مِن مائةٍ وستين دولةً حول العالَم؛ الأمر الذي يجعلها نموذجًا جديرًا بالدراسة والتحليل.

nesemat.com نسمات nesemat.com

المجتمع والأمَّة، والاستثمار في التعليم باعتباره المفتاح لحل جميع المشكلات المتعلقة بالجهل والفقر والانقسامات، والعمل لخير الإنسانية. وقد لاقت تلك المبادئ قبولاً واسعًا لدى الجماهير. وفي هذه المرحلة نظَّم كولن حلقات للدرس تُعرَف بـ"مجالس الصُّحبة" يلتقي فيها بانتظام الملهَمون بأفكاره، ليس فقط لمدارسة القرآن والسنة وكُتُب العلم؛ ولكن أيضًا "لمناقشة أفكار كولن حول إنشاء بيوت للطلبة، ولتمويل تلك المشروعات الخدمية، ولتأسيس شبكة من العلاقات المجتمعية بين المواطنين متشابهي التفكير، وبدأت تلك الشبكات مِن الأفراد -وتشمل رجال أعمالٍ لديهم الموارد المالية اللازمة لدعم المشروعات الخدمية- تتشكَّل ببطء في القرى والمدن التي ألقى كولن خُطَبه فيها.

وبحلول عام ١٩٨٠ استجاب العديد من رجال الأعمال والمعلمين الذين ألهمهم كولن بأفكاره لحل أزمة التعليم في تركيا بإنشاء مؤسسات مثل: بيوت الطلبة، وعَقْد الدورات التحضيرية لدخول الجامعة، وتأسيس جمعيات للمدرسين، ودُور للنشر وصحيفة، ومع منتصف الثمانينات أصبحتْ هناك موارد كافية تتضمن شبكات غير رسمية مِن الأفراد

جميع الفعاليات التي تقوم بها الخدمة في شتى المجالات هدفها إبراز جمال الإسلام وعظمته، ودون أن تُبرز محاسن الإسلام وعظمته لا يمكن أن توصل شيئًا للآخَرين، ولا يمكن أن تحبب الناس في هذا الدين.

nesemat.com نسيمات nesemat.com

المتحمسين، والمساهمات المالية الضرورية لتسريع المشاريع الخدمية الموجودة بالفعل، والبدء في بناء المستشفيات والمدارس في تركيا، وفي هذه المرحلة أصبحت وسائل الإعلام على عِلمٍ بالحركة، وألقت المقالات الصحفية عن الحركة وأنشطتها بالمزيد من الوعي العام. وفي ظل هذا الاطّراد والنمو بدأ الأعضاء في التوحُّد حول فكرة الحركة الاجتماعية"[٢٤].

١- أهم سمات حركة كولن

تختلف حركة كولن في مفهومها عن كثير مِن الحركات التقليدية في العالَم الإسلامي، وذلك من حيث كونها لا تملك بنية أيديولوجية؛ فهي لا تقدِّم نفسها على أنها التعبير الذي لا يجادَل فيه، و"الحقيقة" التي ينبغي على كلِّ أحد أن يخضع لها مما يثير النزاع والخلاف بين أبناء المجتمع.

ومِن سماتها أنها حركة غير مركزية؛ فلا يوجد مَقَرٌّ رئيسي مركزي لحركة كولن[٢٥]، ولا تُمنح بطاقاتُ عضوية للمشاركين في الحركة؛ وذلك لأنها لا تملك تنظيمًا هيكليًا تراتبيًا له سُلْطة مركزية شأن كثير من الحركات التقليدية؛ يقول أحد الباحثين في شأن هذه الحركة: "إن المصطلح الأقرب إلى وصف "الانضمام" إلى حركة كولن هو "الانتماء" أو "التضامن"، وليس العضوية أو "التبعية"؛ لأن الانضمام يقتضي عملية رسمية ومؤهلات عضوية واشتراك عضوية منتظمًا، وليس في حركة كولن هذه العضوية الرسمية. فالناس يأتون ويذهبون على حسب التزامهم وقدراتهم على تحقيق أهداف الحركة؛ فالحراك في الاتجاهين كبير، ويصعب تمييز الداخل من الخارج"[٢٦]. والأستاذ فتح الله كولن نفْسُه قد فَسَّر المسار الذي مضت دعوته عليه، وتأسيس المؤسسات الكثيرة بتأثير من تلك الدعوة؛ بأنّ ما فَعَله هو أنه اقترح على الناس فكرة، وأنهم يطبقونها بناء على "معقولية الفكرة".

ومن سماتها أيضا أنها ليست تكرارًا أو امتدادًا لأي حركة من الحركات، بل تؤكّد في مختلف أعمالها على أنها "حركة نماذجها من ذاتها"، وذلك لسببين رئيسين: أولهما أنها أنشأت نماذجها الذاتية (نموذج المدرس والتاجر والداعية) اقتداءً حيًّا ومعاصرًا بالرسول الكريم ﷺ وصحابته، ثانيهما: اختيار الحركة للتعليم لبناء ما يسمى "بالنموذج الذاتي"، أي بناء الإنسان وتربيته على القيم الإسلامية لتحقيق "مهمة التبليغ"، التي يعتبرها الأستاذ فتحُ الله كولن المهمة الأساسية لكل مسلم في الحياة.

وفي سبيل ذلك ظلت الحركةُ محافِظةً على استقلالها وعدم تبعيتها لأيّ دولة أو منظمة؛ يقول الأستاذ مصطفى يِشِيل -رئيس وَقْف الكتّاب والصحفيين في تركيا، الذي يرأسه كولن فخريًّا-: "فكما أن الحركة لم تكن في يوم من الأيام تابعة لإرادة أي بلد في الخارج، كذلك هي لا تتبع لإرادة أي مؤسسة أو منظمة في

الداخل. فهي حركة مستقلة لا تخضع لإرادة وسيطرة أي دولة أخرى في العالم. وهي تتميز باستقلاليتها التامة من كل النواحي، من حيث مواردها ومنهجها في الفكر والعمل ومسيرتها في هذا الدرب، ومن حيث برامجها ومشاريعها المختلفة. وتلك الاستقلالية الشاملة هي أهم ميزة تتميز بها الحركة"[٢٧].

ومن السمات البارزة في الحركة التفاني في الخدمة والفناء عن الذات؛ يقول الأستاذ أنس أَزْكَنَه: "إنّ مفهوم "الخِدْمة" في هذه الحركة يتوجَّه إلى رُوح نذْرِ النفس في الإنسان لخدمة المجتمع، والتدين الاعتيادي لا يستطيع حَمْل مثل هذه التضحية والصبر عليها، لأن حدود التدين الاعتيادي معلومة؛ فلكل مِن الصلاة والصوم والزكاة والحج... إلخ، حدوده ومقداره وحجمه وإطاره، أمّا مفهوم "الخدمة" في هذه الحركة فهو يَعرض شمولاً أوسع وديمومة أكبر، وعند ذِكر "رَجُل الخِدْمة" يتبادر إلى الذهن صورة إنسانٍ ناذرٍ نفْسَه للإنسانية وللتضحية والإيثار، وذي قَلْبٍ واسعٍ يحتضن البشرية كافة. وهذا الأمر يستوجب حبًّا كبيرًا للدين وللأمّة وللإنسانية، لذا فإنّ الذين احتضنوا الحركة كانوا مستعدِّين دائمًا للتضحية بالغالي والنفيس في سبيل كسب رضى ربِّهم بحبٍّ عميق وإيمانٍ راسخ"[٢٨].

٢- أهداف حركة كولن

يؤكِّد الأستاذ فتح الله كولن على أنه قَبل القيام بأيّ نشاط أو عمل، يجب تحديد الهدف والغاية، حتى لا تغلَّ الوسائلُ يد الإنسان وتربطه بها، وأن

nesemat.com نسمات nesemat.com

لا تكاد توجد مدرسة تابعة لحركة كولن في أيّ دولة من دُول العالَم إلا ويوجد معها مركز للثقافة والحوار سواء في أوروبا أو في آسيا أو إفريقيا.

يكون الهدف واضحًا حتى لا تتعدد الأهداف ويظهر الاضطراب والفوضى، وأن يظل الهدف حاضرًا في بؤرة الشعور والوجدان، حتى لا ينحرف النشاط عن الهدف، مثلما ينحرف الإنسان الذي نسي الغاية من وجوده وخلقه ويعمل ضد نفسه ويضرُّها[٢٩].

ويمكن اختزال أهداف الحركة في هدف واحد وهو العمل طلبًا لرضا الله ﷻ، فقد جَعل كولن رضا الله تعالى على قائمة الأهداف التي تسعى إليها الحركة في خدمتها للحق والخلق، بل إنَّ كل الأهداف الإضافية تستحيل إلى عدّة وسائل إزاء هذا الهدف الحقيقي؛ حيث يقول: "وحسَب المنظور الإسلامي، يُعَدُّ المقصود حاصلاً بنوال الهدف البدهي لكل حركة أو انطلاقة، وهو رضا الله تعالى. وسواء بعد ذلك إن تحققت نتيجةُ الخدمات المقدَّمة باسْمِ أمّتنا بارتقائها إلى المكان اللائق بها في التوازن الدولي، أو لم تتحقق؛ فإن المؤمن يسعى لنوال رضاه تعالى في كل خدمة إيمانية وكل فعالية دعوية. فبهذه النظرة يتحول غيرها من الأهداف إلى أهداف إضافية واعتبارية وإلى مجردِ وسائلَ تؤدي إلى الهدف الحقيقي"[٣٠].

وتَمثُّلُ هذا الهدف دائمًا كفيل بحماية الحركة من عوامل الانهيار والسقوط؛ يقول كولن: "يجب

الفُرقة والكراهية والتعصب والاستقطاب ونفي الآخَر، تتنافى مع روح الإسلام وإنسانيته، ولقد اتخذت الخدمة من "الحِوار" قاعدة إسلامية للتفاهم، وسبيلاً للتعايش السلميّ، والاحترام المتبادل محليًّا وعالَميًّا.

nesemat.com نسيمات nesemat.com

أن يكون الخالق العظيم، وابتغاءُ مرضاته هدفَ صاحبِ كل دعوة، وإلا دخلتْ إلى الساحة الكثير من الأصنام، وتلبَّس الباطلُ بلباس الحق، وظهرتْ الأهواء والشهوات في مظهر الفكر، وارتُكبتْ جرائم عدّة باسم الجهاد"[٣١]، "وبمقياس وضْعِ رضا الله تعالى كغاية الغايات ستهب في المقابل عنايته ورعايته وحمايته"[٣٢].

المحور الثالث: آليات الخدمة في الدعوة والإصلاح

شهد العالَم الإسلامي العديد من الدعوات والحركات التي حملتْ شعارات الإصلاح والتجديد إلا أنها في معظمها لم تؤت ثمرتها المرجوّة ولم تحقق الغاية المنشودة، وذلك لعدة أسباب؛ من أهمها الخلل في الرؤية وفقدان التوازن بين عوامل النهوض، واختزال الإصلاح في أحد أبعاده الاقتصادية أو السياسية أو الإدارية...إلخ، والخضوع لضغط ذلك البُعد؛ كتلك الحركات التي ترى -على سبيل المثال- أنّ الإصلاح لا يكون إلا من خلال السياسة، وأنها هي وحدها الكفيلة بحل جميع المشكلات، فتخوض في هذا المجال صراعًا يُنهك قواها لتعود في النهاية بخُفَّي حُنين. وكذلك ظهرت حركات تركِّز على جوانب تتعلق بالدين؛ مثل محاربة البدع والتخلُّف. وهناك من دعا إلى الحداثة واتخاذ الوسائل العصرية وتقليد مظاهر الحضارة الغربية، إلى غير ذلك من الدعوات الإصلاحية، التي لم تخْلُ -مهما كانت أهدافها- من عوادي الزمن ومعاول الهدم.

وتتميز رؤية كولن للإصلاح والتجديد بأنها تنطلق من الإدراك الكامل لقضية الخاتمية والخلود والعالَمية للرسَّالة الإسلامية، والذي يعني القدرة على العطاء والإنتاج المتجدد للنماذج في المجالات المتعددة، والصلاحية لكل زمان ومكان. ومن ثم فهو يرفض الفكر التجزيئي، ويبني مفهومه للإصلاح على رؤية متكاملة، شاملة لجميع أنشطة الحياة، تتشكل تلك الرؤية في ضوء الإمكانات المتاحة، ووسائل تطويرها والارتقاء بها وتعظيم دورها. وكولن شمولي الفكر والفهم لِكُنه الإسلام، أوتيَ حظًّا وافرًا مِن سَعة الأفق وبُعد النظر؛ وقد قال لنا أحد تلامذته: "الأستاذ شموليّ الفكر، لا يدركه إلا من كان شموليًّا مثله"[٣٣].

وقد قامت حركة كولن بتنفيذ تلك الرؤية من خلال الآليات التالية:

١- وسائلُ حَرَكةِ كولن في مُكافَحةِ الجَهْل

الجهل هو أكبر عدو للإنسان وأساس انتكاسته، وأخطر شيء على دعوة الإسلام؛ لأنه يَحرم الإنسان مِن التعرُّف على خالقه وحُسن التعريف به، ويحجب عنه الوعي بأمور دينه ودنياه، بالصورة الصحيحة الملائمة التي تنهض به وبدينه وأمّته؛

ولهذا كانت أوّل آيات الذكر الحكيم نزولاً، تشتمل على دعوة صريحة إلى القراءة والتعلم؛ قال تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾(العلق:١-٢).

من هذا المُنطلق كَثّفتْ حركةُ كولن جهودها، مِن أجْل استنقاذ الأمّة من براثن الجهل، وإعداد "الجيل المنشودّ" الذي يتمكن باقتدار من حمل مشاعل الهداية إلى أرجاء الدنيا، مِن خلال وسيلتين عظيمتين هما التعليم والإعلام؛ أمّا التعليم فهو الآليّة المركزية في بلوغ المقاصد الكبرى لحركة گُوْلَن، وهو قناة التواصل الأساسية للرؤى التي تحملها، والقيم والأفكار التي تبشِّر بها. وكانت أول مَدرسة تم فتحها بتشجيعات الأستاذ فتح الله كولن لأصحاب الهمّة العالية هي "مدرسة يامَنْلار الخاصة للعلوم الطبيعية" Yamanlar College في محافظة إزمير بغرب تركيا سنة ١٩٨٢، بعد ذلك مباشرة "مدارس فاتح الخاصة" في إسطنبول، ثم "مدارس سمانيولو" في أنقرة، وهكذا حتى وصل عدد هذه المدارس في تركيا إلى أكثر من ألف مدرسة. كما تم فتح مدارس في دول أخرى خارج تركيا منذ بداية التسعينات، وتحديدًا في عام ١٩٩١ وذلك في آسيا الوسطى إثر انهيار الاتحاد السوفيتي[٣٤]، ثم امتد نشاطها إلى معظم دول العالَم. والهدف من هذه المدارس هو غرس العلم مع القيم المنبثقة من الإيمان يقول الأستاذ أنس أركنه: "ومع أن هذه المدارس دون شك لا تركز على العلوم الدينية، لكنها تضع وحدة القلب والعقل في مركز نظامها التعليمي ومنظومتها

لابد من ترجمة الأفكار والمناهج الدعوية إلى برامج ومشروعات حضارية كبرى تُخاطِب العالَم أجمع؛ لأن توقّف العقل المسلم عن الحركة والامتداد يُحدِث فراغًا يتيح "للآخَر" أن يتمدد فيه بمناهجه وبرامجه وأفكاره.

nesemat.com نسمات nesemat.com

العلمية والفكرية. وبتعبير آخر: فهي تسعى إلى تأكيد ضرورة كون الإنسان متلائمًا مع المجتمع ومع البيئة ومع الخالق سبحانه. تسعى إلى وضع أنموذج إنسان، ومجتمع يحترم تاريخه وتقاليده وجذوره الإيمانية وهويته الاجتماعية، مع فكر علمي حديث، ومنفتح على كل جديد، يثق بنفسه وبمستقبله. لذا لم تكن هذه المدارس -بكوادرها النشطة والموفقة والمعاصرة- ناجحة في تركيا فقط بل في كل بلد عملت فيه"[٣٥].

وهذه شهادة من أحد أساتذة الفاتيكان في روما وهو السيد توماس ميتشل س . ج حيث يقول: "إنني لستُ عضوًا في حركة كولن ولا حتى مُسْلمًا، ولكن أتيحت لي الفرصة لزيارة العديد من تلك المدارس في عدد من الدول، ومقابلة فريق العمل الإداري الخاص بالتدريس، كما التقيتُ بطلاب مسلمين وغير مسلمين وبآبائهم، والتقيتُ بمعلمين غير مسلمين في هذه الأماكن. وعندما أقرأ المُثُل التي يُعبِّر عنها كولن في كتاباته، أجدها تطبَّق بشكل مؤثر في حياة الأشخاص المنتمين إلى الحركة، وهم أناس عصريون ومطلعون بشكل جيد على العلوم الدنيوية، لكن لديهم اهتمام حقيقي بالقيم الروحية والإنسانية، وهي نفس القيم التي يسعون إلى نقلها للطلاب

nesemat.com نسيمات nesemat.com

إنّ "مدارس الخِدمة" -في رأيي- هي الدليل الأكثر فاعلية على صحة جهود كولن للتوفيق بين الحداثة والقيم الروحية، فهي إحدى الجهود التعليمية الرائعة الواعدة في العالَم في وقتنا الراهن.

من خلال سلوكهم الشخصي، وهم يقدِّمون تعليمًا ممتازًا، يجمع بين أحدث التكنولوجيات المتقدمة وبين تشكيل الشخصية والمُثل العليا. إنّ "مدارس الخِدمة" -في رأيي- هي الدليل الأكثر فاعلية على صحة جهود كولن للتوفيق بين الحداثة والقيم الروحية، فهي إحدى الجهود التعليمية الرائعة الواعدة في العالَم في وقتنا الراهن"[٣٦].

وقد احتضنت الحركة طلابها في جميع مراحلهم التعليمية من الروضة إلى الثانوية، وأنشأت بيوتًا للطلبة ومراكز للتقوية ومعاهد تحضيرية لمرحلة الجامعة، وجامعات أيضًا في تركيا وخارجها، ومن أشهرها جامعة الفاتح في اسطنبول، وكذا أكاديمية لتقوية طلبة كلية الإلهيات.

وبهذه اللغة العالمية؛ لغة التربية والتعليم، استطاعت حركة كولن أن تُعبِّر من خلالها عن مبادئ سامية، وأن تُقدِّم مثالاً حيًّا للمسلم الناضج، المنفتح على العالَم والمحب للإنسانية، الذي هو كالغيث حيثما حَلَّ نَفع.

وبما أن "الإعلام" قد أصبح سحر عصرنا الحاضر بوسائله التقنية، وفنونه المختلفة، وسرعة بثّه، وقوة تأثيره ونفوذه، وبراعته في تزيين ما يريد تزيينه، وتشكيل ما يريد تشكيله مِن أفكار وقناعات واهتمامات، فقد أدرك الأستاذ فتح الله كولن مبكرًا، وبحكم تجربته التربوية، وتفهمه لقضايا ومشكلات مجتمعه، أنه لم تعد الأسرة والمدرسة وحدهما عُنصري التربية الرئيسين للطفل والشباب، وسائر أفراد المجتمع؛ فقد صار الإعلام هو الآخر شريكًا أساسيًا في صياغة الإنسان، كما هو وسيلة أساسية من وسائل نشر الفكر والدعوة؛ لهذا قررت حركةُ كولن خوض هذا المجال بكل أبعاده؛ مِن أجْل تسخيره لخدمة الحق والخير، وتقديم البديل المتفوِّق الذي يُخَلِّص الناس مِن أسْر التبعية، ويوفِّر المناخ المناسب لعملية اليقظة، والتحوُّل من مجتمع الغفلة والسبات إلى مجتمع الصحوة والبصيرة، وذلك من خلال صحيفة محايدة تتبنى قضايا الناس وهي صحيفة "زمان" التي تأسست عام ١٩٨٦، ثم تتطوَّرت حتى أصبحت تحقق أعلى معدل توزيع بين كل الصحف في تركيا، كانت زمان أول صحيفة تركية يكون لها موقع إلكتروني على شبكة المعلومات الدولية (الإنترنت) منذ عام ١٩٩٥، و في يناير عام ٢٠٠٧ صدرت النسخة الإنجليزية من صحيفة زمان وتُعرف باسم "زمان اليوم" (Today's Zaman)، كما كان يتم توزيع طبعات دولية خاصة بلغات متعددة في كل من آسيا وأوروبا وأمريكا، وكانت تصدر عن مجموعة "زمان" أيضًا، مجلة إخبارية أسبوعية تُسمى "أكسيون" ومجلة أكاديمية تصدر كل شهرين Turkish Review.

وإذا كان أسلم طريق للوصول إلى نبأ صحيح

في أسرع وقت هو اختيار مصدر موثوق وفاعل والاعتماد عليه؛ فقد قامت حركة كولن في عام ١٩٩٢ بتأسيس وكالة للأنباء تُعرف باسم "جيهان"[٣٧]، وقد نجحت "زمان" و"جيهان" في صُنع إعلامٍ نظيف يقتعد غارب الحداثة والتكنولوجيا ويحافظ في الوقت ذاته على قيم الإسلام ومبادئه.

كذلك قامت الحركة بإصدار عدد من المجلات داخل تركيا وخارجها تهدف إلى تربية جيل على أساس علمي إيماني؛ مثل: مجلة "سِيْزِنْتِي" (Sızıntı) أيْ: الرشحة أو النفحة. ومجلة "يني أوميت" (Yeni Ümit) أيْ: الأمَل الجَديد و مجلة "يَغْمور" (Yağmur) أيْ: الغيث، ومجلة حراء وغيرها.

وبما أن دور النشر هي أحد الأدوات المهمة التي يمكن من خلالها طباعة ونشر وتوزيع المادة الدعوية المكتوبة إلى مختلف أنحاء العالَم، فقد تمكنتْ حركة كولن من امتلاك أكبر دار للنشر في تركيا تمتد فروعها إلى دول عدة في الشرق والغرب؛ وتُعرَف باسْم: "مجموعة قاياناق للنشر الثقافي" Kaynak Kültür Yayın Grubu، و"قاياناق" كلمة تركية تعني المورد أو الينبوع. كما ساهمت الحركة في مجال الإعلام المرئي والمسموع بإنشاء محطة تلفزيون "سَمَانيولو"[٣٨] (Samanyolu) أيْ: المجرّة أو درب التبانة، أو كما يطلِق عليه المشاهدون STV، وبدأت إرسالها في ١٣ يناير عام ١٩٩٣. ومن الوسائل الإعلامية المهمة التي استخدمتها حركة گُوْلَن في نشر الدعوة ودعم مساراتها العلمية والعملية والفنية؛ المؤتمرات والندوات الدولية؛ وذلك مِن خلال مناقشة

من سمات الخدمة أنها ليست تكرارًا أو امتدادًا لأي حركة من الحركات، بل تؤكِّد في مختلف أعمالها على أنها "حركة نماذجها من ذاتها". فهي أنشأت نماذجها الذاتية واختارت التعليم لبناء الإنسان وتربيته على القيم الإسلامية.

nesemat.com نسمات

مشكلاتها والعقبات التي تعترضها وكل ما يهمها.

مما سبق يتضح أن حركة كولن قد استفادت من كل وسائل العصر الحديث، وجدَّدتْ مفهوم التبليغ التقليدي المعتمد على الوعظ في المساجد وعلى أعواد منابرها، واتَّخذت من الصحف والمجلات والإذاعة والتلفاز والإنترنت، منابر عصرية تنشر من خلالها رسالة الدعوة والثقافة الإسلامية، عملاً بوصية الأستاذ فتح الله كولن الذي أكد على أهمية أن يكون هناك فريق يؤنس وحشية الصحف والمجلات والراديو والتلفزيون ووسائل الإعلام القوية، ليجعلها صوتًا ونفَسًا للدين والملّة من وجهة، ويرشد بها من وجهة أخرى الأحاسيس السوداء والأفكار القاتمة والأصوات المدلهمة إلى سبيل الصيرورة الإنسانية"[٣٩].

٢- وسائلُ حَرَكةِ كولن في مُكافَحةِ الفَقْرِ

الفقر هنا يمكن تعريفه بأنه ذلك الحرمان المادّي الذي يترتب عليه التدنِّي في كافة المستويات؛ فعلى المستوى الديني مثلاً نجد بعض الناس في الدول الأشد فقرًا، يُبدِّلون دينهم إرضاءً لمن يُقدِّم لهم الغذاء والكساء والدواء، وهناك من يشك في حكمة الخالق لِما يراه من سوء توزيع للثروة، ولهذا رُوي عن النبي ﷺ أنه قال: "كَادَ الْفَقْرُ أَنْ يَكُونَ كُفْرًا".

إذا كان الحوار والتعارف والتعاون المشترك هو أحد الأبعاد المهمة للفعاليات المتعددة التابعة لحركة كُوْلَن؛ فإن هذا البعُد في الأصل يخدم بُعدًا أكبر وهدفًا أسمى وهو تبليغ دين الله تعالى إلى آفاق الدنيا.

nesemat.com نسيمات nesemat.com

(رواه البيهقي في شعب الإيمان والطبراني في كتاب الدعاء) ونظرًا لِما يشكِّله الفقر من خطورة عظيمة على كافة المستويات والأصعدة، فقد عملتْ حركة كولن على الإسهام بشكل فعّال في معالجة تلك المشكلة، والحد من آثارها السلبية على الفرد والمجتمع والأمَّة؛ وذلك من خلال عدة مشروعات كان من أهمها: جمعية الإغاثة العالمية "كِيمْسا يوكْمُو"[٤٠] (Kimse Yok Mu) أيْ: "هل من مغيث؟" للتضامن والمساعدة؛ التي تأسست في ١٣ يناير عام ٢٠٠٢، وأخذتْ تواصل أنشطتها الخيرية وفعالياتها التطوعية في محافظات تركيا الواحد وثمانين، عبر أربعين فرعًا لها، وكانت تُقدِّم أنشطتها الخيرية لملايين الأشخاص في ١١٣ دولة حول العالم، من خلال مائتين وثمانية آلاف متطوع، وما يزيد عن ثلاثة ملايين متبرع؛ لتستحق نيل جائزة "الخدمة الفائقة" من الأمم المتحدة عام ٢٠٠٨، كما حصلتْ على مقعد عضو استشاري في المجلس الاقتصادي والاجتماعي بالأمم المتحدة (ECOSOC)، وهي المؤسسة التركية الوحيدة التي تعمل منذ عام ٢٠١٠ وحتى اليوم، بالتعاون مع المفوضية العليا للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين (UNHCR) من أجل توفير احتياجات اللاجئين في تركيا في مجالات مثل التعليم والصحة والغذاء.

وقد اكتسبت صفة "الجمعية العاملة للصالح العام" بقرار مجلس الوزراء الصادر في ١٩يناير ٢٠٠٦، كما حصلتْ بقرار مجلس الوزراء الصادر في ٦ فبراير ٢٠٠٧ على صلاحية "جمع التبرعات دون تصريح". وفي عام ٢٠١٤، كانت "كيمسا يوكمو" هي الأولى من بين مؤسسات المجتمع المدني التركية، التي دخلت ضمن قائمة أفضل مائة مؤسسة مجتمع مدني خيرية على مستوى العالم، في التصنيف الذي أعدته مؤسسة جنيف الفكرية الدولية[٤١].

٣- وسائلُ حَرَكةِ كولن في مُكافَحةِ الفُرْقَةِ

"الفُرقة" إحدى المعضلات الرئيسة التي تعاني منها أمَّة المسلمين، وهي عند حركة كولن إحدى زوايا مثلث التخلف الحضاري الذي يضم أيضًا "الجهل" و"الفقر"؛ والذي نذرتْ الحركةُ نفسها لمكافحته، لأن الفُرقة والكراهية والتعصب والاستقطاب ونفي الآخَر، هي كلها أجواء غير مناسبة للدعوة إلى الله تعالى، وتتنافي مع روح الإسلام وسماحته وإنسانيته، ولمكافحة الفرقة اتخذت حركة كولن من "الحِوار" قاعدة إسلامية للتفاهم، وسبيلاً للتعايش السلميّ، والتعاون المشترك والاحترام المتبادل محليًّا وعالَميًّا. وقد فَعَّلتْ حركة كولن لغة التسامح والحوار من خلال عدة آليات منها:

أ- وَقْفُ الصحفيين والكُتَّاب

هي مؤسسة خيرية جمعوية، يدل عليها وصفُها بالوقف، هدفُها حَلّ النزاعات وإرساء ثقافة الحوار، وهي ذات مقاييس عالمية عالية حيث أصبحتْ هيئة

استشارية تابعة للأمم المتحدة، وقد أنشئت بتشجيع من الأستاذ فتح الله كولن عام ١٩٩٤، بل هو الذي خط لها خطواتها الأولى بنجاح، فكانت البداية في تركيا، ثم ما لبثت أن صارت عالمية بكل المقاييس.

ب- مؤسسات الحوار العالمية

بعد نجاح مؤسسة "وقْف الصحفيين والكتَّاب" في خلق حالة مِن الوئام والتناغم والسلام المجتمعي؛ قررتْ حركةُ كولن تعميم الفكرة وتأسيس مراكز ومنتديات في كثير من دول العالَم من أجْل الحوار والتعارف والقضاء على الاستقطاب والعداء والتعصب بين الطوائف والجماعات، واتخاذ التدابير الملائمة لتعزيز السلم العام وتحقيق الأهداف في تعزيز وتشجيع احترام الأديان وحقوق الإنسان والحريات الأساسية للجميع دون تمييز أو تفرقة على أساس الدين أو الثقافة أو العِرق أو الجنس أو اللغة؛ ويوجد في الولايات المتحدة الأمريكية وحدها أكثر من خمسين مركزًا ومنتدى للحوار تابعين للحركة، مثل معهد جُزُر السلام "Peace Islands Institute" PII في كل من نيويورك ونيوجرسي وبنسلفانيا، و"منتدى الرومي" لحوار الأديان والتفاهم بين الثقافات (Rumi Forum) ومقره العاصمة واشنطن، والحقيقة أنه لا تكاد توجد مدرسة تابعة لحركة كولن في أيّ دولة من دُول العالَم إلا ويوجد معها مركز للثقافة والحوار سواء في أوروبا أو في آسيا أو إفريقيا.

جـ- رحلات الحوار بين الأديان

لا تتوقف حركة كولن عند الوسائل التقليدية للحوار والتقارب مع الآخَر؛ ولكنها تبتكر أفكارًا

نسمات nesemat.com

أسست حركة كولن في عام ١٩٩٢ وكالة جيهان للأنباء، تُزود "زمان" وغيرها بالجديد من الأنباء، وقد نجحتا في صُنع إعلامٍ نظيف يقتعد غارب الحداثة والتكنولوجيا ويحافظ في الوقت ذاته على قيم الإسلام ومبادئه.

وبرامج جديدة وجذابة، ومن هذه البرامج المبتكرة برنامج يُدعَى: "Be Muslim for a month" أيْ: "كُن مسلمًا لمدة شهر"؛ وهو برنامج سياحي يُقدِّم دعوات لسيّاح غربيين غير مسلمين ليقضوا شهرًا في إسطنبول، وغالبًا ما يكون في شهر رمضان حيث الروحانيات المرتفعة، وخلال هذه الرحلة يعيش السائح الغربي الحياة الإسلامية بكل تقاليدها، ويتم دعوته لحضور الصلوات الخمس، وزيارة الآثار الدينية في تركيا، والاستماع إلى محاضرات بعض من اعتنق الإسلام من الغربيين لعرض تجربتهم وكيف ساعدهم الإيمان على سعة الأفق والتفاعل مع العالَم، ولمزيد من التقارب والتعارف تستضيفه بعض الأسر التركية الملهَمة بفكر الأستاذ فتح الله كولن. والهدف من هذا البرنامج هو تحسين صورة الإسلام لدى الغرب التي شوهها المغرضون، والقضاء على ظاهرة "الإسلاموفوبيا"، والسعي نحو مزيد من الشعور بالوحدة بين الناس. تقول الباحثة الأمريكية هيلين روز: "منذ عام ٢٠٠٥ أصبح مئات الأمريكيين مطلعين على حركة كولن نتيجة للمشاركة في رحلات الحوار بين الأديان إلى تركيا التي ترعاها مؤسسات تابعة لحركة كولن، ونشأت تلك الرحلات في هيوستن وتكساس وانتشرت في أنحاء الولايات

nesemat.com نسمات nesemat.com

يمكن اختزال أهداف الخدمة في هدف واحد وهو العمل طلبًا لرضا الله ﷻ، فقد جَعل كولن رضا الله تعالى على قائمة الأهداف التي تسعى إليها الحركة في خدمتها للحق والخلق.

المتحدة، ويتعرف المشاركون في الرحلات -التي تتراوح مدتها من ثمانية أيام إلى عشرة- على المواقع التاريخية والثقافية والدينية في تركيا، وتوفير فرصة للتفاعل مع عائلات مسلمة، وليس الغرض من تلك الرحلات بأي شكل من الأشكال التعبئة للحركة، بل هي رحلات يتم تنظيمها للترويج للحوار بين الأديان"[٤٢].

وميزة هذا البرنامج أنه يعتمد على الاحتكاك المباشر ومعايشة الحياة الإسلامية عن قرب، فالتأثير فيه أعظم والصدق فيه أبين من كل كلام يمكن أن ينشر في كُتب أو يدبج في مقالات أو يذاع في مؤتمرات، وهذا ما جَعل الدكتور أحمد محرّم مدير هذا البرنامج في مؤسسة "وقف الصحفيين والكتّاب" يستشهد بالمثل الإنجليزي القائل: "إذا كلّمتني فسأنسى، إذا رأيتني ربما أتذكر، إذا شاركتني فلن أنسى"[٤٣]. وإذا كان الحوار والتعارف والتعاون المشترك هو أحد الأبعاد المهمة من وراء الفعاليات المتعددة للمؤسسات التابعة لحركة گُوْلَن؛ فإن هذا البُعد في الأصل يخدم بُعدًا أكبر وهدفًا أسمى وهو تبليغ دين الله تعالى إلى آفاق الدنيا، لأن جميع الفعاليات التي تقوم بها الحركة في شتى المجالات هدفها إبراز جمال الإسلام وعظمته، ودون أن تُبرز محاسن الإسلام وعظمته لا يمكن أن توصل شيئًا للآخَرين، ولا يمكن أن تحبب الناس في هذا الدين، وإنما يتم هذا من خلال إظهار الإنسان المهذب النبيل النموذجيّ. هذه هي خلاصة فكر الأستاذ فتح الله كولن وحركته الذي استطاعت من خلاله أن تشكِّل طلائع متقدمة للأنموذج الإسلامي الذي يثير الاقتداء ويُغري بالاتّباع.

الختام

ختامًا نخلص من هذه الدراسة إلى أنه لابد من ترجمة الأفكار والمناهج الدعوية إلى برامج ومشروعات حضارية كبرى تُخاطِب العالَم أجمع؛ لأن توقّف العقل المسلم عن الحركة والامتداد يُحدِث فراغًا يتيح "للآخَر" أن يتمدد فيه بمناهجه وبرامجه وأفكاره. ■

الهوامش

(١) فتح الله كولن، ترانيم روح وأشجان قلب، دار النيل، القاهرة، ط٦، ٢٠١٣، ص١٩٤.

(٢) أَرْطُغْرل حكمة، فتح الله گولن قصة حياة ومسيرة فكر، دار النيل، القاهرة، ط١، ٢٠١٣، ص٩٠.

(٣) المرجع السابق، ص٢٠.

(٤) فتح الله كولن، شد الرحال لغاية سامية، دار النيل، القاهرة، ط١، ٢٠١٥، ص٢٢٩.

(٥) ذكر الأستاذ كولن في درس له بعنوان: "ثنتان من المؤيّدات للحفاظ على نشاط الحياة الدينيّة" أنه كان في الرابعة عشرة عندما وعظ للمرة الأولى في مسجد قريته. ينظر: www.herkul.org.

(٦) عبد الرحيم بن محمد المغذوي، الأسس العلمية لمنهج الدعوة الإسلامية دراسة تأصيلية على ضوء الواقع المعاصر، دار الحضارة، الرياض، ط٢، ٢٠١٠، ص٧٤.

(٧) ينظر: فتح الله كولن، طرق الإرشاد في الفكر والحياة، دار النيل، القاهرة، ط٤، ٢٠٠٨، ص١٧٠،١٦٩.

[٨] فتح الله كولن، أضواء قرآنية في سماء الوجدان، دار النيل، القاهرة، دار النيل، القاهرة، ط٥، ٢٠١٠، ص١٩٩

[٩] فتح الله كولن، طرق الإرشاد، مرجع سابق، ص٨٧.

[١٠] المصدر السابق ص١٢٥.

[١١] فتح الله كولن، أضواء قرآنية، مرجع سابق، ص١١٧.

[١٢] فتح الله كولن، طرق الإرشاد، مرجع سابق، ص١٥٩.

[١٣] المصدر السابق، ص١٥٨.

[١٤] المصدر السابق، ص١٢٦.

[١٥] فتح الله كولن، طرق الإرشاد، ص١٦٣.

[١٦] عليكم بالبصيرة، من دروس الأستاذ فتح الله كولن المترجمة والمنشورة على الموقع الإلكتروني (هِرْكُل) www.herkul.org

[١٧] فتح الله كولن، طرق الإرشاد، مرجع سابق ص١٤٩.

[١٨] المصدر السابق، ص١١٥.

[١٩] ينظر: أسئلة العصر المحيرة، للأستاذ فتح الله كولن، دار النيل، القاهرة، ط٤، ص١٥/١٣ و ٥٩/٥٨.

[٢٠] ديوان أبي الطيب أحمد بن الحسين المتنبي، دار بيروت، ١٩٨٣، ص٥٢٤ .

[٢١] نقلا عن الأستاذ جمال ترك أثناء ملتقى حراء للأكاديميين والباحثين في فكر فتح الله كولن ونموذج الخدمة ٢٣ -٣٠ ديسمبر ٢٠١٣ إسطنبول.

[٢٢] موشور للأستاذ كولن، مجلة حراء، العدد: ٤٠ ص٣٢.

[٢٣] فتح الله كولن، ونحن نقيم صرح الروح، دار النيل، القاهرة، ط٤، ٢٠٠٨، ص٢٣.

[٢٤] هيلين روز ايبَو، حركة كولن تحليل سوسيولوجي لحركة مدنية جذورها الإسلام المعتدل، تنوير للنشر والإعلام، القاهرة، ط١، ٢٠١٥، ص١٠٤.

[٢٥] ألب أصلان دوغان، ما هي حركة كولن؟ من مقال منشور على موقع حركة الخدمة الإلكتروني.

[٢٦] م. حاقان يافوز، نحو تنوير إسلامي: حركة فتح الله كولن، ترجمة: شكري مجاهد، منتدى العلاقات العربية والدولية، قطر، ط١، ٢٠١٥، ص١٠٩.

[٢٧] مِن حوارٍ صحفي مع الأستاذ مصطفى يشيل بعنوان: "حركة الخدمة ليست طرفًا سياسيًّا ولا تعادي أحدًا"، في ٢٠١٤/١/١٨ على الموقع الإلكتروني لوكالة جيهان للأنباء https://ar.cihan.com.

[٢٨] أنس أركنه، فتح الله كولن جذوره الفكرية واستشرافاته الحضارية، دار النيل للطباعة والنشر، القاهرة، ط١، ص٥٠/٥١.

[٢٩] ينظر: فتح الله كولن، الموازين أو أضواء على الطريق،دار النيل، القاهرة، ط٣، ٢٠٠٦، ص٢١/٢٢/٢٣.

[٣٠] فتح الله كولن، ونحن نبني حضارتنا، دار النيل، القاهرة، ط٢، ٢٠١١، ، ص٤٨.

[٣١] فتح الله كولن، الموازين، مرجع سابق، ص٢٢.

[٣٢] فتح الله كولن، أضواء قرآنية، مرجع سابق، ص١١٠.

[٣٣] هو الأستاذ جمال تُرك، وذلك في لقاء على هامش ملتقى حراء، للأكاديميين والباحثين في فكر الأستاذ فتح الله كولن، ونموذج الخدمة (٢٤-٢٩ ديسمبر ٢٠١٣) إسطنبول.

[٣٤] د. علي كرامانلي، نظرة جديدة إلى الوقف والتربية "حركة المثقف والعالم التركي محمد فتح الله كولن نموذجًا"، بحث محكم ضمن مجلة "أوقاف" الكويتية، العدد: ٢٠، مايو٢٠١١، ص١٢٤

[٣٥] أنس أركنه، فتح الله كولن، مرجع سابق، ص٢٩٣.

[٣٦] توماس ميتشل س.ج.، التصوف والحداثة في فكر فتح الله كولن، وهو بحث ضمن كتاب: السلام والتسامح في فكر فتح الله كولن، إشراف: د/ زكي ساريتوبراك، صـ٦١/٦٢.

[٣٧] أغلقت الحكومة التركية، صحيفة "زمان" ووكالة "جيهان"، بعد أحداث الانقلاب الفاشل عام ٢٠١٦، في إطار حملتها ضد الخدمة.

[٣٨] أغلقت الحكومة التركية أيضًا مجموعة "قاياناق للنشر الثقافي"، ومحطة تلفزيون"سَمانيولو".

[٣٩] فتح الله كولن، ونحن نقيم صرح الروح، ص٣١.

[٤٠] أغلقت الجمعية فيما بعد من قِبل الحكومة التركية.

[٤١] هامش ص١٣٣ من كتاب: حوارات مع الأستاذ فتح الله كولن كلمات شاهدة حول الدين والمجتمع والدولة بأفق إنساني.

[٤٢] هيلين روز، حركة كولن "تحليل سوسيولوجي لحركة مدنية جذورها الإسلام المعتدل، مرجع سابق، ص٢٨و٢٩.

[٤٣] من لقاء مع نائب مدير وقف الصحفيين والكتاب السيد أحمد محرم في مقر الوقف في إسطنبول، وذلك ضمن فعاليات ملتقى حراء للأكاديميين والباحثين في فكر الأستاذ فتح الله كولن ونموذج الخدمة، في الفترة من ٢٣-٣٠ ديسمبر ٢٠١٣ بإسطنبول.

سنة المداولة
في بناء الروح والحضارة

سعيد الغزاوي

أ.د. سعيد الغزاوي، أستاذ التعليم العالي في المغرب، دكتوراه الدولة في الأدب سنة ١٩٩٦، جامعة الحسن الثاني بالمغرب، وعضو المكتب الإقليمي بالمغرب لرابطة الأدب الإسلامي العالمية منذ سنة ١٩٩٧، وعضو هيئة تحرير مجلة المشكاة منذ سنة ١٩٩٢. من مؤلفاته: "مقالات في النقد الإسلامي: تأصيل وتجريب" سنة ١٩٩٩، "المداولة في أعمال عماد الدين خليل: دراسة في التنظير والإبداع" عن منشورات المعهد العالمي للفكر الإسلامي سنة ٢٠٠٢

تقوم هذه الدراسة على اختبار فرضية ألحَّ عليها الأستاذ كولن كثيرًا في أدبياته، وهي "أهمية بناء صرح الروح قبل بناء صرح الحضارة" وذلك من خلال قراءة كتابي "ونحن نقيم صرح الروح" "ونحن نبني حضارتنا" للأستاذ فتح الله كولن حيث اعتبر الكاتب أن الأول بمثابة المقدمة للثاني، وأن أسبقيته تسجل وعيًا عميقًا عند الأستاذ كولن بالعلاقة الجدلية بين البناء الحضاري والروحي، وعيًا مستوعبًا من قراءته المسددة للقرآن الكريم.

كما أشار الكاتب إلى أنه انطلق في هذه الدراسة مسترشدًا بمفهوم مفتاحي عبر عنه الأستاذ فريد الأنصاري بقوله: "من القرآن إلى العمران"، وانتهى إلى الإقرار بنجاعة العدة المنهجية التي أمده بها المرحوم فريد الأنصاري حين دعا إلى بدء كل عمران حضاري بالعمران القرآني وإلى التحقق من صدق فرضية "البدء بالبناء الروحي" قبل بناء صرح الحضارة، وهو البناء المستمد من هدي القرآن الكريم المبشِّر بوراثة الأرض لعباده الصالحين المصلحين.

كلما هممت بإنجاز دراسة عن الأستاذين بديع الزمان النورسي وفتح الله كولن إلا وأجد روح وفكر المرحوم فريد الأنصاري تقدم لي مفاتيح لفهم أعمق لفكرهما باعتبارهما من خدام القرآن الكريم المتوسلين به إلى قراءة مسددة للعالم والحضارة من حولنا.

ولعله بكتابه "مفاتيح النور"وروايتيه "آخر الفرسان "و"عودة الفرسان "كان يرشدنا إلى فروسية من لون جديد، هي فروسية الفكر والبناء الحضاري.

وأنا في هذه القراءة سأضيف مفتاحًا آخر من عدة المرحوم فريد الأنصاري مستمدًّا مما يقدمه تبصرة ومنهجًا للقراءة، أما منطلقه فمن القرآن إلى العمران، يشرحه قائلا: "لا نبني بناء، ولا نعمر تعميرًا، إلا على أساس من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، إن القرآن العظيم تصميم رباني راق لبناء فخم، ما كلف الإنسان إلا بإنجازه، على شموليته وامتداده بدءًا بعمران الإنسان، حتى عمران السلطان". (بلاغ الرسالة القرآنية: من أجل إبصار لآيات الطريق ص١٦).

كما أسمح لنفسي وفق ضرورات المنهج بأن أقدم قراءة لكتاب "ونحن نقيم صرح الروح" باعتباره مقدمة لكتاب "ونحن نبني حضارتنا"، فقد وجدت فيه تأكيدًا للعلاقة الجدلية بين بناء الروح وبناء الحضارة، كما وجدت تفسيرًا لمعنى وراثة الأرض، وهي نواة مركزية في فكر الأستاذ فتح الله كولن أحسن الإشارة إليها الأستاذ علي جولاق في تقديمه للكتاب قائلا: "إنه مرجع تحت الطلب لا يستغني عنه جيل الإحياء والانبعاث، أو من يسميهم الأستاذ

لا يغفل الأستاذ كولن أهمية البناء الفني الجمالي للإنسان والمجتمع والأمة والحضارة، فيعالج إشكاليتها ومواصفاتها وفق التصور الإسلامي المنطلق من التوحيد ومن الكلمة المفتاحية لفتح القلوب "لا إله إلا الله محمد رسول الله".

nesemat.com نسمات nesemat.com

"ورثة الأرض." (ونحن نقيم صرح الروح ص٦).

يعلن الكتاب منذ عنوانه "ونحن نقيم صرح الروح" عن مشروع عمراني عظيم لا يقام على أرض خلاء، وإنما داخل نفس خلاء أو لا تحس بما خصها اللهﷻ به من تكريم، وهيأها له من عمارة جوانية تمكّن صاحبها من وراثة وعمارة الأرض.

هو الكتاب/المشروع، كما يقول الأستاذ علي جولاق مقدم الكتاب، "لتعريف وتعليل نهضتنا الإصلاحية التي تقف على أعتابها، نهضة تتحقق في سياق عودة الشعب برمته إلى جذوره الروحية". وهو بهذه الإشارة يؤكد على الفكرة المركزية التي تهيمن على الكتاب وقد تنسحب على مؤلفاته، فكرة وراثة الأرض كما يصرح بها في أولى مقالات الكتاب "وارثو الأرض "فيقول: "لقد وعد الله بإرث الأرض للصالحين من عباده... وهم ممثلو الروحية المحمدية والأخلاق القرآنية، المنشغلون بالاتحاد والاجتماع، المدركون لأحوال عصرهم، المسلحون بالعلم والفن، المقيمون لميزان الدنيا والعقبى... إنها سنة الله ﴿فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَبْدِيلاً وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَحْوِيلاً﴾(فاطر:٤٤) سنة ثابتة وشريعة فطرية لن

يعلن "ونحن نقيم صرح الروح" منذ عنوانه عن مشروع عمراني عظيم لا يقام على أرض خلاء، وإنما داخل نفس خلاء أو لا تحس بما خصها الله ﷻ به من تكريم، وهيأها له من عمارة جوانية تمكن صاحبها من وراثة الأرض.

nesemat.com نسيمات nesemat.com

تتغير." (ونحن نقيم صرح الروح ص١٤).

سنة التبدل الإيجابي الموصل إلى وراثة الأرض مرتهنة بوعي المجتمعات بهذه السنة أولاً، وبالسعي الجاد في الصالحات ثانيًا، وبالالتفات إلى "الشريعة الفطرية" ثالثًا، حتى لا تتحول نحو سنة التبدل السلبي فتتعرض إلى التبدل داخليا في حياتها المعنوية، فيكون مصيرها إلى الخذلان غدًا، مهما كانت ظاهرة اليوم" (نفسه ص١٤)، ويصبح تبدلاً سلبيًّا ناتجًا عمَّا ارتكبناه من خطأ "من أعظم ما لا يغفره التاريخ: "حين ضحينا بالدين في سبيل الدنيا، طمعًا في عمارة دنيانا وتبنينا فهمًا يرجح الدنيا على الدين ... فوجدنا أنفسنا مذاك أسرى في شباك "الممتنعات"... وضاع الدين وفرَّت الدنيا" (نفسه ص١٥).

نعود مرة أخرى إلى المرحوم الأنصاري مستعينين بواسطته المنهجية، إذ فيها توضيح لفكر الأستاذ كولن والفكر الرسالي عمومًا، وتفهيم لمعنى الحياة، فها هنا لمفهوم (الحياة) حقيقتان: حقيقة الحياة الدنيا، وحقيقة الحياة الأخرى. فأما الحياة الدنيا فأهم خصائصها الجوهرية أنها فانية، فهي محكوم عليها بـ "الفناء"، ومن هنا كانت حياة هذا الكون الحالي إنما هي "الحياة الدنيا"، فهي حياة، نعم، لكنها إلى حين، إنها (دنيا): أي قريبة الأجل، لا خالدة، ولا حتى ممتدة امتدادًا... طوليًّا حقيقيًّا، بالنسبة إلى امتداد "الحياة الآخرة" (بلاغ الرسالة القرآنية ص٩٦/٩٧).

هكذا نفهم حقيقة الحياة فلا نضحي بالحياة الآخرة في سبيل الحياة الدنيا، بل نسعى للخروج من سني التيه الطويلة "لإثبات أننا وارثو الأرض الحقيقيون بفهم الإسلام، مصدرنا الكافي لانبعاثنا المادي والمعنوي، كما هو في أصله، ثم بالانخراط في جموع عباد الله الصالحين" (ونحن نقيم صرح الروح ص١٧).

لا يغادر الأستاذ فتح الله كولن فكرة وراثة الأرض دون أن يدقق في الأوصاف الثمانية لهؤلاء الورثة وهي: الإيمان الكامل، والعشق، والتوجه إلى العلم بميزان العقل والمنطق والشعور، وإعادة النظر في ملاحظاته عن الكائنات والإنسان والحياة، وحرية التفكير وتوقير حرية التفكير، وحلول الشخصية المعنوية والتشاور والشعور الجمعي محل الدهاء، والفكر الرياضي، والجمع بين الفكر الصوفي والبحث العلمي وأخيرا الفكر الفني.

وحتى نطمئن إلى واقعية الرؤية التي يصدر عنها الأستاذ كولن في فكرة وراثة الأرض وأوصاف هؤلاء الورثة يذكر منهم نماذج معاصرة وفقت في الجمع بين إنسان الفكر والعمل الحركي: أحمد حلمي فِيلِيبَهْ لي، ومصطفى صبري، وفريد قام، ومحمد حمدي يازر، وبديع الزمان سعيد النورسي، وسليمان أفندي، ومحمد عاكف، ونجيب فاضل.

إنهم ورثة الأرض الموكول إليهم أمر الإصلاح والبناء، وهم بمصطلحٍ مرادفٍ مفردٍ "مهندس الفكر والروح،

المنفتح على الوجود بقلبه، العامر عقله بشعور العلم، المقتدر على تجديد ذاته كرة أخرى" (نفسه ص٨٣).

وهم مهندسو الروح الربانيون حسب المصطلح الآخر المرادف لورثة الأرض، هكذا تتناسل المصطلحات المرشدة إلى "أهمية القيم الأخلاقية والأعماق الداخلية للإنسان وأهمية الحياة القلبية والروحية لكن لا شبهة أن السبيل للوصول إلى الإنسانية الحقيقية هو هذه القيم" (نفسه ص٨٥).

هؤلاء هم قادة عقبان جيش النور المنوط بهم مستقبل بلادنا والبلاد المرتبطة بشؤوننا، وهم الممثلون السامقون للعلم والفضيلة والأخلاق في أيامنا، والذين نذر أكثرهم نفسه للتربية والتعليم" (نفسه ص١٠٧).

فإذا تساءلنا عن ورثة الأرض هؤلاء، المُعْلُون من شأن عمارة الأرواح، ما هي فلسفتهم في الحياة التي يصدرون عنها؟ فإن الأستاذ فتح الله كولن يخصص مقالة بكاملها لشرح وبيان فلسفة هؤلاء "الذين يعيشون حياتهم مفكرين... ويحتسبون الزمن الحاضر مركزًا استراتيجيًّا لتنفيذ أفكارهم المثالية، ومصنعًا لإنتاج التقنيات الضرورية في هذا السبيل ... فهم من وجهة يطالعون الوجود والزمان في هذا المستوى، ومن وجهة أخرى ينسلخون من ضيق الحياة الجسمانية وينفسحون في رحاب عالم الفكر" (نفسه ص١٢١).

إنها فلسفة شمولية رحيبة إذ "الحال أن نظام الفكر وفلسفة الحياة عندنا رحيبة، تتناول عوالم الوجود، وما عدا الوجود، وما قبل الوجود، فتقيم الأشياء وما عدا الأشياء في كلية، وتعيِّن معالم نمط الحياة في تكامل وإحاطة. فهو نظام يحقق العدالة

ورثة الأرض/ مهندسو الفكر والروح/ مهندسو الروح الربانيون حسب المصطلحات المترادفة الواردة في كتاب "ونحن نقيم صرح الروح"، كلها تؤكد انشغال الأستاذ فتح الله كولن بموضوع الإنسان وعمارته الروحية.

nesemat.com نسمات nesemat.com

الكونية المرتقبة في الأرض كلها بتحويل السلوك الأخلاقي إلى حال السيولة في المجتمع وأجزائه الأفراد، ويستجيب للمتطلبات الإنسانية، فيصل المجتمع في ظل ذلك إلى القدرة على تجديد نفسه ذاتيًّا بالتربية على الروح والأخلاق والفضيلة والتفكر" (نفسه ص١٢٦).

هؤلاء هم ورثة الأرض/مهندسو الفكر والروح/ مهندسو الروح الربانيون حسب المصطلحات المترادفة الواردة في كتاب "ونحن نقيم صرح الروح"، وهي كلها تؤكد انشغال الأستاذ فتح الله كولن بموضوع الإنسان وعمارته الروحية. كما تؤكد موافقة المنهج المقترح من المرحوم الأنصاري، الداعي إلى الانطلاق من القرآن قبل العمران، فمنه تتأسس عمارة الأرض على عمارة الروح أولاً، بالتفصيلات الهندسية الدقيقة التي وضعها الأستاذ كولن لإقامة صرح الروح، حتى يتحقق الوعد الحق في قوله تعالى في القرآن البديع البيان: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ (الأنبياء:١٠٥)" (ونحن نقيم صرح الروح ص١٣).

ويتحقق أنك إذا انطلقت من القرآن إلى العمران، فقد انطلقت من الروح إلى العمران متى أدركت أن القرآن روح "فمن أعجب الأوصاف وألطفها، ومن

قد تُكسب المدرسةُ الإنسانَ تراكمات وتجارب علمية واجتماعية واقتصادية وسياسية؛ لكن تقبلَها من قبل فئات المجتمع كافة ودوامها مرتبط بامتزاجها وتكاملها مع الجذور المعنوية للمجتمع وبنيانه الفكري.

nesemat.com نسيمات nesemat.com

أغرب الأسماء وأروعها؛ التي سمى الله بها كتابه الحكيم، هي: أنه روح وذلك قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلاَ الإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾(الشورى:٥٢)" (فريد الأنصاري بلاغ الرسالة القرآنية ص٤٠).

قلنا إننا في قراءتنا لكتاب "ونحن نبني حضارتنا" سوف نفتتح بقراءة الكتاب الأسبق للأستاذ فتح الله كولن "ونحن نقيم صرح الروح" وبررنا ذلك بهدف منهجي نسعى لتحقيقه هو أن عمارة الحضارة ينبغي أن تتأسس على عمارة الروح أولاً، وهو ما تأكدنا من صحته حين عرجنا على رؤية الأستاذ لورثة الأرض وأوصافهم وفلسفتهم في الحياة، فلننتقل مطمئنين على سلامة اختيارنا المنهجي إلى رؤية الأستاذ إلى بناء الحضارة:

إنه بناء مؤمن بسنة المداولة المتحكمة في تاريخ الأمم والحضارات: "فالذين ظهروا على مسرح التاريخ قد اندثروا واحدًا تلو الآخر، ثم تبعهم الذين جاؤوا من بعدهم في مداولة تاريخية لا تتوقف... والزمان في خضم سيلانه بينما كان يقدم باقات زهور الإقبال لطائفة، كان يطبع بأختام الإدبار على طائفة غيرها" (ونحن نبني حضارتنا ص٥).

هي مداولة لصالح ورثة الأرض الذين عرَّف بهم وقدَّم تفاصيل عن أوصافهم ومزاياهم وفلسفتهم في كتابه "ونحن نقيم صرح الروح"، أما هنا فهو يزف لهم بشائر النصر "فإن أجيال اليوم المؤمنة السائرة في الطريق، المشدودة بالتحفز الروحي الكامل استعدادًا لمنازلة الغبن والقهر والظلم الذي أصابها منذ قرون، يزفون بتحفزهم هذا من الآن ببشائر مهمة عما سيتحقق من تجديدات في جميع طبقات المجتمع في مطالع الألفية الثالثة" (نفسه ص٦).

لكنها مداولة لا تقوى على تغيير قواعد "الشريعة الفطرية"، "فالذي يناطح السنن الكونية كلها فسيخر منهزمًا، عاجلاً أو آجلاً. إن العبقرية في أرض غير أرضها محكوم عليها أن تكون كعصف مأكول، كما يُحكم على البذرة بالفناء في أرض لا ترعى فيها بالهواء والماء والقوة الإنباتية" (نفسه ص١٧).

كما لا يفوته توجيه النذر للعالم المتباهي "بالعلم والتكنولوجيا إزاء الفراغ والاكتئاب الذي أوجده في الحياة الاجتماعية نتيجة لخطئه العظيم في تحديد نقطة الانطلاق.. ولنتركه يسلِّي نفسه ويلهو باللذائذ والأذواق، أو يتطلع ببصره إلى أعماق الفضاء في حين أنه يعاني من افتقاد الروح والمعنى الذي ضيَّعه في قلبه، مهدرًا العمر خلف ضالته في وديان أخرى" (نفسه ص٩).

هكذا يتأكد تركيز الأستاذ كولن على أهمية البناء الروحي في كل معالجة لبناء الحضارة، ويعتبر التجديد والإحياء هو هذا الذي "صارت الجموع تستشعره في عوالمها الداخلية وفي أرواحها وقلوبها.

وسيحظى الجميع -الجميع من غير استثناء- بوجودٍ ذاتي جديد، عاجلاً أو آجلاً" (نفسه ص١٣/١٤) .

بل يقف عند "روح الإسلام "التي: "لا تعني حاله الذي يبدو في واقعنا الحاضر ومن زاوية نظرنا ووجهة تقويمنا له، باهتًا وذاويًا وفاقدًا بريق جاذبيته السماوية بل بألوانه ورقوشه البراقة، وكما كانت -ولا زالت- أرواح طاهرة تستشعره فتتذوقه، وكما أحسه إنسان عصر السعادة وعاشه" (نفسه ص٩٨).

ويعتبر سعي الإنسان إلى تلبية الدوافع المادية سبيلاً إلى ملء الروح بالإيمان وإعلاء شأنها مما يؤدي إلى: "تحفيز قوة الإرادة الفردية بمشاعر الإيمان والمعرفة والإحسان" (نفسه ص١٠٣).

وبحسه العلمي النقدي يحدد معنى الحضارة من وجهة أنتروبولوجية فهي: "مجموع النشاطات المتعلقة بتنظيم الحياة الإنسانية، أو التصورات الفكرية والاعتقادية والفنية لأي أمة، أو كل الأوصاف الخاصة بوجودها المادي والمعنوي" (نفسه ص١٤).

ويجعل منطلقها ودعامتها داخلية تركز على الإنسان وكينونته الذاتية: "لا شك أن المعنى الذي نقصده من "الكينونة الذاتية"هو إبراز هويتنا الداخلية المنسوجة من ميراث حضارتنا الذاتية وثقافتنا الذاتية، وجعلها المحور الذي ندور حوله" (نفسه ص٢٣).

وهو ما يعيد التأكيد عليه في محور آخر من الكتاب حين يقول: "فإن كنت مهندسًا فعليك أن تعد العدة قبل البدء بإنشاء صرح فتتفحص متانة عناصره وسلامتها، وانسجام آحادها فيما بينها ومشاركتها في جمال ذلك الصرح ومظهره" (نفسه ص٤٦).

nesemat.com نسيمات nesemat.com

لعل الأستاذ فريد الأنصاري رحمه الله بكتابه "مفاتح النور"وروايتيه "آخر الفرسان" و"عودة الفرسان"كان يرشدنا إلى فروسية من لون جديد، هي فروسية الفكر والبناء الحضاري.

وهو ليس مهندسًا عاديًّا مثل حال بقية المهندسين، بل ينبغي أن تكون عقليته وعقلية أمتنا "عقلية إعمار وإنشاء، وأن ننجو من هذه الحالة التي نتخبط فيها والتي نعاني فيها من فقر التفكير وغياب الأهداف. ونحن اليوم بحاجة ماسة -قبل كل شيء- إلى هدفٍ سامٍ بعيد المرام، هو انبعاثنا برؤيتنا الحضارية وبثقافتنا الذاتية" (نفسه ص٥٠).

ويقوم بمسح لمكونات الحضارة فيتعهدها بالتوجيه والبناء:

١- البناء التربوي: يبدأ بالبناء التربوي فيقدم رؤيته للمدرسة: "ذلك بأننا إن كنا عازمين على المضي قدما نحو المستقبل، فلا مناص من أن نكون ذاتيين في المنطق والمحاكمة العقلية والأسلوب، باستثمار تراكمنا العلمي والتجريبي في مواقعه المناسبة.

فقد تُكسب المدرسةُ الإنسانَ تراكمات وتجارب علمية واجتماعية واقتصادية وسياسية؛ لكن تقبلَها من قبل فئات المجتمع كافة ودوامها مرتبط بامتزاجها وتكاملها مع الجذور المعنوية للمجتمع وبنيانه الفكري" (نفسه ص٢٨).

ولا يفوته التأكيد على الهوية الذاتية للمدرسة حتى لا تكون وكرًا للأفكار الدخيلة: "إن المدرسة

لا نبني بناء، ولا نعمر تعميرًا، إلا على أساس من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، إن القرآن العظيم تصميم رباني راق لبناء فخم، ما كلف الإنسان إلا بإنجازه، على شموليته وامتداده بدءًا بعمران الإنسان، حتى عمران السلطان.

nesemat.com نسيمات nesemat.com

بقدر ما تكون متوجهة نحو الهدف ومتسمة بالعمق تصبح ميناء أو مطارًا أو منطلقًا للأمة، بشرط أن تصهر مكتسباتها في بوتقة الثقافة الذاتية" (نفسه ص٢٩).

يترتب على هذا البناء التربوي ذي الهوية الذاتية أن يقوم: "بتحفيز رد الفعل المشترك ضد الأفكار الماسخة والغريبة المنكرة، إلى جانب استشعارها والإحساس بها بكامل عناصرها من قبل كل فئات المجتمع ... حتى نبقى وندوم بذواتنا وبخصالنا الذاتية من جهة، وحتى نسير إلى المستقبل من غير السقوط في دوامة الباطل والخرافة والتغرب من جهة أخرى" (نفسه ص٣١).

ومن قواعد التربية الفردية نزع فتيل الأنانية: "إن من ينسى المقصود ويضيع الغاية المنشودة سيسقط -بالضرورة، كائنا من كان- في شباك الأنانية، وتحل رغباته الجسمانية محل عشق "الخدمة" وتنطفئ عنده مشاعر العيش من أجل الآخرين" (نفسه ص٤٧/٤٨).

كما يهيئنا هذا البناء التربوي المعتمد على البناء الذاتي لما يسميه بحق "انبعاثا" "يتطلب رجال قلوب متحفزين بالإيمان، ومهندسي فكر سائحين في الغد بأفقهم الفكري، وعباقرة يحتضنون الوجود والأحداث بتصوراتهم الفنية، ويتعرفون بتحسساتهم وتفحصاتهم الدقيقة على آفاق جديدة أبعد من الآفاق التي نحن فيها" (نفسه ص٣٦).

ومن منطلق يقينه بعالمية الإسلام وإنسانية رسالته، يوجه ورثة الأرض إلى أن يكونوا مهيئين للتعايش مع الإنسان، "فإن وفقنا في استثمار هذا الوضع العام باستراتيجيات متماسكة ومنسجمة، ونظمنا التحفز المعنوي الموجود في المجتمع والنشاط الفعال المتراكم فيه منذ عصور، حول هدف سام، فلسوف يجتمع الجمهور الأعظم من الإنسانية -ولو بنسبة معينة- حول هذا المركز الجاذب، إن لم يكن من يومه، ففي القابل القريب" (نفسه ص٣٩).

كما يوجههم ليكونوا مهيئين للسلام العالمي، "وقد كان -ولا يزال- كل نداء منه ترنمًا للسلام العالمي، وتناغمًا للانسجام الاجتماعي، ونفَسًا للتسامح والحوار. أما الصلف والوحشية والحقد والبغض، فهي إما من الغثيان المنعكس من البناء الروحي لخصومه في الخارج، أو من عسر هضم جهلة المنتسبين إليه لتعاليمه." (نفسه ص٥٩).

٢- البناء الجمالي: لا يغفل أهمية البناء الفني الجمالي للإنسان والمجتمع والأمة والحضارة، فيعالج إشكاليتها ومواصفاتها وفق التصور الإسلامي المنطلق من التوحيد ومن الكلمة المفتاحية لفتح القلوب "لا إله إلا الله محمد رسول الله"، فتتشكل فعالياته الفنية وأنشطته الثقافية بهذه المقومات الداخلية، وتتوسع بها وتبرز بألوان القلب وأدائه الجميل تمامًا. وإذا كان الحاصل الظاهر أثرًا فنيًا أو كتابًا أو رسمًا أو

شعرًا أو لحنًا، فإنه يهتف بمشاعر وأحاسيس القلب المتغذي بهذا الأنموذج والجوهر الداخلي" (نفسه ص٥٣).

وعلى سبيل الاستطراد يدقق في تميز التصور الإسلامي للفن في المجال التشكيلي فيقول عن الفن الإسلامي: "إنه يحتوي آفاقًا واسعة خصوصية بتحريه "التنوع في فلك التجريد". فهو إذ يؤكد على التوحيد، يتخذ موقفًا بيِّنًا وواضحًا ضد التشبيه والتجسيم" (نفسه ص٥٤).

والأستاذ كولن باستطراده هذا -حسب عبارته- يعيد رسم طريق الفن التشكيلي الإسلامي ليحافظ على خصوصيته وتميزه ويقدم له أمثلة فيها شيء من نَفَس الأستاذ النورسي وشيء مما يتيحه التأويل السليم للقرآن الكريم فيقول: "وبحكمة "إبقاء باب التأويل مفتوحًا أبدًا"، يريد أن يري بحرًا في قطرة، ويصور شمسًا في ذرة، ويشرح كتابًا في كلمة واحدة" (نفسه ص٥٤).

ومن هنا لا يدعو إلى استخدام آلية التحريم أو الإباحة أمام من يود سلوك طريق الفن الإسلامي، "فنحن لا نريد أن نفهم الفن الإسلامي بحصره في رفض موضوعات ذاتية أو موضوعية، أو إشهارًا وإبرازًا للمهارات ... بل تأليفًا -من جهة- بين الروح والمعنى والمحتوى فيما يشاهد من علائق الوجود والحوادث، وما يتحسس منها فيفهم أو ما يتحسس وينبغي أن يفهم، وبين لغة القلب والشعور والحس -من جهة أخرى- فيتمكن -من ثم- أن يرشد على الدوام إلى الموجود الذي ليس كمثله شيء بالإيماء والإيحاء من مختلف المستويات والترتيبات" (نفسه ص٦٢/٦١).

nesemat.com نسمات nesemat.com

إذا انطلقت من القرآن إلى العمران، فقد انطلقت من الروح إلى العمران متى أدركت أن القرآن روح " فمن أعجب الأوصاف وألطفها، ومن أغرب الأسماء وأروعها؛ التي سمى الله بها كتابه الحكيم، هي: أنه روح.

٣- البناء العلمي: لا يغفل الأستاذ كولن ما أكدناه في بداية هذه الدراسة حول العلاقة الجدلية بين البناء الروحي والبناء الحضاري، حين يؤسس رؤيته لهذا البناء على هدي تصوره للعقل في علاقته بالروح: "فالعقل -بمعنى من معانيه- هو مركز حراسة للروح باعتباره موجِّهًا للإنسان إلى التفكر والإدراك والفهم ومانعًا له عن القبائح وحاثًّا له على المحاسن" (نفسه ص٦٤).

وعلى هدي الرؤية الراشدة للأستاذ النورسي: "فما نريد أن نركز عليه هنا بإيجاز هو العقل في إطار وظائفه -وذلك حسب رؤية الأستاذ النورسي في رسائل النور- وهو إما العقل المنشئ (العقل المكوِّن) الذي يتكاتف مع الوحي والإلهام والوجدان، وإما ضده الذي هو العقل الضيق غير الملتفت إلى النواحي الروحية، المنسلخ من العلائق السماوية، المحدد قدرة مرونته ومجال حركته" (نفسه ص٦٤).

ومن يستشهد بالأستاذ النورسي عليه أن يستشهد بهدي القرآن الكريم الذي "يخاطب المشركين المعاصرين لسيدنا محمد ﷺ مرة بعد مرة بلسان العقل، ويوسع آفاقهم بلسان المنطق، ويحقنهم بالمعقول بقوة المحاكمة المنطقية، ويعيد عليهم

صفحات من ديمومة التكرر التاريخي، ويضعضع -بسرد الأمثال- لا منطقية الشرك في تلك الأيام إلى جانب الفكر الإلحادي في قابل الأيام، ويدعو إلى التعقل في كل الأمور" (نفسه ص٧٠).

وعليه أن يستشهد بآيات بينات من القرآن ترشد إلى الطريق وتدعونا إلى إعمال القلوب/العاقلة لاستطلاع الأرض التي نعيش عليها ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لاَ تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾(الحج:٤٦) (نفسه ص٧٢).

ومن يستشهد بالأستاذ النورسي ونور القرآن الكريم عليه أن يستشهد بالإنسان الكامل مجسَّدًا في نبينا محمد ﷺ، ورؤيته القرآنية للعقل "يسند إلى نبينا محمد ﷺ قول مآله: "أن الأحمق عدونا"... فجعله مولانا جلال الدين الرومي عنوانًا وصاغه شعرًا بلسانه الفصيح (ترجمته):

قال النبي ﷺ: الأحمق عدو لنا، شقي يقطع طريقنا. إذَنْ العاقلُ حبيبنا... نَسِيمُه المعتلُّ بردٌ يفوح رَوْحًا وريحانا. فإنْ غضِبَ العقلُ مني فسبَّني وشتمني، أُطأطِئْ رأسي وأُدِمْ صمتي، لأن العقل من (الله) الذي يمنُّ عليَّ بالفيوض أبدًا. أما الأحمق فإنْ وَضَع في فمي حلوى، أعتلُّ من حلواه ويصبني بالحمَّى". (نفسه ص٧٤).

ثم يقف عند إشكالية العلم برؤية إسلامية عميقة لا تغفل الروح، ولا الإيمان، كما بينا في بداية هذه الدراسة فيقول: "تستطيع كل أمة سليمة المشاعر والفكر والمعتقدات، ومنتصبة على ساقيها بثبات ورسوخ، أن تعتصر هذه العلوم الصرفة وتقطرها على روحها، فتجعلها صوت قلبها ونفسه، ووسيلة توصل البشر إلى الله تعالى" (نفسه ص٥٦).

ويرتب على هذه العلاقة بين العلم والروح والإيمان مسلَّمة انعدام التناقض بين العلم المسدد بالوحي مع حرية الفكر فيقول: "ومع أنه لم يكن للعالم الإسلامي مشكلة البتة مع العلم أو حرية الفكر، ولكن زُمَرًا من أعداء الدين تغاضوا عن هذه الحقيقة الفارقة واتخذوه غرضًا لمراميهم العدائية الدنيئة مساوين له بالمسيحية الكنسية" (نفسه ص٥٧).

٤- البناء التشريعي: يعيد الأستاذ كولن أهمية البناء التشريعي إلى خطأ نرتكبه حين نروم التجديد: "والحال أننا ملزمون بإعداد البيئة الطيبة لزمان ثقافي جديد يطور حياتنا الفكرية بتفسير ثقافتنا تفسيراً معمَّقًا، وتقويمها تقويما دقيقًا، -ليس من أجل منطقتنا الجغرافية وحدها- بل من أجل تأسيس جسر متين ودائم بيننا وبين العالم المتحضر" (نفسه ص٨٠).

ومن ثم فهو لا يغفل عن صلة الحضارة بالثقافة وما يؤطرها من المرجعية الفكرية والدينية، لذلك فهو يقف عند البناء التشريعي للحضارة ورديفتها الثقافة، حتى يكتمل البناء وتتضح عناصر الرؤية الإسلامية المسددة لكل منهما.

ويعتبر هذه العناصر أسسًا راسخة "نجد أنفسنا ملزمين بأن نربط كل مضمون ومفهوم وأسلوب فكري وتفسير ومقاربة بتلك الأسس. حتى إن الثقافة بألوانها المختلفة تحوم وتدور في محيطها، وتنهل من مناهلها، وتتغذى بغذائها، وتنمو بها، ثم تتحول

بفضلها إلى حال فوق الزمان والمكان" (نفسه ص٨٠).

هذه الأسس كما يحددها ويعرض لها هي الكتاب والسنة والتفسير والحديث وأصول التفسير وأصول الحديث والفقه وأصول الفقه، وهي أسس مرتبطة في دراستها وتطويرها وعلاقتها بنظامنا الحقوقي وبآلية توجيه هي"العقل السليم".

ويخص القرآن الكريم والسنة المطهرة بأهمية أكبر "فيشير إلى ما أنجز حولهما من الدراسات والتفسيرات والتأويلات في ضوء قواعد اللغة العربية وأساليبها، أو أسباب النزول... والمعنى عينه جارٍ على الحديث أيضًا. لكن اللازم أن تصان هذه العلوم بالعقول الوفية والمقتدرة، وإلا فلا منجى و لا مفرّ لأمتنا من حياة الشقاء في هذا الثراء، إن دام ما يراد لهذين المصدرين النيرين الفياضين من تكدير لصفائهما أو إغفال لوجودهما، نتيجة للعداوة اللدود من الخصوم، والخذلان أو السكون من الأصدقاء" (نفسه ص٨٣/٨٢).

ثم يقف عند القرآن الكريم بوصفه كتابًا فوق الزمان والمكان، ويدعو إلى صيانته من العقول الكسيحة والأرواح الأسيرة مما ينتجانه من انحراف النية والنظر أحيانًا، مما قد يسحبه من مقامه المتعالي إلى سجن الفكر البشري الضيق. (نفسه ص٨٣).

ويؤكد على رتبة الصدارة للقرآن الكريم في البناء التشريعي: "لا أظن أن من يعرف هذا الكتاب يحتاج إلى مصدر غيره في المواضيع الأساسية المتعلقة بالإنسان والكون والله... إلا في تفصيل مجملاته وتدقيقها" (نفسه ص٨٦/٨٥).

nesemat.com نسمات nesemat.com

إن من ينسى المقصود ويضيع الغاية المنشودة سيسقط -بالضرورة، كائنا من كان- في شباك الأنانية، وتحل رغباته الجسمانية محل عشق "الخدمة. الخدمة" وتنطفئ عنده مشاعر العيش من أجل الآخرين.

ثم يردفه بالسنة المطهرة بوصفها مجموع أقوال الرسولﷺ وأفعاله وما أمر به أو تفضل بالإشارة إليه. وهي "بفضل سعة مساحتها في التشريع أو بمرونتها القابلة لتفسيرات متنوعة، لا زالت مصدرًا مباركًا لا نجد له نظيرًا في العطاء، في أي دين آخر أو أمة أخرى" (نفسه ص٨٨).

ثم يقف عند الإجماع في رتبته الثالثة بما يعني اصطلاحًا "اتفاق علماء الإسلام المجتهدين في العصر الواحد على مسألة دينية معينة" (نفسه ص٨٨). وينبه إلى أنه لا يعتد في شأن الإجماع بالنظرة المختلفة لبعض الفرق أو التفسير المختلف للشيعة أو حصر الظاهرية نفاذه في مرحلة زمنية معينة." (نفسه ص٨٩).

ثم يقف عند القياس في معناه الاصطلاحي الدال على إجراء حكم مسألة أو عمل على شيء نظير له أو شبيه به. (نفسه ص٩٠).

ويقف عند الاستحسان في معناه الاصطلاحي الدال على توجه إلى دليل أقوى مما يقتضيه القياس في مسألة معينة أو تخصيصًا للحكم الثابت بالقياس، أو استنادًا إلى دليل أرجح. (نفسه ص٩١).

ثم يقف عند المصلحة في معناها الاصطلاحي الدال على الوسيلة للصلاح أو الأمر المفيد والصالح

والخير. ويشير إلى عدم رقيها إلى مستوى الأدلة الشرعية الأخرى في الأخذ بها كدليل، لكن هناك فقهاء كثيرون وعلى رأسهم السادة المالكية أولوها عناية خاصة. (نفسه ص٩١).

يفاجئنا الأستاذ كولن حين يدرج التصوف في بنياننا الثقافي/الحضاري، ويعتبره مصدرًا مهمًّا للمعرفة والثقافة في مساحة واسعة تمتد من الحياة الروحية إلى الأخلاق وآداب المعاشرة. (نفسه ص٩٢). ويوليه أهمية في المستوى الأخلاقي "إن التصوف هو الحفاظ الدائم على طهارة القلب حيال دوافع الشيطان والنفس... وردع النفس عن ميولها الخاصة وتضييق مجالها بقدر المستطاع." (نفسه ص٩٣).

ولعل ما يشفع للأستاذ كولن في هذا الإدراج للتصوف ضمن بنياننا الثقافي هو التجربة الذاتية التي عاشها في سيرته وتكوينه، وعاشها قبله الأستاذ النورسي، "فمهما بدا منه من نقد للمتصوفة ومقولاتهم، فإنه لم يتجاوز التصوف تجاوز نقض وإضراب، وإنما تجاوزه تجاوز احتضان واستيعاب "هكذا لم يسجنا نفسيهما في البرزخ الصوفي كما ألمح إلى ذلك المرحوم فريد الأنصاري وانطلقا في المعراج القرآني. (بتصرف من دراسته "بديع الزمان النورسي من برزخ التصوف إلى معراج القرآن" ضمن حلقة دراسية حول "الإدراك الروحي بين التصوف والنورسي" ص ٤٩).

كما يدرج علم الكلام في إطار الكتاب والسنة، ولا يرى بأسًا في مدِّه بالبرهان وإثرائه بالعرفان، وتوسيعه بالمحصلات الصوفية والفلسفية، بل رأى أن الاشتغال بها على هذا الوجه خدمة للدين" (ونحن نبني حضارتنا ص٩٤).

ويختم بالعرف والعادة والعمل باعتبار مصدريتهما في التشريع، وباعتبار العرف مطلقًا والعادة والعمل مقيدين بشرط عدم المخالفة لروح الدين. (نفسه ص٩٦).

هكذا يُذكِّر، من خلال عرض مصادر البناء التشريعي لحضارتنا، كتابًا وسنةً وإجماعًا وقياسًا واستحسانًا ومصلحةً وتصوفًا وعلمَ كلام وعرفًا وعادةً وعملاً، يُذكِّر بخصوصيتنا الذاتية مع التنبيه على الوحدة العضوية بين المصادر المتنوعة لثقافتنا الموروثة والتي تبدو وكأنها منفصلة عن بعضها البعض" (نفسه ص٩٦).

ملاحظة أخيرة نختم بها قراءتنا لهذا الكتاب وهي إلحاحه بشكل ملفت على الهوية التركية رغم أن الأستاذ فتح الله كولن يعتبر مفكرًا ومصلحًا إسلاميًّا منفتحًا على البشرية جمعاء:

هكذا نلاحظه في أكثر من صفحة من صفحات الكتاب يمجد الخصوصية التركية في مثل قوله: "لقد تكاثفت المساعي الفردية كلها إبان الكفاح الوطني (حرب الاستقلال) في اتجاه تحقيق "تركيا المستقلة". فهذا الهدف كان بسيطا جدًّا، ولكنه استطاع أن يحوز على الاحترام من كل الفئات، فيستحوذ على العقل والمنطق والعواطف، ويكثف الحركات كلها في نقطة واحدة." (نفسه ص٤١). ثم يعيد التأكيد على الأمة العظيمة وحرب الاستقلال في الصفحات ٤٣ و ٤٥.

وهذا لا يقلل من شمولية الخطاب عند الأستاذ كولن ليصل إلى عقول وقلوب وأرواح المسلمين، بل

يتجاوزهم إلى مخاطبة البشرية جمعاء، ساعيًا إلى الإجابة عن سؤال، نعتقده إشكاليًّا، لكنه يختزله في مطلب عزيز وبسيط، ثم يجيب عنه بشكل بسيط: "فأنت أيها الإنسان إذا سألت عن غايتك وهدفك من هذا البناء الذاتي والحضاري، فهو رضى الله تعالى. فسواء بعد ذلك إن تحققت نتيجة الخدمات المقدمة باسم أمتنا بارتقائها إلى المكان اللائق بها في التوازن الدولي، أو لم تتحقق، فإن المؤمن يسعى لنوال رضاه تعالى في كل خدمة إيمانية وكل فعالية دعوية." (نفسه ص٥٠).

نعود إلى الفرضية التي بدأنا بها قراءة كتاب "ونحن نبني حضارتنا"، فرضية البدء بالبناء الروحي كما جلَّاه في كتابه الأسبق "ونحن نقيم صرح الروح" مسجلين وعيًا عميقًا عند الأستاذ كولن بالعلاقة الجدلية بين البناء الحضاري والروحي، وعيًا مستوعبًا من قراءته المسددة للقرآن الكريم.

كما نعود إلى الإقرار بنجاعة العدة المنهجية التي أمدنا بها المرحوم فريد الأنصاري حين دعانا إلى بدء كل عمران حضاري بالعمران القرآني: "لا نبني بناء، و لا نعمر تعميرًا، إلا على أساس من كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، إن القرآن العظيم تصميم رباني راق لبناء فخم، ما كُلِّف الإنسان إلا بإنجازه، على شموليته وامتداده، بدءًا بعمران الإنسان حتى عمران السلطان" (بلاغ الرسالة القرآنية ص١٦).

وقد تحققنا من صدق الفرضية بالفعل حين ألحَّ في كتابيه على أهمية بناء صرح الروح قبل بناء صرح الحضارة، وهو البناء المستمد من هدي

nesemat.com نسمات nesemat.com

يقف الأستاذ كولن عند القرآن الكريم بوصفه كتابًا فوق الزمان والمكان، ويدعو إلى صيانته من العقول الكسيحة والأرواح الأسيرة مما ينتجانه من انحراف النية والنظر أحيانًا، مما قد يسحبه من مقامه المتعالي إلى سجن الفكر البشري الضيق.

القرآن الكريم المبشِّر بوراثة الأرض لعباده الصالحين المصلحين، بأوصافهم الثمانية، كما يبشر بانبعاث جديد للمهندسين الربانيين، مهندسي الفكر والروح، قادة عقبان جيش النور، وهم يشيدون صروحًا تشمل المجالات التربوية والعلمية والجمالية والتشريعية.

وإلى قراءة مقبلة لفكر الأستاذ فتح الله كولن، حتى نؤدي بعض ما علينا من دَين لهؤلاء الأعلام على الأمة الإسلامية والبشرية جمعاء، والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين. ■

المراجع

(١) فتح الله كولن، ونحن نبني حضارتنا، دار النيل للنشر، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤٣٣هـ-٢٠١١.

(٢) فتح الله كولن، ونحن نقيم صرح الروح، دار النيل للنشر، القاهرة، الطبعة الرابعة، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٨.

(٣) فريد الأنصاري، بلاغ الرسالة القرآنية من أجل إبصارٍ لآيات قرآنية، سلسلة: من القرآن إلى العمران (٢)، دار السلام، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩.

(٤) فريد الأنصاري، بديع الزمان سعيد النورسي من برزخ التصوف إلى معراج القرآن، بحث منشور في مجلة النور للدراسات الحضارية والفكرية، العدد ٩ السنة الخامسة يناير ٢٠١٤.

مفهوم المسؤولية في فكر فتح الله كولن

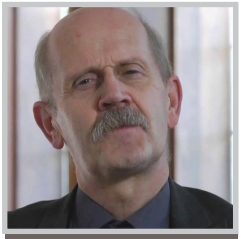

سيمون روبينسون

أ.د. سيمون روبينسون أستاذ الأخلاقيات التطبيقية والمهنية، ومدير مركز بحوث الحكم والقيادة والمسؤولية العالمية، جامعة ليدز ميتروبوليتان، إنجلترا. طوَّر عمله الأكاديمي في مجال أخلاقيات الأعمال وعلم اللاهوت الرعوي والاجتماعي في جامعة أكسفورد وهيريوت وات وإدنبره وليدز. وهو يركز الآن على الأخلاقيات المهنية والمسؤولية، وعلم التربية، والحوكمة، وأخلاقيات القيادة في جميع القطاعات.

المسؤولية مفهوم مفتاحي في كتابات الأستاذ فتح الله كولن والكاتب هنا يحاول اكتشاف معنى وممارسة المسؤولية عند الأستاذ كولن، من خلال تحليل مفهوم المسؤولية في علاقته بالإسنادية والمساءلة والأمانة. كما يناقش أن رؤية الأستاذ كولن للمسؤولية متجذرة في مبدأ المساءلة، وأن أساس هذا هو فلسفته الدينية المتمركزة حول الفكر والفعل، وأن رؤيته للإسنادية تنبع من رؤية واحدة تقود إلى منظور حول الأمانة الكونية.

ويعمد الكاتب إلى مقارنة هذه الرؤى حول المسؤولية برؤى فلاسفة وتيولوجيين ذوي معتقدات أخرى، محاولاً بعد ذلك اختبار رؤية الأستاذ كولن للمسؤولية في سياقات مختلفة: كالمجتمع المدني، والتربية، والتجارة، إلى جانب مقارنة هذه السياقات مع مقاربات أخرى. وفي النهاية يحاول المقال تقييم دور الأستاذ كولن في النقاشات الراهنة حول هذه المساحات.

يشكل مفهوم المسؤولية جسرًا مهمًّا بين الممارسة والقيمة والمعتقد، وبعض علماء الدين والأخلاق المسيحيين يرونه كجوهر الهوية الدينية (نيبور ١٩٦٣، شويكر ١٩٩٥). بالنسبة لبعض الفلاسفة وعلماء الاجتماع تعتبر المسؤولية الشاملة قاعدة الأخلاق (بومان ١٩٨٩). أما في عالم الأعمال، فالمسؤولية المؤسساتية هي الآن في قلب أخلاقيات التجارة، وهي هنا مرتبطة بالغاية والهوية والممارسة (براون ٢٠٠٥، روبينسون ٢٠٠٨).

ذكرت كارول (٢٠٠٧) أن المسؤولية مفهوم مفتاح في كتابات الأستاذ فتح الله كولن، وحاولت الخروج بمقارنة إدراكية مع الوجودية. سأحاول في هذا المقال اكتشاف معنى وممارسة المسؤولية عند الأستاذ كولن، من خلال تحليل مفهوم المسؤولية في علاقته بالإسنادية والمساءلة والأمانة.

سوف أناقش أن رؤية الأستاذ كولن للمسؤولية متجذرة في مبدأ المساءلة، وأن أساس هذا هو فلسفته الدينية (تيولوجية) المتمركزة حول الفكر والفعل، وأن رؤيته للإسنادية تنبع من واحدة تقود إلى منظور حول الأمانة الكونية.

سوف أقارن هذه الرؤى حول المسؤولية برؤى فلاسفة وتيولوجيين ذوي معتقدات أخرى. بعد ذلك سأحاول اختبار رؤية الأستاذ كولن للمسؤولية في سياقات مختلفة: المجتمع المدني، التربية، والتجارة، وسأحاول مقارنة هذه السياقات مع مقاربات أخرى. وفي النهاية سأحاول تقييم دور الأستاذ كولن في

رؤية الأستاذ كولن للمسؤولية متجذرة في مبدأ المساءلة، وأساس هذا هو فلسفته الدينية المتمركزة حول الفكر والفعل. ورؤيته للإسنادية تنبع من واحدة تقود إلى منظور حول الأمانة الكونية.

nesemat.com نسيمات nesemat.com

النقاشات الراهنة حول هذه المساحات.

المسؤولية

يلخص شويكر (١٩٩٥) المسؤولية من خلال ربطها بثلاثة أشكال، أول اثنين منها تعود إلى تفكير أرسطو (ألكسندر ٢٠٠٨):

- **الإسنادية:** أفعال الشخص تُعزَى إليه. وبالتالي ننظر إليه كمسؤول عن تلك الأفعال وعن القرارات التي أدّت إليها.
- **المساءلة:** الشخص مسؤول أو مُستجوَب أمام شخص ما.
- **الأمانة:** الشخص مسؤول عن شيء أو شخص ما.

الإسنادية

هناك رؤى قوية وأخرى ضعيفة تحاول تعريف الإسنادية.

تُعرِّف الرؤى الضعيفة (ماكّني ٢٠٠٥، ٢٤٢) الإسنادية ببساطة بأنها ترابط سببي بين الشخص وأي فعلٍ، وهذا يدل على أن الفعل يُعزَى إلى الشخص. مثل هذه الرؤية لا تساعد على تحديد مدى انخراط الشخص في الفعل ومدى حدود مسؤوليته فيه.

في المقابل نرى أن رؤية قوية (تايلور ١٩٨٩)

المسؤولية الكونية، هي الأقرب في تصور كولن، يجعلها في قلب كل شيء، وهي مناطة بحب ووفاء لا مشروطين، يجعلان من المسؤولية وعيًا ثابتًا.

nesemat.com نسيمات nesemat.com

تقارب الإسنادية من خلال أن مسألة اتخاذ القرار تشكل تقييمًا قويًّا يربط الفعل باتخاذ القرار، وتشكّل هوية الشخص الأخلاقية. من أجل أن يكون الشخص مسؤولاً بالكامل، يجب عليه أن يكون واعيًا بسياقه الاجتماعي، وبعلاقاته البارزة، وبالانعكاسات المتبادلة لهذه العلاقات وما إلى ذلك.

المساءلة

الشكل الثاني من المسؤولية هو المساءلة، وأساسها هو العلاقات التعاقدية رسمية كانت أو غير رسمية، فالتعاقد يؤسس العقد لسلسلة من التوقعات المتبادلة. وعلى مستوى معين تكون هذه التوقعات حول أهداف متعارف عليها تحدد أساس أي مشروع، ومن دونها لا يمكن تقييم كفاءة الشخص. وعلى مستوى آخر نجد توقعات أخلاقية أوسع، تحدد طريقة تعامل الواحد في أي عقد. هذا طبعًا يتضمن أهمية الانفتاح والشفافية في العلاقات، وفي سلوكيات أخرى مشابهة تُوفر أساس الثقة.

الأمانة

في سياقنا هذا نفرق بين مصطلح الأمانة ومرادفه الدلالي في القانون، فالأمانة هنا تتجاوز المساءلة من ناحية أنها تهتم بالآخرين، وقد تشمل بشكل أوسع بعض المشاريع أو المجموعات. فعلى كل شخص أو صاحب مهنة أن يتعامل مع الحياة في سياقاتها المتعددة من دون عقد ظاهر. هذا التعامل يتطلب وعيًا بحدود الإنسان أو المنظمة، وتجنبًا لحمل كثير من المسؤولية، وقدرة على العمل الجماعي، ومناقشة وتشارك المسؤولية. وفي هذا الشكل تبدأ مساحات مختلفة من المسؤولية بالظهور: المسؤولية الفردية، المهنية، المؤسساتية، المدنية، البيئية، الكونية.

ويناقش العالم المسيحي "نيبور" أن الأمانة تتجاوز الغائية (teleology) والأخلاقية (deontology) بحكم أن هاتين لا تحتويان جميع الإمكانيات الأخلاقية. ويضيف: "البائن في فكرة المسؤولية هو صورة الإنسان/المُجيب، الإنسان المنخرط في الحوار، الإنسان العامل استجابةً لفعل فوقَه" (نيبور ١٩٦٣، ٦٣).

الأستاذ كولن

تتأسس رؤية الأستاذ كولن للمسؤولية بشكل راسخ على المساءلة، وهي بدورها مبنية على فلسفته الدينية عن الخلق. فالله تعالى خلق العالم واستخلف الإنسان عليه. (القرآن ٢:٣٠)[1].

الإنسان إذن مسؤول عن إدارة هذا الخلق، وعلاقة الله تعالى الخالقِ تعني كذلك أن الإنسان مسؤول باسم الله، فالإنسان هنا يقف أمام الله كنائب، لكنه أيضًا يقف قِبله. إذن فالإنسان يكون مسؤولاً مع الله تعالى، وأمام الله عن هذا العالم في

كليّته. ثم إن هذه المسؤولية تربط الفعل في هذا العالم وفي الآخرة، فما نفعله يؤثر على المملكتين، وبالتالي على اعتبارنا للمملكتين معًا، ومن أجل تحقيق هذه المسؤولية وفَّر الله تعالى للإنسان جميع المصادر الممكنة.

"إذا كانت الإنسانية تَخلُف اللهَ في الأرض، وهي المفضلة بين جميع خلقه، وهي جوهر ومضمون الوجود في مجمله وألمع مرآة للخالق، وليس هناك شك في أن هذا هو الحال، فالله تعالى الذي أرسل الإنسانية إلى هذا المجال أعطانا الحق والإذن والقدرة على اكتشاف الأسرار المكنونة في روح الكون، للكشف عن القوة الخفية، التي قد نستخدمها ابتغاء وجهه تعالى في كل شيء، ولكي نكون ممثلين للخصائص التي تنتمي إليه، مثل المعرفة والقوة". (كولن ٢٠٠٤، ١٢٢)

إن المسؤولية ليست سهلة... فمثلاً ينظر نيبور ببساطة في نقاط إلى أن المسؤولية تستجيب لحاجيات المجتمع والعالم المتسع. وبالنسبة للأستاذ كولن، فهذه المسؤولية غائية (teleological) ولذلك يجب استعمال جميع المصادر لتحقيق هذه الغاية الربانية، وبالتالي فكل معنى للفعل يجب أن يفهم من خلال السيادة الكلية لله تعالى ورغبته رؤيةَ الإنسان يحقق هذه الإرادة، إلا أن هذا المستوى من المساءلة يُتطور بطرق بارزة.

إن مهمة الخليفة ليست فقط ببساطة أن تؤمن بالله أو أن تعبده ببعض الشعائر، ولكن أيضًا أن تفهم "أسرار الأشياء وأسباب الظواهر الطبيعية، لتكون قادرًا على التحرك مع الطبيعة" (كولن ٢٠٠٤، ١٢٢).

يدعم الأستاذ كولن نهضة تسمح بمساءلة الدكتاتورية وتمكن من إنهاء الدكتاتوريين، وتعمل على إنشاء مجتمع ديمقراطي.

nesemat.com نسيمات nesemat.com

ويعتبر الأستاذ كولن أولئك الذين يعملون بهذا "أناسًا أَصِيلين"، ويؤكد أنهم يمارسون إرادتهم الحرة "بطريقة بناءة، ويعملون على تنمية العالم، وحماية التناغم بين الوجود والإنسانية، وجني خيرات الأرض والسماء لصالح الإنسانية، ويحاولون كذلك رفع المستوى المتدني للحياة إلى مستوى أكثر إنسانية في إطار أوامر وقواعد الخالق. هذه هي الطبيعة الحقيقية للخليفة، وهنا كذلك يمكن إيجاد المعنى الحقيقي لمفهوم العبودية والحب لله" (كولن ٢٠٠٤، ١٢٤).

إن اتساع نطاق هذا سرعان ما يصبح واضحًا، لذا علينا -أولاً- أن نتعامل مع العلم بشكل جديّ، كما أنه ليس علينا النظر إلى العلم كشيء مستقل أو ضد الدين. بالعكس، فالعلم يكشف لنا قوانين الطبيعة وبالتالي يساعدنا على إدراك غائية الخلق (telos). هذا يبين بوضوح لماذا يهتم الأستاذ كولن بالعلوم كجزء أساسي من العمل التربوي، على الرغم من أنه يؤمن بنظرية الخلق الدينية. ثانيا، فالإرادة الحرة التي هي مفتاح أي شعور بالمسؤولية ينبغي أن تستخدم في خدمة الجميع، هؤلاء بدورهم ينبغي عليهم العمل على الحفاظ على التوازن بين البيئة والإنسانية، جاعلين معظم مصادر الخلق لصالح الإنسانية ككل،

المسلم عند كولن مواطن فعَّال. يحترم حقوق الإنسان التي يتبناها السياق الاجتماعي والسياسي الذي يشتغل ضمنه، بما في ذلك التشريعات حول الرفاه.

nesemat.com نسيمات nesemat.com

وبغرض رفع مستوى الحضارة عند الجميع. إن لدى كولن رؤية واضحة في أنه لا بد من استعمال العالم الطبيعي لغايات إيجابية، وهذه الغائيات المميزة جدًّا يمكن أن تنطوي على الاختلاف والصراع، فالخليفة ومنذ البداية عليه تحمل مسؤولية العمل من خلال هذه الغائيات الواسعة، وفي إطار من القيم الربانية.

مفهوم الإسنادية في فكر الأستاذ كولن

تنبثق الإسنادية في فكر الأستاذ كولن من إطار مفهوم المساءلة. فالاستقلالية الشخصية والوكالة هما هبتان من الله ﷻ تمكنان الشخص من أداء دور الخليفة. وتعطي هذه الوكالة الحرية للشخص في تغيير المجتمع، مادام مصدر هذه الحرية والوكالة مُسلَّم بصحته ومعترف به. "الله وحده يحدد ويقَسّم ويخلق وينشر جميع الأرزاق لنا" (كولن ١٩٩٩، ٩٤).

هذه الوكالة تُعطَى إذن بوساطة، وهي شكل محدود من الذاتية، أو بعبارات "فاهدات" "هي تُسقط مُراده على سمات الإله التوحيدية، سمات مثل القدرة الكلية، والمعرفة الكُلانية[٢]، ثم وُزعت جزئيًا من قبل البشر. في هذه الصورة نجد ذاتية الإنسان مرهونة بالذات الإلهية العلية. وعلى الرغم من أن الذات الإنسانية ليست مقصاة هنا، لكنها ليست أبدًا مستقلة عن ذات الإله، وبهذا المعنى تكون الذات البشرية وسطًا ووسيلةً وموضوعًا". (فاهدات ٢٠٠٢، ١٣٤).

إن جوهر كل هذا عند الأستاذ كولن هو هذا التركيز الكبير على الحركة والعمل، فالمسؤولية تقف موقف السائل للعمل. والأستاذ كولن يدفع إلى الحركة والعمل في مقابل الخنوع السلبي في العبادة. وفي صميم هذا نجد مفهوم "الخدمة" التي تجسِّد تقريبًا الوعي الداخلي بالله ﷻ في شكل ممارسة فعلية. وبالتالي، ليس هناك شك من وجود التقوى، "أولئك الذين يشعرون بأنفسهم دائمًا في وجود الله تعالى لا يحتاجون إلى عزل أنفسهم عن الناس" (كولن ١٩٩٥، ٨٧).

مفهوم الوكالة إذن يعتمد على أنثروبولجية كُلانية وديناميكية، والتي تجمع بين العاطفة والروح، والعقلانية والعمل. إن "الله تعالى لم يخلق الناس فقط ليبقوا عاكفين سلبيين، كالناشط من دون عقل ولا روح، أو كالعقلاني من دون تفكير روحي ونشاط" (كولن ١٩٩٩، ٤٦).

بالنسبة للأستاذ كولن الخدمة مبدأ أساسي ومسؤولية دائمة في أجرأة وتفعيل القيم حركة وعملاً فأي شعور بالإرادة الحرة يأتي إلى حد كبير في سياق الخدمة، التي تركز على مثال النبي محمد ﷺ كرجل عملٍ "أكَّد على التعلم، والتجارة، والزراعة،

والعمل، والفكر. وعلاوة على ذلك، شجع أصحابه على القيام تماما بما فعله، وأدان التقاعس والتسول" (كولن ١٩٩٥، ١٠٥).

تطوير المسؤولية

إن النظرة التي ترى المسؤولية المبنية على العمل المُركِّز على الوكالة تجد بشكل تلقائي مكانًا محوريًّا في رؤية الأستاذ كولن لمسألة التربية. فالأستاذ كولن يرى قاعدة السلطة ومعها الوكالة، بكلمات ر. هـ. تاوني (١٩٣٠)، كما في كتابه "في الروح". فالروح عند كولن تنطوي على ثلاث كليات "العقلاني، والتّوَتُّري، والنزَّعاتي" (محمد ٢٠٠٧، ٥٥٦). والتعامل مع هذه الكليات يتطلب فضائل أربعة: الشجاعة والحكمة والاعتدال والعدالة. هذه الفضائل تُعدّل الشهوة والغضب، مما يؤدي إلى درجة من العقلانية وضبط النفس. وهذا لا يطمس العواطف بل يُلطّفها.

وبالتالي، فالملاحَظ هو أن الطابع الأخلاقي هو جوهر نظرة الأستاذ كولن للوكالة والمسؤولية، وهذا يتيح إنشاء المسؤولية الشخصية ومنه إنشاء أي نهج من المسؤولية الاجتماعية أو المدنية (طوغوسلو ٢٠٠٧، ٤٥٠). إن أي مسؤولية تستند على القيم العالمية مثل "التفاني، البساطة، الثقة، الولاء، الإخلاص، التواضع، والترابط" (المرجع نفسه ٤٥٥). وهذا يؤدي إلى التعليم الذي هو الأساس في تطوير الشخصية، والذي يركز على النقد الذاتي والتجديد الذاتي المستمر. مثل هذا الفحص الذاتي "يمكِّن المؤمن من التكفير عن أخطاء الماضي، وأن يصبح طاهرًا في أعين الله؛ لأنه يوفر إدراكاً مستمرًّا للتجديد الذاتي في عالم الإنسان الداخلي" (كولن ١٩٩٩).

بالنسبة للأستاذ كولن الخدمة مبدأ أساسي ومسؤولية دائمة في أجرأة وتفعيل القيم حركة وعملاً؛ التي تركز على مثال النبي محمد ﷺ كرجل عملٍ "أكَّد على التعلم، والتجارة، والزراعة، والعمل والفكر.

nesemat.com نسيمات nesemat.com

إن أساس مقاربة الأستاذ كولن للتعليم هو أنه ينبغي أن يشارك على وجه التحديد في تنمية الشخصية. إنه في الواقع يسمح بتنمية مسؤولية تفكير المرء وتطوير القيم الكامنة و تجسُّدِها في الممارسة العملية.

المسؤولية المشتركة

يرى الأستاذ كولن كذلك المسؤولية من منظور تداولها في الشركات التجارية والمهن، وقد مالت المسؤولية المشتركة إلى تقسيم النهج الليبرالي فريدمان (١٩٨٣) أو ستيرنبرغ (٢٠٠٠)، إلى آراء أكثر تفاعلية مبنيّة على تحليل أصحاب المصلحة (روبنسون ٢٠٠٨)، لكن رؤية كولن متميزة جدًّا عن فريدمان وستيرنبرغ، فهم ببساطة يضعون المسؤولية في إطار من المساءلة التي ترتبط بشكل مباشر بعلاقة المالك والمُنفذ المأمور؛ فهدف التجارة هنا هو ربح المالك المادي في إطار قانوني، وعلى العكس فنظرة كولن تتحدى هذه النظرة. فأولاً، المساءلة

رؤية كولن عن المسؤولية تتجاوز الالتزام البسيط ببعض الرموز أو المبادئ الأخلاقية. فالمبادئ المحورية عنده كونية، تجد أساسها أولاً وآخرًا في علاقتها بالله تعالى.

nesemat.com نسيمات nesemat.com

عند الله تعني أن أي نظرة ضيقة تُعرف أو ترجع إلى المسؤولية لا تُأخذ بعين الاعتبار. فالمسؤولية تسمو على أي مصالح. ثانيًا، تحاول نظرة فريدمان تقييد تعريف المسؤولية فقط بالمساءلة ونتيجة لذلك فلديه القليل من الحس بوكالة أو حرية المُنفِّذ. ثالثًا، باستطراد، فريدمان وستيرنبرغ ليس لديهم شعور بمسؤولية الأعمال. أما بالنسبة للأستاذ كولن فمسؤولية الخلق تسير جنبًا إلى جنب مع المساءلة أمام الله. فالمسؤولية المشتركة عند كولن قد تنطوي على جوانب خيرية، أو هي في الواقع أكثر من ذلك تقوم على تفعيل المسؤولية بشكل خلاَّق ومُشترك.

كما أن الحرص على الرفاه في العمل حاضر بقوة في فكر الأستاذ كولن، فهو يقبل على أهمية المسلم كمواطن فعَّال، أي مواطن يجب أن يحترم حقوق الإنسان التي يتبناها السياق الاجتماعي والسياسي الذي يشتغل ضمنه، بما في ذلك التشريعات حول الرفاه في العمل، وهذا يقودنا إلى مسألة المسؤولية المدنية.

المسؤولية المدنية

إن الأستاذ كولن يرى في كل هذا أهمية وجود مجتمع مدني، وأن مسؤولية المسلم هي أن يُسهم في ذلك المجتمع المدني، وهذا ينطوي على عدة عناصر، أولاً، يقبل كولن الرؤية التي تنظر إلى المصلحة المشتركة التي يمتلكها الجميع (فيتشيني ٢٠٠٧). ثانيًا، هذه الرؤية تعتبر خطوة قصيرة من منظور المصلحة العامة إلى منظور حقوق الإنسان. وكما يكتب كيليس (٢٠٠٧)، فكولن يستنبط قاعدة لحقوق الإنسان من القرآن. ثالثًا، هذه النظرة مقواة في فلسفة كولن التربوية، التي تركز على تطوير القيم والفضائل العالمية. وهنا تصبح التربية وسيلة محورية في تنمية المواطن. فالتربية والتعليم يجب أن يُؤسسا على العلم، والمهارات اللغوية، وجودة التربية، إذا أردنا أن نتمكن من تطوير الناس الذين سيتولون مناصب قيادية في عالم الاقتصاد وفي المجتمع. وعلى اعتبار هذا يمكن للإسلام أن يأخذ مكانه في عصر ما بعد الحداثة كمفتاح لتطوير المجتمع. وكما عبر عن ذلك أونال وويليامز (٢٠٠٠، ٣٠٨)، "فالتربية عبر التعليم وبطريقة تأطيرية تأخذ أبعاد الحياة المتعددة، هي مسؤولية كبرى تتجلى في اسم الله الرب. وباستكمال جوانبها، فإننا نصل إلى مرتبة الإنسانية الحقيقية، ونصبح أعضاء مفيدين داخل المجتمع". أما فيتشيني (٢٠٠٧، ٤٤١) فقد أشار إلى أنه من خلال التركيز على العمل، ومنه على الطبيعة العامة للاستجابية الإسلامية، فإن كولن يرى المسلمين كذلك كمواطنين قادرين على تقاسم المسؤولية، ومناقشة ممارستها، وعلى التركيز على الرؤى الكونية. وهذا يظهر جليًّا في اهتمامه بالقيم الكونية ومسؤولية المجتمع المشتركة. ومن ثم يستطيع كولن أن يركز على دار "الخدمة"

مع المسلم كجزء من حوار خلّاق حول المجتمع (يلماز ٢٠٠٢). فمنطق المسلم عن المسؤولية تجاه المجتمع يتسع ليضم الاهتمام بالسلام وحتى بالديمقراطية.

وفي حوار له مؤخوذ من كيليس (٢٠٠٧، ٧٠١) يشير كولن إلى "أننا ندعم كذلك نهضة تسمح بمساءلة الدكتاتورية وتمكّن من إنهاء الدكتاتوريين، وتعمل على إنشاء مجتمع ديمقراطي".

الأمانة والمسؤولية الكونية

وكما لاحظت كارول (٢٠٠٧)، فالأمانة تقع في أساس نظرة كولن للمسؤولية، هذه الأمانة تتسع لتصل إلى مستوى المسؤولية الكونية. أما بالنسبة لآخرين أو في مشاريع أخرى. فالأمانة يمكن أن تُرَكّز فقط في أدوار معينة قد تخصصها أو تعممها. فمثلا يمكن تحميل المهندسين مسؤولية الأجيال المقبلة، الذين سيستعملون قناطرهم، أو سيتضررون من محطات طاقتهم النووية. لكن في فكر كولن المسؤولية تأخذ بعدًا كونيًا وهي متعلقة بكل شيء. فهو القائل عن بعض الشخصيات التركية: "إن مسؤوليتهم كبيرة، بحيث إن كل ما يحاولون توصيله إلى شخص ما لكي يفهمه أو يعيه ينقص من شعورهم بالاستعلاء. إن هذه المسؤولية مرتبطة بخلق الأحداث، وبالطبيعة وبالمجتمع، بالماضي والمستقبل، بالأموات والأحياء، بالصغار والكبار، بالقارئ والأمي، بالإدارة والأمن... بكل واحد وبكل شيء. وعليهم طبعًا أن يحسوا بألم هذه المسؤولية في قلوبهم

الطابع الأخلاقي هو جوهر نظرة الأستاذ كولن للوكالة والمسؤولية. وهذا يتيح إنشاء المسؤولية الشخصية ومنه إنشاء أي نهج من المسؤولية الاجتماعية أو المدنية.

nesemat.com نسمات nesemat.com

وفي أعماق أرواحهم، بحيث إنهم يبحثون دائمًا عن حالة اليقظة. فهذا الألم وهذه المحنة التي تنتج عن الوعي بالمسؤولية، إن لم تكن دائمة، تعتبر في عداد العبادة، أو الدعاء المقبول، وهي بالتالي منبع طاقة لمشاريع بديلة مقبلة." (كولن ٢٠٠٥، ٩٥).

إن مفهوم المسؤولية مهم جدًّا في علم الأخلاق. هناك من يراه كمبدأ أساسي (تانر ١٩٩٣). في حين يراه آخرون كفينش وماسون (١٩٩٣) في قلب أخلاقيات اتخاذ القرار. أما بالنسبة لكولن تمثل المسؤولية نقطة محورية تلتقي فيها جميع تحركات الإنسان لكي يستجيب إلى الله ﷻ، ويفي بدوره كخليفة. وهذا ينتج لنا قاعدة تصورية غنية حول مفهوم المسؤولية نجملها في ثلاثة نقاط:

- المسؤولية الكونية، وهي الأقرب في تصور كولن، بحيث يجعلها في قلب كل شيء، وهي مناطة بحب ووفاء لا مشروطين، وهما ما يجعلان من المسؤولية وعيًا ثابتًا، وكذلك من الانتباه والاستجابية لله تعالى وللآخرين.
- المسؤولية كمساءلة أمام الله تعالى، وكأمانة لخلقه. فالإنسان الخليفة يُمنح هذه المسؤولية من الله تعالى. وهذا يؤسس لأخلاقيات خدمة لانهائية

لله تعالى ومن ثم للآخرين.

• المسؤولية كوكالة تضم التفكير العقلاني والنقد الذاتي. فالتركيز على تطوير العقلانية يتم جزئيًا باستكمال شروط دور الخليفة. وبدون فهم العقلانية العلمية لن يستطيع أحد استيعاب خلق الله تعالى. كما أن مقاييس النقد الذاتي هي كذلك أخلاقية، وليس أقلها الانتباه إلى بعض الفضائل كالتواضع.

وهنا طبعا يكون مركز الاهتمام هو الله تعالى ثم الإنسان ثانيًا. والمسؤولية في كل هذا تتطلب الاستجابة ثم العمل. مثل هذه المسؤولية مرتبطة بالهوية، وهي بالتالي تُؤجْرَأ على مستوى الواقع والممارسة، أي في بعض الأدوار المتعلقة بالتجارة مثلاً، أو في العمل التربوي والتعليمي، أو في المجتمع المدني. وفي قلب كل هذا يوجد الحوار الخلاق والنقدي.

وختامًا، يبقى الأستاذ كولن في كل هذا متشبثًا بالتقاليد، لكنه يعطينا رؤية عن المسؤولية تتجاوز بكثير الالتزام البسيط ببعض الرموز أو المبادئ الأخلاقية. فالمبادئ المحورية عنده كونية، وهي بالتالي تتطلب ممارسة الوكالة، والمساءلة، والأمانة المستمرة. المسؤولية إذن عند الأستاذ كولن كما "نيبور" تجد أساسها أولاً وآخرًا في علاقتها بالله تعالى. ■

الهوامش

[1] هذا إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً...﴾(البقرة:٣٠).

[2] الكُلَّانِيَّة، هي الفكرة القائلة بأن الأنظمة الطبيعية (المادية والبيولوجية والكيميائية والاجتماعية والاقتصادية والعقلية واللغوية وما إلى ذلك) وسماتها، يجب أن ينظر إليها على أنها متكاملة، وليس على أنها مجموعة من الأجزاء. وغالبًا ما يشتمل ذلك على وجهة النظر بأن الأنظمة تعمل بشكل ما كأنظمة متكاملة، وأن وظائفها لا يمكن فهمها بشكل كامل بصفة مفردة فيما يتعلق بالمكونات المكونة لها. انظر ويكيبديا (المحرر).

المراجع

[1] ألكسندر، ٢٠٠٨ القدرات والعدالة الاجتماعية. ألدرشوت: أشجات.

[2] بومان، ١٩٨٩ الحداثة والمحرقة. لندن.

[3] بونهوفر، ١٩٩٥ الأخلاقيات. نيويورك: ماكميلان.

[4] كارول، ٢٠٠٧ حوار الحضارات. إسطنبول: معهد كولن.

[5] فريدمان، ١٩٨٣ المسؤولية الاجتماعية للأعمال التجارية هي زيادة أرباحها. في دونالدسون. و ويهرن، (محرران) القضايا الأخلاقية في الأعمال التجارية. نيويورك: برينتس هول، ٢٣٩-٢٤٣.

[6] فينش، و ماسون، ١٩٩٣ التفاوض حول مسؤوليات الأسرة. لندن: روتليدج.

[7] كولن، ١٩٩٥ النبي محمد: جوانب حياته المجلد١. فيرفاكس: فوانتن.

[8] كولن، ١٩٩٦ النبي محمد: جوانب حياته المجلد٢ . فيرفاكس: فوانتن.

[9] كولن، ١٩٩٩ المفاهيم الرئيسية في الممارسة الصوفية١ . فيرفاكس: فوانتن.

[10] كولن، ٢٠٠٠ أساسيات العقيدة الإسلامية. فيرفاكس: فوانتن.

[11] كولن، ٢٠٠٠ أسئلة وأجوبة حول الإيمان. فيرفاكس: فوانتن.

[12] كولن، ٢٠٠٤ نحو حضارة عالمية من الحب والتسامح. نيو جيرسي: لايت .

[13] كولن، ٢٠٠٤ لمحة موجزة عن الإسلام. فوانتن، ٤٥، ٤-٦.

[14] كولن، ٢٠٠٥ صرح الروح. نيو جيرسي: لايت.

[15] جوناس، ١٩٨٤ حتمية المسؤولية. شيكاغو؛ مطبعة جامعة شيكاغو.

[16] كيليس، ٢٠٠٧ تعزيز قيم حقوق الإنسان في العالم الإسلامي: نموذج حركة كولن. يلماز وآخرون (محررون) العالم الإسلامي يتحول. ليدز: جامعة ليدز متروبوليتان برس.

[17] محمد، ٢٠٠٧ نظرية الأخلاقية عند فتح لله كولن وممارستها في جنوب إفريقيا. في يلماز وآخرون (محررون) العالم الإسلامي يتحول. ليدز: ليدز متروبوليتان جامعة أكسفورد، ٥٥٢-٥٧١.

[١٨] نصر، ٢٠٠٦ الوقوف أمام الله: مسؤوليات الإنسان وحقوق الإنسان. في شويكر، جونسون، ويونغ. (محرران) الإنسانية أمام الله. مينيابوليس: ٢٠٩-٢٣٧.

[١٩] نيبور، ١٩٦٣ الذات المسؤولة. نيويورك: هاربر ورو.

[٢٠] نوفاك، ١٩٩٠ الأخلاق، الرأسمالية والديمقراطية. لندن: وكالة الطاقة الدولية.

[٢١] روبنسون، ١٩٩٢ خدمة المجتمع. نوتنغهام: غروف. روبنسون، ٢٠٠١ باندهاش، معنى المعنوي و الاستشارة الرعوية. كارديف.

[٢٢] روبنسون، ٢٠٠٧ الروحانيات والأخلاق والعناية. لندن: جيسيكا كينغسلي.

[٢٣] روبنسون، ٢٠٠٨ هل يمكن أن تكون السوق أخلاقية؟ في ويترلي. وأوتور، (محررون). أكسفورد: مطبعة جامعة أكسفورد. ١٨٧-٢١٢.

[٢٤] شويكر، ١٩٩٥ المسؤولية والأخلاقيات المسيحية. كامبريدج: مطبعة جامعة كامبريدج.

[٢٥] تانر، ١٩٩٣ القضية اللاهوتية للمسؤولية الأخلاقية: الإنسان في الاختيار، مجلة الدين، ٧٣، ٥٩٢-٦١٢.

[٢٦] تاوني، ١٩٣٠ المساواة. لندن: ألين و أونوين.

[٢٧] تايلور، ١٩٨٩ مصادر الذات. كامبريدج: مطبعة جامعة كامبريدج.

[٢٨] توغسولو، ٢٠٠٧ نظرية كولن في الآداب والقيم الأخلاقية للحركة. في يلماز وآخرون (محررون) والعالم الإسلامي يتحول. ليدز: ليدز متروبوليتان جامعة أكسفورد، ٤٤٥-٤٥٨.

[٢٩] فاهدات، ٢٠٠٢ الله والطاغوت: لقاء إيران مع الحداثة الفكرية. سيراكيوز: مطبعة جامعة سيراكيوز.

[٣٠] فيتشيني، ٢٠٠٧ إعادة نظر كولن للنمط الإسلامي، والآثار الاجتماعية والسياسية. في يلماز وآخرون (محررون) العالم الإسلامي يتحول. ليدز: ليدز متروبوليتان جامعة أكسفورد، ٤٣٠-٤٤٤.

[٣١] فوغل، ٢٠٠٦ قانون اليهودية الطبيعية؟ في سفر التكوين من أخلاقيات في هانس جوناس، ليو شتراوس، وليون كاس. في شويكر، جونسون، ويونغ. (محررون) الإنسانية أمام الله. مينيابوليس: ٢٠٩-٢٣٧.

[٣٢] يلماز، ٢٠٠٢ ديناميكية التعددية القانونية في إنكلترا: تحدي مسلم ما بعد الحداثة. من القانوني إلى الحداثة القانونية. مجلة الدراسات العرقية والهجرة، سبنج، ٢٨، ٢.

برقيات

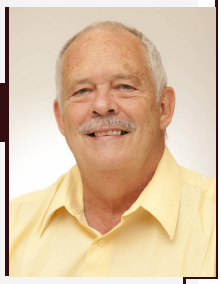

توماس ميشال

أستاذ الدراسات الدينية،
جامعة جورج تاون

إنني لست عضوًا في "الخدمة" ولا حتى مسلمًا، ولكن أتيحت لي الفرصة لزيارة عديد من مدارسها في عدد من الدول ومقابلة فريق العمل الإداري الخاص بالتدريس، كما التقيت بطلاب مسلمين وغير مسلمين وبآبائهم، والتقيت بمعلمين غير مسلمين في هذه الأماكن. وعندما أقرأ المُثُل التي يعبر عنها كولن في كتاباته أجدها تُطبق بشكل مؤثر في حياة الأشخاص المنتمين إلى الخدمة، وهم أناس عصريون ومطلعون بشكل جيد على العلوم الدنيوية، لكنْ لديهم اهتمامٌ حقيقيٌّ بالقيم الروحية والإنسانية، وهي نفس القيم التي يسعون إلى نقلها للطلاب من خلال سلوكهم الشخصي، وهم يقدمون تعليمًا ممتازًا يجمع بين أحدث التكنولوجيات المتقدمة وبين تشكيل الشخصية والمثل العليا. إن مدارس الخدمة -في رأيي- هي الدليل الأكثر فاعلية على صحة جهود كولن للتوفيق بين الحداثة والقيم الروحية، فهي إحدى الجهود التعليمية الرائعة الواعدة في العالم في وقتنا الراهن.

إطلالة على جديد الكتب والرسائل العلمية

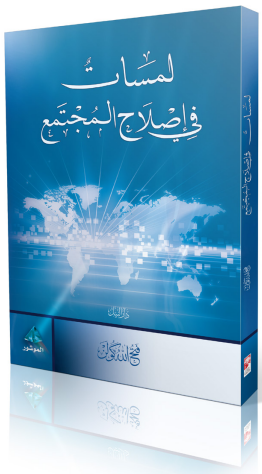

شهد عام ٢٠١٧ صدور خمسة كتب جديدة للأستاذ فتح الله كولن، واحد منها في سلسلة "الموشور"، واثنان في سلسلة "الجرة المشروخة" وكتاب "نسمات الأول" و"البيان الخالد".

١- سلسلة الموشور

الموشور عبارة عن سلسلة من الكتب جَمعت أجوبة مرتجلة على أسئلة وُجهت للأستاذ كولن في أوقات مختلفة، قبل استقراره في منفاه الاختياري بـ"بنسلفانيا" في الولايات المتحدة الأمريكية، وقد تُرجم منها حتى الآن كتابان، حَمَل الكتاب الأول عنوان "الموشور"، وطبعته دار النيل عام ٢٠١٥، أما الكتاب الثاني من السلسلة فقد حمل عنوان "لمسات في إصلاح المجتمع" وقد أصدرت طبعته الأولى دارُ النيل أيضًا عام ٢٠١٧ في ٢٤٠ صفحة من الحجم المتوسط. والكتابان من ترجمة عبد الرزاق أحمد محمد، ويتكون الأخير من خمسة أقسام مختلفة وهي "المنظور" و"البُعد الفكري" و"حول محور الدين" و"المِجْهر" و"النوازل".

٢- سلسلة الجرة المشروخة

لا تختلف سلسلة "الجرة المشروخة" عن سابقتها سلسلة "الموشور" في فحوى الموضوعات، فكلاهما يعبران عن أجوبة الأستاذ عن الأسئلة التي وجهها إليه طلابه في حلقات الدروس المختلفة، وقد اتسمت بالتنوع والشمول والرؤية الواسعة الملمة بالماضي والحاضر، والمستبصرة بالمستقبل، غير أن سلسلة "الجرة المشروخة" تتميز عن سابقتها من ناحية البعد الزمني فهي تتضمن الأسئلة التي وجهت للأستاذ كولن في السنوات العشر الأخيرة بما شهدته من أزمات وصدامات، بالإضافة إلى أنها تحمل عصارة فكر الأستاذ، وتجربته بعد كل هذه السنوات في طريق الدعوة والإصلاح والتربية وخدمة الآخرين، وتعطيك مؤشرًا على رسوخ الفكرة لديه، ووضوح الهدف، وكمال الرؤية.

وقد صدر منها مؤخرًا كتابان: "عقبات في سبيل الحق" و"جهود التجديد" وفي هذا العدد من نسمات قراءة

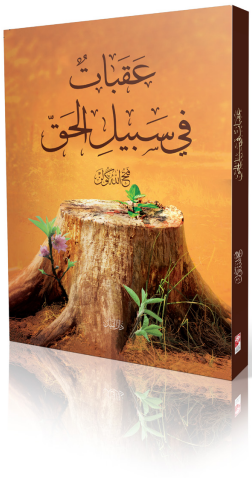

معمقة للكتاب الثاني بقلم د. أبو زيد عبد الرحيم جويلي أطلعنا فيها على أهم الأفكار التي احتواها وملامح الرؤية التي يحملها هذا الكتاب بين دفتيه.

"جهود التجديد" من طباعة دار النيل بالقاهرة عام ٢٠١٧، ترجمة د. عبدالله محمد عنتر، وعدد صفحاته ٢٦٨ من الحجم المتوسط.

٣. كتاب نسمات الأول

تواكبًا مع الذكرى الأولى لمحاولة الانقلاب الفاشلة يونيو ٢٠١٥، أصدرت هيئة نسمات كتابها الأول بعنوان "مواقف في زمن المحنة.. حوارات إعلامية مع فتح الله كولن" جمع كل حوارات الأستاذ كولن الإعلامية التي أجريت معه عقب هذه المحاولة، إلى جانب مقالاته التي نشرها في كبريات الصحف العالمية وبياناته التي ندَّد فيها بالأعمال الإرهابية التي وقعت في مختلف أنحاء العالم، بالإضافة إلى رسالته التي وجهها لرئيس الوزراء التركي عام ٢٠٠٨ آنذاك السيد رجب طيب أردوغان تتضمن مقترحات عشرة لحل المسألة الكردية.

وتأتي أهمية صدور هذا الكتاب في هذا التوقيت في أنه يتضمن أجوبة الأستاذ كولن عن كل ما يتعلق بمحاولة الانقلاب، ورد كل الاتهامات التي وجهها له رئيس تركيا الحالي السيد أردوغان، والتي تتعلق بتحميله المسؤولية عن هذه المحاولة الفاشلة، كما يتضمن الكتاب حديثًا عن الخدمة ونشاطاتها وفعالياتها منذ نشأتها وحتى الآن، وموقف الأستاذ كولن من العنف والإرهاب والجماعات المتطرفة وقضايا أخرى مختلفة. وهو بهذا يعد وثيقة حية تعبر عن رؤى الأستاذ كولن ومواقفه الثابتة في ملفات عديدة. الكتاب من طباعة دار النيل لعام ٢٠١٦، إعداد صابر المشرفي ونوزاد صواش وعدد صفحاته ٣٢٠ من الحجم المتوسط.

٤- البيان الخالد

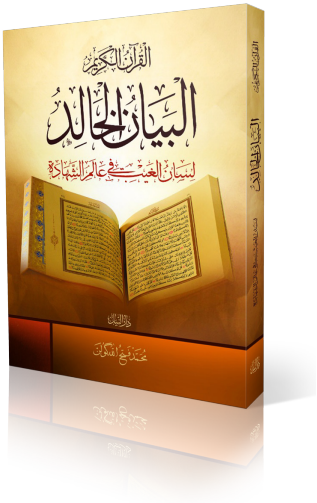

في ديسمبر ٢٠١٧ صدر عن دار النيل للنشر كتاب جديد للأستاذ فتح الله كولن بعنوان: "البيان الخالد.. لسان الغيب في عالم الشهادة" الكتاب عبارة عن مجموعة من الدروس الوعظية في تفسير القرآن التي ألقاها الأستاذ كولن في المساجد خلال فترة السبعينات من القرن الماضي.

يكشف هذا الكتاب عن جانب مهم من جوانب الأستاذ فتح الله كولن العلمية وهو جانب التفسير، فقد عرفنا الأستاذ كولن مفكرًا في كتابيه "ونحن نقيم صرح الروح" "ونحن نبني حضارتنا"، واطلعنا على جانب فهمه للسيرة النبوية وتوظيفها توظيفا حياتيا رائعا في كتابه الرائع "النور الخالد"، كما

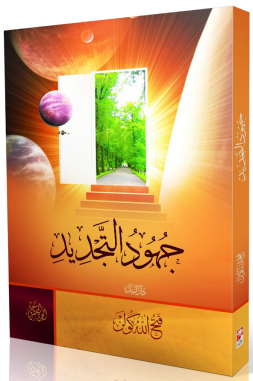

اطلعنا على جانبه التربوي من خلال كتابه "من البذرة إلى الثمرة"، وكشف لنا كتابه "تلال القلب الزمردية" عن جوانب التزكية والروح والتصوف إلى غير ذلك من الكتب التي زادت عن ستين كتابا.

الكتاب ماتع في مادته سلس في أسلوبه غني في موضوعاته وترجمته تختلف عن تراجم الكتب الأخرى التي نشرت للأستاذ، ويعزى ذلك إلى أن مادة الكتاب معينة على ذلك فتعلقها بكتاب الله تعالى يضفي عليها لونا من الجذب والإمتاع. الكتاب من ترجمة أجير إشيوك، وعدد صفحاته ٤٩٦ من الحجم فوق المتوسط.

رسالتان للماجستير وأخرى للدكتوراه في مصر عن الخدمة

شهد أواخر العام ٢٠١٦ وعام ٢٠١٧ مناقشة ثلاث رسائل علمية حول حركة الخدمة في جامعتي المنصورة والأزهر، وقد جاءت على النحو التالي:

أ- مفاهيم تربية الإنسان الجديد عند فتح الله كولن ومخرجاتها العملية

في جامعة المنصورة، كلية التربية، قسم أصول التربية عام ٢٠١٦ ناقشت الباحثة "سارة على الوهيدي إسماعيل" أطروحة ماجستير بعنوان: "مفاهيم تربية الإنسان الجديد عند فتح الله كولن ومخرجاتها العملية"، حاولت أن ترصد فيها أهم الجهود والأفكار التربوية للأستاذ كولن، باعتباره أحد مجددي الفكر الإسلامي المعاصر داخل تركيا وخارجها. فهو –حسبما ذكرت الباحثة- يستحق صفة المجدد بكل ما تحمله هذه الصفة من معاني التمسك بالأصول والاجتهاد في ضوء تحديات العصر ومشكلاته.

هدفت الدارسة التعرف على مراحل ونشأة وإعداد وتشكيل شخصية الأستاذ كولن، والتعرف على أهم مفاهيم تربية الإنسان الجديد عند فتح الله كولن والسمات التي يتصف بها الإنسان الجديد الذى يبشر به، وكذلك التعرف على المخرجات العملية لحركة فتح الله كولن التربوية المتمثلة في ظهور "جيل الخدمة" الذى قدم لتركيا والعالم كثيراً من المنجزات على أرض الواقع التركي والإسلامي. أما جامعة الأزهر فقد كان لها النصيب الأوفى من هذه الرسائل العلمية، فقد نوقش في رحابها رسالتان علميتان نستعرضهما فيما يلي:

ب- تجربة الشيخ فتح الله جولن الدعوية.. دراسة نموذج النهوض بالمجتمع والأمة من خلال العمل الدعوي"

في رحاب قاعة الإمام عبد الحليم محمود بكلية أصول الدين والدعوة بالقاهرة قسم الدعوة والثقافة الإسلامية ناقش الباحث محمد ياسين رسالة التخصص الماجستير حول حركة الخدمة ونموذجها الدعوي بعنوان: "تجربة

الشيخ فتح الله جولن الدعوية.. دراسة نموذج النهوض بالمجتمع والأمة من خلال العمل الدعوى"، وقد جاءت مناقشة الرسالة في فترة حرجة لحركة الخدمة حيث تنوشها السهام من كل جانب وتستهدفها دعايات سلبية تعمل على تهديد سمعتها وتاريخها الناصع بالتشويه والاغتيال.

وقد عبر أحد أعضاء لجنة المناقشة عن تأثير هذه الدعاية عليه مسبقًا حيث كان مترددًا في بادئ الأمر ثم بعد قراءة الرسالة والاطلاع على فكر الأستاذ كولن ومشروعه الخدمة وتجليات ذلك الفكر تطبيقيًا جزم بأنه أحد المجددين الذين سيتحدث عنهم التاريخ بكل إجلال نظير ما أسهموا به في خدمة الإسلام والمسلمين، كما أشار الباحث في عرضه لرسالته أنه رأى في تجربة الأستاذ كولن إجابةً عن سؤال النهضة، وتحديدًا لمعالمها، وغوصًا في أعماقها. كما وجد فيها الحلقة المفقودة، والنموذج المنشود؛ ومن ثم جعلها محورا لدراسته، وذكر أنها معنيَّة في الأساس بتقديم هذا النموذج باعتباره نموذجًا نهضويًا ومثالاً حضاريًّا.

وقد حظيت الإصدارة الرابعة من نسمات بدراسة مفصلة لهذه الأطروحة عنونت بـ"سؤال النهضة.. الحلقة المفقودة والنموذج المنشود" يمكن للقراء مطالعتها عبر موقع نسمات على شبكة الإنترنت.

جـ- حركة كولن التركية وجهودها وأثرها في الدعوة إلى لله تعالى

أما الرسالة الثانية التي نوقشت في جامعة الأزهر أيضا فقد كانت أطروحة دكتوراه في كلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية للباحث الدكتور علاء علي محمود شكر، حيث حصلت بعد مناقشة جادة وثرية من السادة أعضاء اللجنة على مرتبة الشرف الأولى، وأوصى الأساتذةُ الباحثين بمزيد من البحث والدراسة حول منهج الخدمة ورؤاها الإصلاحية في الدعوة والتغيير.

وعن الأسباب التي عرضها الباحث والتي جعلته يختار هذا النموذج للبحث والتحليل ويقضي معه ست سنوات من أثمن سني عمره كتب: تكمن أهمية مشروع الخدمة فيما يلي:

أولاً: أنها ليست تكرارًا أو تقليدًا لنموذجٍ معيّن.

ثانيًا: قُدرتُها على تحويل القيم الإسلامية الأصيلة إلى نماذج نجاحٍ وإبهار مِن خلال جملة أنشطةٍ ومؤسَّساتٍ تقوم بأدوارٍ متكاملة في مجالاتٍ مترابطة تُشكِّل في مجموعها المنظومة الحضارية ابتداءً مِن منظومة قيم التربية والتعليم، والثقافة والحوار، والإعلام، والاقتصاد، والإغاثة، وصولاً إلى الهياكل والمؤسسات التي تهتدي بهذه المنظومة في برامج حركتها. فكيفية تحويلِ الفكر إلى مشروع وترجمةِ الرؤية إلى برنامج إجرائي عمليّ قابلٍ للتنفيذ على أرض الواقع يمثّل جانبًا في غاية الأهمية تفتقده كثير من حركات الإصلاح في عالمنا الإسلامي، مما يبقيها حبيسة الطموحات والآمال. ثالثًا: أن حركةُ كولن لم تكتفِ بممارسة العمل الإسلامي الاجتماعي والدعوي داخل تركيا، بل امتدّ نشاطُها وتأثيرها إلى خارج الحدود التركية وفي أكثر مِن مائةٍ وستين دولةً حول العالَم؛ الأمر الذي يجعلها نموذجًا جديرًا بالدراسة والتحليل.

وتحظى نسمات في إصدارتها الخامسة بدراسة مفصلة عن الدراسة أعدها الباحث نفسه يمكن مراجعتها بالتفصيل في باب "رسائل علمية" من هذا العدد. ■

نسمات

دراسات حول مشروع الخدمة

إصدارة علمية بحثية متخصصة

تصدر عن دار الانبعاث للطباعة والنشر والتوزيع

www.nesemat.com

Copyright©2017 Dar al-Inbiath

جميع الحقوق محفوظة، ولا يجوز إعادة إنتاج أي جزء من هذا الكتاب أو نقله بأي شكل أو بأية وسيلة، سواء أكانت إلكترونية أو ميكانيكية، بما في ذلك التصوير الفوتوغرافي أو التسجيل أو وسائل تخزين المعلومات وأنظمة الاستعادة الأخرى بدون إذن كتابي من الناشر.

إعداد وإشراف
صابر المشرفي

تحرير وتصحيح
هيئة النشر

اللجنة الاستشارية العلمية
د. محمد إقبال عروي
د. محمد جكيب
د. سعيد بويزري
د. محمد باباعمي
د. أبو زيد عبد الرحيم
د. هدى درويش
د. سليمان الدقور
د. باسم عيتاني
د. جمال السفرتي
د. فؤاد البنا
د. عبد الله الدعجاني

تصميم فني
نور الدين محمد

غلاف
محمد أشرف

البريد الإلكتروني
nesemat@yahoo.com

التوزيع
دار الانبعاث للطباعة والنشر والتوزيع، مصر
Mobile: 002 01000780841
002 01067251063
العنوان: 22ج جنوب الأكاديمية، شارع التسعين الشمالي، القاهرة الجديدة

الترقيم الدولي
978-977-85373-1-4

رقم الإيداع
2018/5653

رقم النشر
002

القاهرة - مصر

نسمات

إصدارة علمية بحثية متخصصة

نسمات إصدارة علمية بحثية متخصصة في دراسة مشروع الخدمة والرؤية الإصلاحية للأستاذ فتح الله كولن في أبعادها الفكرية وتجلياتها التطبيقية. وهي تندرج في إطار الأعمال البحثية الميدانية المتخصصة في ظاهرة اجتماعية ما، تسلط الضوء عليها، وتسبر أغوارها بعمق، وتكشف عن حيثياتها ومآلاتها، وتعقد صلتها بخبرة الماضي، وتدرس فاعليتها في الحاضر، وتستشرف امتدادها في المستقبل، لتخرج بنتائج علمية تشكل إضافة نوعية إلى المعرفة الإنسانية والخبرة البشرية.

يهدف مشروع نسمات إلى سبر أغوار نموذج الخدمة والرؤية الحضارية للأستاذ فتح الله كولن ودراستها من زوايا شتى، سواء من الناحية النظرية الفكرية، أو من الناحية العملية التطبيقية. ومن ثم تحث الباحثين في المجال الفكري الحضاري على السعي معها في هذا المضمار، وترحب بكل عمل جاد يساعدها على تحقيق مبتغاها.

شروط النشر

- أن تكون المشاركة جديدة لم يسبق نشرها.
- أن تكون دراسة متصلة بمشروع الخدمة وفكر الأستاذ فتح الله كولن.
- أن تكون المشاركة إسهاما إيجابيا مثريا، تشكل إضافة نوعية في القراءة والنقد والتحليل وتتوافق مع المعايير العلمية المعروفة.
- ألا تقل عن ١٥٠٠ كلمة وألا تزيد على ٧٠٠٠ كلمة.
- أن يرسل الباحث ملخصا لمشاركته في حدود ٢٥٠ كلمة.
- تخضع المشاركات المعروضة للنشر لموافقة لجنة استشارية علمية، وللجنة العلمية أن تطلب من الباحث إجراء أي تعديل على المشاركة قبل إجازتها للنشر.
- هيئة التحرير تلتزم بإبلاغ أصحاب المشاركات بقبول النشر، ولا تلتزم بإبداء أسباب عدم النشر.
- تحتفظ هيئة التحرير بحقها في نشر المشاركات وفق خطة التحرير وحسب التوقيت الذي تراه مناسبا.
- المشاركات التي تنشر في نسمات تعبر عن آراء كتابها، ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة.
- لـ»نسمات" حق إعادة نشر المشاركات منفصلة أو ضمن مجموعة من الأبحاث، بلغتها الأصلية أو مترجمة إلى أي لغة أخرى دون حاجة إلى استئذان صاحبها.
- نسمات لا تمانع في النقل أو الاقتباس عنها شريطة ذكر المصدر.
- يرجى من الباحث أن يرفق مع المشاركة نبذة مختصرة عن سيرته الذاتية مع صورة واضحة مناسبة للنشر.
- يرجى إرسال جميع المشاركات إلى العنوان الآتي: nesemat@yahoo.com

كيف نفهم **روح القرآن؟**

كيف نحسن تنزيل **معانيه الخالدة** إلى حياتنا المعاصرة؟

مدخل إلى **عالم القرآن الذهبي..**

كتاب جديد

للأستاذ فتح الله كولن

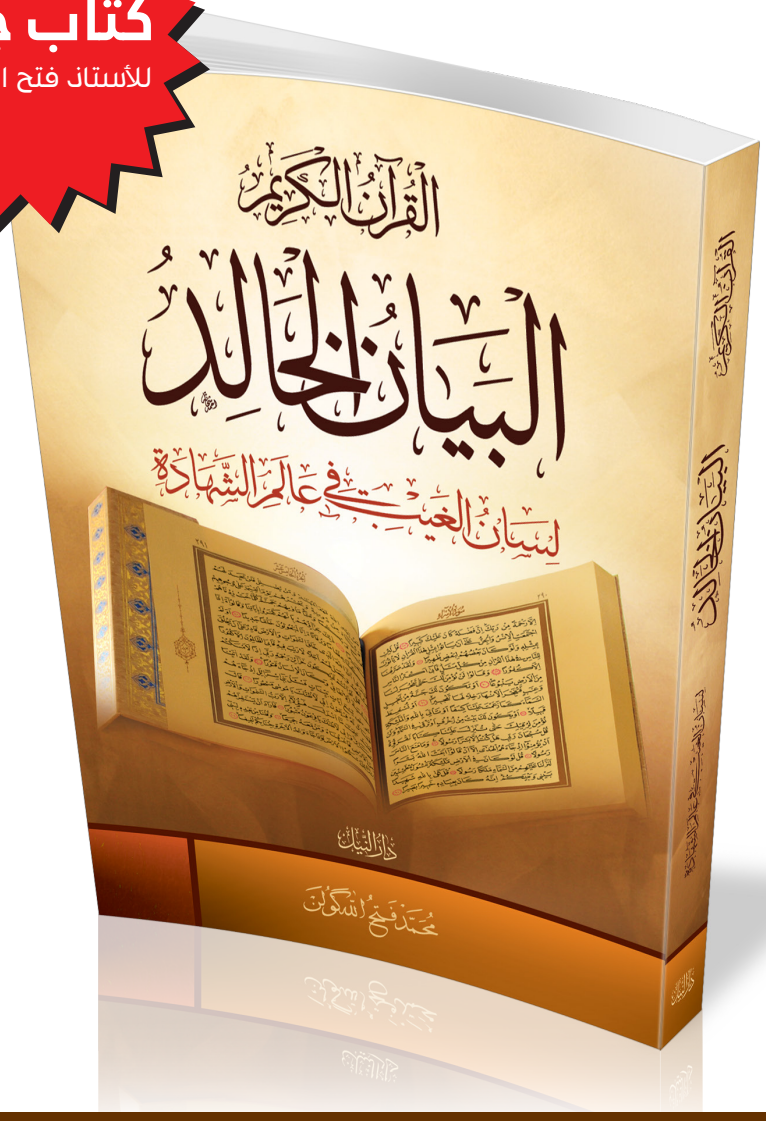

مركز التوزيع: دار الانبعاث | daralinbiath@gmail.com | 00201023201002

مركز البيع الإلكتروني: www.souq.com

مركز البيع المجلد العربي: 01275470090 | **دار أصول الدين:** 01115534566

جوامع الكلم: 01150726663 | @daralinbiath | @daralinbiath

نسمات
nesemat.com
دراسات حول مشروع الخدمة

حركة كولن لا تملك بنية أيديولوجية؛ ولا تقدِّم نفسها على أنها التعبير الذي لا يجادَل فيه، والحقيقة التي ينبغي على كلِّ أحد أن يخضع لها مما يثير النزاع والخلاف بين أبناء المجتمع، وهذا ما يميزها عن غيرها.

يُحَذِّر كولن الجموع الساعية للتحوُّل الذهني والفكري، أن تنتبه لمقوماتها الذاتية وألا تقع فريسة لمن لا يهمه من حالة التحول التي تعيشها الأمة سوى ما يجنيه من مصالح.

يؤمن كولن بأن الحركات والأعمال الفوضوية تقوِّض أجواء السلام والتبادل الحر للآراء، وسيادة القانون والعدالة.

ISBN 978-977-85373-1-4
9 789778 537314